telegram @booksandquotes4

@BOOKSANDQUOTES4

آخر ليالي البشر

تَشكِيل للنَشر والتَوزيع

Email publish@tashkeel- publishing.com

Website www.tashkeel-publishing.com

Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

رقـم الإيـــداع: 4317/ 2021

الترقيم الدولـي: 978-977-6737-59-9

تصميم الغـلاف : أحمد فرج.

التدقيق اللغـوي: أميرة أسامة.

الإخراج الفنـــي : ضياء فريد.

المـديـــر العــام : سيد شعبان.

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحــبه للمساءلة القانونية، والآراء والـمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

آخر ليالي البشر

رواية

مريم أحمد علي

إهداء

إلى أسرتي الصغيرة التي طالما حاولت مواكبة أفكاري واختلافي..
إلى إيمان أبي وأمي المُتواصل ومساندتهما الدائمة..
إلى مثابرة شقيقتي الكبرى في قراءة كل ما أكتب باهتمام..
إلى دعم شقيقتي الصغرى لي في كل خطوةٍ بلا ملل..
إلى ابتسامة جدتي الجميلة فور انتهائِها من صفحاتِ الكتاب..
وإلى روح أبي الثاني التي لن تفارقني مهما حييت (إيهاب طه عبد الوهاب).

هذا الكتاب إهداء إلى كل من يعاني في صمت.. يعافر من أجل طريقٍ اختاره بنفسه.. إلى كل من يخشى نظرات المجتمع وكلماتِ الأقربين.. إلى كل من يُخفي عن العالم أفكاره ويحتفظ بخوفهِ لنفسه؛ هذا الكتاب يدعوكم لخوض رحلةٍ جديدة قد تجد بها ما لم تكن تعلم أنك تبحث عنه.

«اعتاد البشر الاختلاف حتى أصبح سُنة الحياة، تختلف الألوان والأعراق والأنساب، تختلف المعتقدات والأديان، تختلف العادات والثقافات والحدود والأذواق، وكلٌّ يعيش كما يحلو له، لم يشتَرك البشر في شيءٍ سوى غريزة البقاء، كانت آخر ما يجمعهم حتى فرقتهم».

بداخل المدينةِ الهادئة كانت تقف في شرفةِ منزلها تستمتع بأشعةِ الشمسِ الدافئة على وجنتيها وهي تنتظر شقيقتها التي تكبرها بسبعة أشهر فقط حتى تنتهي من ارتداء ملابسها، الأجواء معتدلة ولكنها تميل إلى كفة الفرح قليلًا؛ فحليمة الابنة الكبرى في أسرتهم الصغيرة على وشك الزواج ولا ينقصها سوى خطواتٍ بسيطة ومرتبة ومضمونة.

انتبهت تيماء لصوت شقيقتها الصغرى وهي قادمة نحوها تناديها بحزنٍ طفوليٍّ جميل: «**تيماء أنا مش فاهمة اللي حصل**».

- مش فاهمة اللي حصل في إيه يا مِهاد؟

- مين الناس التانية دول؟ وليه ماتوا؟ إزاي مشاعرهم موتتهم؟

ابتسمت تيماء وهي تتذكر أيام المدرسة حين قصوا عليها قصة المُبالغين لأول مرة ولم تفهم منها شيئًا، حتى جلست هي وحليمة مع والديها في ضوءٍ خافت يستمعان لدرس التاريخ وكأنه أسطورة قديمة أنقذت البشرية من هلاكٍ كان محتمًا عليها لولا إنقاذ سديم لها.

- طيب ما تزعليش، أول ما أرجع من مشواري مع حليمة هاحكي لك قصة المُبالغين بطريقة حلوة.
- بس حليمة لسا قدامها ساعة.
- ساعة!!

ذهبت إلى غرفة شقيقتها لتجدها تجلس على الفراش بكامل أناقتها وتتفحص هاتفها بابتسامةٍ بسيطة.

- طيب إحنا ليه ما نزلناش لو إنتِ خلصتِ؟
- معلش، ياسر بيوصَّل مامته المستشفى وهيتأخر شوية، فـ هنروح اختبارات الساعة ستة بدل أربعة.
- طيب، هروح أنا أذاكر مع مِهاد لحد ما يجي ميعادنا.

خرجت من الغرفة وهي تبتسم، بالتأكيد ستشعر يومًا بما تشعر به حليمة وهي على وشك إتمام أول إجراءٍ في إجراءات الزواج، سوف تكون خطواتها أصعب بقليل ولكن لا منطق من الإفراط في التفكير، فكل شيءٍ يحدث في ميعاده وفي الوقت المحدد له.

خرجت إلى شقيقتها الصغرى وأمسكت بكتاب التاريخ وهي تتفحص أول دروس التاريخ المقررة على طلاب المدرسة «**ملحمة المعتدلين**».

«**إذا كانت البشرية على حافة الخطر فلا بكاء على من نُضحّي بهم، فالفرد لا يعترض مصلحة الجموع، ولا عزاء للمبالغين إذا كانت المبالغة هي سر الهلاك**».

تطلعت في سرد الحكاية واحتارت كيف تبدأ، الكثير من الجمل المعبرة تقع بين سطور درس تاريخ للأطفال، تتذكر حين ذهبت والدتها لتسأل عن سبب تدريس كل هذه المعلومات بهذه المفردات الصعبة للأطفال، وأجابتها المعلمة حينها: «**ملحمة المعتدلين بتنزل نص مكتوب ما بيتغيرش وما حدش بيعدل عليه، هتلاقيه بنفس الشكل في كل الكتب، وحتى كتب التاريخ في المكاتب الكبرى، هو نفس الكلام ما بيختلفش**».

كانت المعلمة على حق فكل هذه المعاني الآن وهي ناضجة تقع على مسمعيها وقعًا مختلفًا براقًا، فهو نص يحكي كيف نجت البشرية بأكملها من جنس المُبالغين.

اعتدلت في جلستها وأمسكت كتاب شقيقتها واستعدت للقراءة، ثم قالت لها:

«**ركزي معايا يا مِهاد وتخيلي كويس**».

«كانت معالم هذا الكون تختلف كثيرًا عما نعرفه الآن، كان البشر بعض الهمج تتحكم بهم أهواؤهم حتى خرجت عن السيطرة؛ الكثير من الأفعال الغير مبررة، والعديد من المجازر والحروب، لا مبرر ولا دليل قاطع يخبرنا من بدأ الفتنة، كلهم مُبالغون ولم يلحظ أحد.

كان لا بُدَّ للحرب أن تنتهي، وكان على البشرية أن تحتفظ ما تبقى منها. اشتعلت الحروب الأخيرة مما أدى إلى هلاك نصف البشر؛ قتلى وهاربين في كل مكان، لم يعد مخلوق يهتم بالجنسيات ولا الأديان، فقد تساوى الجميع؛ كلنا هالكون.

هاجر من تبقى ليبتعد عن أطلال مدينته وبقايا منزله، تفرقت القبائل وتجمعت بعض الأسر سويًّا كل ما يجمعهم لسان حالهم، ضاقت الأرض فسكنوا جميعًا في مكان كان لا زال به بعض الخيرات والثمار التي لم تُنهب. اجتمعت سديم برجالها المعتدلين، وشيدت المبنى العظيم، نادت على البشر أجمعين بلا تفرقة. كان لا بُدَّ أن نبقى فتفرقنا، ودعنا المُبالغين في صحراء بعيدة، واحتفظنا بكل من هو أصغر من عامين بلا تشخيص، فالأطفال بالفطرة معتدولون وبالتربية مُبالغون. انتصرت البشرية وعاشت بنظام سديم في أمان، لا يبالغ أهلها ولا يهلع بلا منطق، فالمنطق هو سيد المدينة والدواء هو منقذها، لقد وهبت نعمة الكفة الصالحة ولن تُهزم أو تهلك ما دمت معتدلًا».

- يعني إيه بقى يا ست مِهاد الكلام دا؟
- مش عارفة.

- زمان العالم ما كانش زي دلوقتي كدا، كان فيه ناس أكتر مننا بكتير في بلاد مختلفة وقارات مختلفة.
- أكتر من هنا؟!
- بكتير جدًّا، وكانت متقسمة بلاد ومدن، وكانوا بيتكلموا لغات مختلفة ومتنوعة، وكان فيه اختلاف في كل بلد، يعني كل بلد بنظام.
- ياه! وكانوا بياخدوا المصل إزاي؟
- ما هيّ دي القصة بقى، زمان ما كانش فيه لسا مصل، ما كانش لسا البشر كلهم بيعرفوا يتكلموا بالمنطق ويعتدلوا في مشاعرهم.
- علشان كدا مشاعرهم موتتهم؟!
- بالظبط كدا، كان الناس بيحسوا كل حاجة بنسبة مختلفة؛ فتلاقي واحد بيزعق في موقف مش منطقي يزعق فيه، وناس بتعيط فجأة، وناس بتقتل، وحاجات كتير إحنا ما شُفناهاش قبل كدا.

تطلعت بها الصغيرة بتركيزٍ وهي تستمع لتلك القصة التي طالما أبهرتها هي شخصيًّا، فأكملت تيماء حديثها وقالت:

- وقامت حرب بين كل الدول دي مرة واحدة.
- يعني إيه حرب؟!
- حرب يعني ناس كتير بتتخانق مع ناس كتير من غير سبب. قامت بلاد كتير تقتل بعض.
- طب ليه؟

- لأنهم كانوا مش متحكمين في مشاعرهم، كان الكره والغيرة والحقد جواهم ما فيش حاجة بتتحكم فيه، ويبقى بدل ما فيه حرب بين الدول بس قامت حروب بين الشعوب نفسها، يعني تخيلي إحنا وطنط سميرة صاحبة ماما بنتخانق، البيت هنا والبيت هناك وفجأة بقينا إحنا هنا كمان بنتخانق مع بعض.

- ليه كل دا؟

- ما حدش عارف، الحرب بتبدأ فجأة وما بتنتهيش إلا بخراب.

- ياااه، الحمد لله إننا عندنا مصل.

- دي حقيقة، سديم بقى دي إنتِ عارفاها عالمة شاطرة جدًّا، من قبل ما الحروب تبدأ استخبت في المعمل بتاعها هي وكل اللي بيشتغلوا معاها لحد ما طلّعت المصل اللي بيتحكم في مشاعرنا، اللي بيخليكِ تحسي بكل حاجة بس بالنسبة المنطقية ما تزيدش عن كدا أبدًا.

- ودا بيحمينا من الحرب صح؟

- من كل حاجة مش الحرب بس، من يوم ما أخدنا المصل وحياتنا كلها مستقرة وهادية، ما فيش سبب مش منطقي وما فيش تصرف ما لوش تفسير.

ابتسمت دعاء والدتهما واقتربت منهما وقالت بابتسامةٍ:

- سديم كانت عالمة ذكية جدًّا؛ قدرت إنها تخلي كل اللي اتبقى من البشر يخضعوا لاختبار هي اللي كانت

عملاه ومصمماه بنفسها بحجة إنه بيعالج البقايا النووية أو آثار أي أسلحة بيلوجية متبقية في جسم الإنسان، ودا خلّى كل الناس اللي عاشت تروح تخضع للاختبار دا رغم اختلافهم، وبكدا قدرت تفصل المُبالغين عن المعتدلين.

- هم ليه مُبالغين يا ماما؟

سألتها الصغيرة باهتمامٍ وهي تحاول استيعاب كل ما حدث.

- فيه ناس مشاعرهم ما بتكونش مستقرة ولا قادرين يتحكموا فيها وسايبينها هي اللي تتحكم فيهم، فيه ناس اكتسبت الصفة دي مع الوقت وناس اتولدت بيها وموجودة في جيناتهم.

- وفرّقوهم بالاختبار ده؟

- قدرت بالاختبار بتاعها تحدد مين معتدل ومين مُبالغ، وما كانش فيه وقت ولا إمكانية إنها تحاول مرة تانية مع المُبالغين، إحنا كنا بننتهي وما كانش هيبقى فيه بشر خلاص، الناس كانت هتاكل بعض على الأكل في البيوت، كان لازم يكون فيه نظام منطقي وتصرفات محسوبة.

- وراحوا فين المُبالغين دول يا ماما؟

- اختفوا، خدوا كل اللي طلع مُبالغ وبعدوه عن هنا، وبنينا بيوتنا ومدينتنا وبدأنا حياة جديدة بقواعد، ووحدت

اللغة للغة الأغلبية، وبنت أنظمة تخلينا دايمًا محافظين على بقائنا، ومسيطرين على مشاعرنا.

- يااه، الحمد لله إننا ما طلعناش منهم.

ابتسمت تيماء وتأهبت لتُكمل القصة، ولكن قاطعها نداء حليمة لتذكرها بأنهما على وشك الذهاب الآن. كانت علاقة الشقيقتين علاقة متينة جدًّا فهما أقرب للتوأم من الأشقاء، عاشا كل أيامهما وذكرياتهما سويًّا، وها هي الآن ترافقها للمبنى العظيم لتُجري حليمة اختبار الزواج هي وزوجها المستقبلي، إجراء بسيط ومضمون، ومن داخلها كانت تفكر؛ هل سيكون الزواج بهذه البساطة معي؟

- تفتكري يا حليمة أنا هاتجوز ببساطة كدا؟

- وليه ما تتجوزيش ببساطة؟!

تنهدت تيماء وقالت وهي تبتسم:

- أتمنى إني أقابل حد يكون لطيف، هو إنتِ بتحسي بإيه وانتِ مع ياسر؟

- باحس إني باحبه، إنه مُسلّي والحياة معاه منطقية جدًّا.

نظرت أمامها وهي تتخيل مستقبلها، وتتذكر الجملة التي استهلكت كل شعورها المنطقي بالقلق: «**ودعنا المُبالغين في صحراءٍ بعيدة، واحتفظنا بكل من هو أصغر من عامين بلا تشخيص، فالأطفال بالفطرة معتدولون وبالتربية مُبالغون**»، يؤكد نص المعتدلين أن كل الأطفال الذين انضموا لصفوفهم من أبناء المُبالغين هم أصحاء ومنطقيون، ولكن ما زال أهل المدينة يعتريهم التردد في الإقدام على هذه الخطوة لأنها لا تبدو منطقية، لمَ الزواج

من الفصيل المنبوذ؟ لا يوجد سوى عدد محدود منهم وغير قابل للزيادة، فقد مات المُبالغون جميعًا وتبقى بعض أطفالهم ليعيشوا بنسبة قلقٍ زائد عن الآخرين من المستقبل. يخشى الارتباط بهم كل من هو معتدل أصيل وكأنهم هجين من نوعٍ ما، وهذا ما كان يشغل بالها؛ من أبناء المُبالغين؟ وهل سيكون مِن المنطقي أن يتزوجها أحد سكان المدينة بلا تردد؟!

- ياسر هناك أهه.

أعادها صوت حليمة إلى أرض الواقع، وانتبهت أنهما على وشك الدخول إلى المبنى العظيم، هذا المبنى التاريخي الكبير، يحتوي بداخله على كميات كبيرة من المصل، ويأتي إليه كل الناس من كل مكان ليخضعوا لاختبارات الزواج الربع سنوية. كل شيءٍ محدد ومُنظم بشكلٍ مذهل.

- أنا آخرَ مرة جيت فيها هنا كنت مع بابا وماما وهم بيعملوا الاختبار من شهرين.

قالتها حليمة وهي تنظر إلى خطيبها، ثم جاءها صوت تيماء وهي تسأل:

- تفتكري فيه حد بيترفض في الاختبار دا يا حليمة؟

ابتسم ياسر وبدأ يقول وهو يتفحص المبنى:

- آه فيه ناس بتعيده تاني، أو بعد ما بيبوظ أول مرة حد من الطرفين بيرفض.

سألت تيماء بتعجب واهتمام:

- يعني إيه يا ياسر؟

- يعني فيه ناس بتطلع نتيجتهم أعلى من المطلوب في مثلث الخطر، لو فيه حاجة واحدة من التلت مشاعر بتوع المثلث دول أعلى من المطلوب بيعدلوا للشخص جرعة المصل وبيستنى ربع سنة تاني ويقدم.
- طب وازاي الطرفين بيرفضوا؟

هنا تدخلت حليمة بنبرتها المليئة بالشغف وهي تحاول توضيح متانة وعمق بحثها وفلسفتها وعلمها بمعظم الأشياء:

- الطرف اللي بيكون اختباره سليم أحيانًا بيفكر إنه مش منطقي يكمل أو يستنى ربع سنة على ما يعمل الاختبار تاني، ويمكن برضه يحصل خلل فيبقى لأ.
- طب وهو أصلًا ليه ممكن يحصل له خلل؟!
- عادي، مش بيطلع عالي أوي، ممكن يطلع ٦٥٪ أو ٥٥٪ في المجمل أو شعور واحد، ودا بيتظبط بالجرعة.

تعجبت تيماء قليلًا ثم سألت باهتمام:

- طب وانتم تفتكروا هتعملوا إيه؟

ابتسمت حليمة وهي تنظر لياسر وتمسك بيده:

- كل حاجة إحساسها منطقي ومظبوط بالنسبة لي، ولا انت إيه رأيك؟
- ما فيش حاجة مخلياني قلقان حتى.

عدلت تيماء خصلة من شعرها وهي تتفحص هيبة المبنى العظيم وقالت بتوترٍ:

- أنا حاسة إني ممكن يحصل لي كدا.

ابتسم ياسر وقال لها بهدوءٍ:

- كلنا بنكون فاكرين إننا هنطلع كدا لحد ما نقابل حد يكون منطقي جدًّا بالنسبة لنا، ووقتها بتقدري تحددي إن إحساسك مستقر.

ابتسمت لهما وتركتهما قائلةً:

- يا مسهل، طيب بما إني هنا بقى هاروح أنا قسم الفحوصات أعمل فحص كامل على نفسي، هو ميعادي كمان أسبوعين، بس هاشوف لو ينفع أعمله دلوقتي علشان لو محتاجة تعديل في كمية المصل في جسمي ولا حاجة.
- خلاص تمام، هابعت لك قبل ما أدخل، إنتِ عارفة اختبارات الجواز في الدور الكام يا تيماء صح؟
- ما تقلقيش يا حليمة مش هاتوه، ما كانوش سبع شهور فرق اللي مخلينيك عاملة فيها الكبيرة.

ذهبت مباشرةً إلى مكتب الفحوصات وسجلت اسمها. يجلس الجميع وكأنهم إخوة، ومكاتب فحوصاتهم أيضًا تختلف عن مكاتب الفحوصات العادية. يفحص السكان أنفسهم كل ثلاثة أشهر أما المتبنون يتم فحصهم شهريًا للتأكد من أنه ليس هنالك أي خللٍ جينيّ أو اضطرابٍ من نوعٍ ما، وبالفعل كلهم إخوة.

دُمّر كل شيءٍ بسرعةٍ فائقة، لم يتوقع البشر شراسة الحرب هذه المرة؛ ظن كل منهم أنها حرب عابرة كغيرها من الحروب، ولكن هلع البشر قد خلق حربًا بداخل الحرب، لم يجتمع البشر على رأي، ولم يفهم أي منهم سبب الحروب.

اشتعل الدمار كالفتيل واحدًا تلو الآخر، وأصبحت سلسلة لا متناهية من الحروب، وقعت الدول العظمى والصغرى معًا حتى ظن الجميع أنها النهاية، وبالفعل الكثير حصل على نهايته بهذه المرحلة. خرج البعض يحارب والآخر يعترض، والآخرون يفرون هربًا من خراب الحروب، ولكن المشهد الدموي يخلق في نهايته مشهدًا أصعب على العيون، كانت البقايا في كل مكان، بقايا البشر وأطلال البيوت وفتات الذكريات.

لم يعد هنالك شيءٌ يهم سوى من تبقّى من دمائك والأقربون أولى بالحماية، فليس بمقدور الرجال الدفاع عن كل نسائهم. وصلت البشرية لمرحلة الاختيار من بين أحبائهم، وبادت الحروب المعالم المعروفة للعالم ولم يعد هنالك جيوش ولا حكومات متبقية، فقط بعض البشر المسالمين الذين جلسوا في الخفاء يتضرعون إلى الله ألا يمسهم الضرر كله وأن يساعدهم على النجاة، ثم توقفت الحرب فجأة مثلما بدأت، ولكنها لم تترك شيئًا كما كان، حتى نفوس البشر.

خرج الناجون من مخابئهم يطلبون العون، ولكن القطيع صيدٌ سهلٌ والفرصة في النجاة هي التفرق، وفي وسط هذا الخراب استطاع سليم وصديقه طارق الخروج بأقل الخسائر، وبما أنه قد حان وقت الخروج من الجحور الآن؛ تأهبا وعائلتيهما.

- هنخرج نروح فين بس يا سليم؟ هنا أحسن، هنا قدرنا نستخبى شهور من بعد الحرب.

- وما بقاش فيه حاجة نستناها يا ليلى، لازم نتحرك.

- هنروح فين ببطني دي بس؟

- أهو علشان اللي في بطنك دا لازم نبدأ نتحرك، لازم نلحق نسرق لنا أدوية ولبن، دا لو كان فيه!

- وطارق وفريدة هيجوا معانا؟

- طبعًا هيجوا معانا، زي ما بدأناها سوا هننهيها سوا.

- بس أنا خايفة.

اقترب منها والفزع يتخفى داخل عينيه في محاولةٍ بائسة منه أن يُطمئنها.

- كلنا خايفين بس لازم نتحرك، ما فيش حد يقول لنا نعمل إيه ولًا نروح فين غير نفسنا.

- أكيد فريدة كمان مرعوبة على ولادها، كريم مقدور عليه بس الصغير هيتسيطر عليه إزاي؟

- كله هيتعدّل، طارق دا صاحب عمري وأنا هاطمن أكتر لو كنا كلنا سوا، لو حصل لي حاجة أنا واثق إنه هياخد باله منك ومن ابننا اللي جاي.

وضعت يدها على فمه لتحاول تكذيب هذه الفكرة المرعبة وهي تبكي بصمت، ولا يوجد حل سوى الدعاء الآن.

اعترتهم الفرحة حين علموا جميعًا بمرور اختبار حليمة وياسر بخير، والآن عليهم البدء في ترتيبات الزواج والخطوبة وكل ما هو جميل ويدعو إلى السرور، لكن حين جلسوا سويًّا عادت مِهاد لتسأل تيماء عن إكمال الدرس المطلوب؛ مما أثار في نفس تيماء تساؤلات عديدة، لتنظر إلى والدها بهدوءٍ وتبادر بالحديث قائلةً:

ـ هو ليه ما ينفعش أنا واللي زيي نتجوز من بعض؟

رفع عينيه من أسفل نظارات القراءة الخاصة به وتطلع بها ليسأل عن سبب السؤال المفاجئ.

ـ ما فيش، أصل أنا رُحت عملت فحص النهاردا، وكنا كلنا متجمعين في المكتب سوا وحسيت إن السؤال جه في بالي فجأة.

ابتسم بهدوءٍ وقال بكل ثقة:

ـ علشان مش منطقي يا تيماء.

ـ إزاي مش منطقي؟

ـ إنتِ عارفة ليه بتعملي فحص كل شهر بدل ٣ شهور؟

ـ علشان نسبة إني أحتاج آخد كميات أكتر من المصل أكبر من غيري، لأن ممكن أكون ورثت جينات منهم.

ـ يبقى مش منطقي تتجوزي واحد يكون من المحتمل تكون جيناته واخدة منهم.

ـ ليه؟ هيحصل لنا إيه؟

ـ مش إنتم اللي هيحصل لكم، أولادكم.

ـ مالهم؟

- لو إنتِ ممكن بنسبة ٥٠٪ يحصل لك خلل في المشاعر بسبب جيناتك وتكوني بتحتاجي تزودي كمية المصل وتتجوزي واحد معتدل بنسبة ١٠٠٪ دا بيخلي احتمالية وراثة ولادك لجيناتك إنتِ قليلة، فـ بيقلل خطورة نشأ جيل كامل مبالغ.

- بس لو اتجوزت واحد عنده نفس النسبة زيي كدا الخطر هيكون أكبر وأولادنا بنسبة كبيرة هيطلعوا مبالغين.

ابتسم وهو يتأمل وجهها المُفكر البريء وقال وهو يقترب منها:

- إنتِ كويسة، «**فالأطفال بالفطرةِ معتدولون وبالتربيةِ مُبالغوون**».

- ياه، هو انت حافظ النص كله؟

- طبعًا، دا تاريخنا وأنا باحب التاريخ جدًّا خصوصًا لو كنت عشت فيه.

- طب ليه بيفحصوني كل شهر؟

- علشان الاحتياط واجب، طب ما همَّا بيفحصوني أنا ومامتك واخواتك كل تلت شهور، المشاعر دي مرض وممكن يجي لأي حد لو ما أخدش باله كويس.

تنهدت وهي تُمسك بيدها كتاب التاريخ الخاص بمِهاد وقالت بمرارةٍ:

- بس همَّا زودوا لي الكمية النهاردا.

جاءت دعاء بسرعةٍ إليهم وهي تسأل باهتمامٍ:

- ليه يا تيماء؟ قالوا لك السبب إيه؟

ـ آه، هي قالت لي إن الوقت دا بيكون حسّاس بالنسبة للبنات، بالذات لو حد قريب منهم بيتجوز وهمًا عندهم قلق من الجواز بشكل عام.

اقتربت والدتها منها وسألت بهدوء:

ـ إنتِ عندك قلق من الجواز إزاي؟

ـ خايفة ما حدش يرضى يتجوزني.

ـ القلق من الجواز شيء طبيعي ومنطقي.

ـ هي قالت لي إنه مش عالي خالص، القلق معدِّي المعدل الطبيعي بدرجة واحدة بس.

ابتسمت والدتها وهي تقول بارتياح:

ـ طب وهي دي حاجة تقلق؟ البنات عامةً بسبب طبيعة الجسم كل شهر بتعلى النسبة معاهم حاجات بسيطة وبترجع للمعدل الطبيعي تاني، ابقي ظبطي مواعيد كشفك بعيد عن الأيام دي.

ابتسم عادل والدها وقال بسخريةٍ وهو يتفحص هاتفه:

ـ أصل فيه شوية حاجات كدا مهما العلم اتقدم مش هيعرف يغيرها للستات.

ابتسمت تيماء وهي تشيح بوجهها بعيدًا عن والدها، ثم تطلعت بشقيقتها الصغرى وهي تلعب بأقلامها، وتذكرت شعورها وهي طفلة حين كانت تود أن تعرف كل شيءٍ وكأنها تعيشه. نظرت إلى والدها مجددًا ثم قالت:

ـ أنا نفسي أعرف كل حاجة.

- سهلة، اشغلي نفسك بالقراءة، روحي المكتبة الأم واستعيري أحسن كتب تاريخ موجودة عملها مؤرخين من فريق سديم نفسه.
- فيه كتب كتير؟
- فيه كتب كتير طبعًا، بس خليكِ في أصول الكتب مش وجهات نظر الكُتاب.
- تفرق في إيه؟
- التاريخ الأصلي هو الحدث زي ما حصل بالظبط، إنما كتابات الرجالة العواجيز اللي زي حالاتي كتبوا اللي شافوه ورأيهم، بس أنا عايزك تقرأي الحقيقة على لسان صاحبة المعجزة نفسها.

تناول كل منهم كميته المحددة من المصل، ثم اتجه الأب إلى غرفته، واتجهت الفتاتان إلى غرفة تيماء لتجلس معها حليمة قليلًا قبل النوم.

- هتعملوا إيه بقى في الأوضة بتاعتي لما أمشي؟
- مش لمّا تمشي الأول! هنفكر في حاجة لسا بدري عليها ليه؟
- معاكِ حق، مش منطقي، عمومًا الأفكار هتيجي لكم على طول أول ما الأوضة تفضى.
- تفتكري ولادي هيطلع فيهم مشكلة؟
- ياااه عليكِ يا تيماء، حبيبتي إنتِ كويسة وزي الفل، لو كان فيكِ مشكلة كانوا هيبلغونا وهيعالجوكِ.

- هي المشاعر لما بتيجي ليها علاج؟!
- أكيد.
- عرفتِ إزاي؟
- ما اعرفش، هو ما حصلش إنها حصلت لحد.
- لو كانت ليها علاج كانوا عالجوا المُبالغين بدل ما يسيبوهم.

اعتدلت حليمة في فراشها وتطلعت إلى شقيقتها وقالت بتعجبٍ:

- همَّا المُبالغين راحوا فين؟
- ما اعرفش، النص ما قالش همَّا فين.
- عارفة أنا نفسي أقدم على شغل في المبنى العظيم واشتغل على علاج يتخلص من المشاعر لما تيجي علشان متخافيش منها.
- ياااه، تبقي ريحتيني ووفرتي علينا كلنا.
- عليكم اللي همَّا مين؟
- أنا وكل اللي فيه ناس متبنينهم زيي.
- طب نامي يا تيماء علشان مش منطقي اللي إحنا بنعمله دا وما فيش منه فايدة.
- معاكِ حق، تصبحي على خير.

اتجهت حليمة إلى المصباح لتغلق الأنوار، ولكنها ألقت نظرة أخيرة على شقيقتها وقالت وهي تبتسم:

ـ على فكرة أنا ما كُنتش بهزر لما قلت إني هاقدم علشان أكون في فريقهم جوة وأحاول أوصل لعلاج.

في الصباح التالي استيقظ الجميع في موعدهم اليومي في تمام السادسة صباحًا واستعد كل منهم ليومه بطريقته الخاصة، أعدت والدتهم الفطور ليجتمعوا سويًّا على طاولة الطعام.

ـ قررتوا هتعملوا إيه يا بنات؟

ابتسمت حليمة بشغفٍ وقالت وهي تبتلع طعامها:

ـ أنا هاقدم النهاردا على شغل في المبنى العظيم.

ابتسمت والدتها وقالت بتعجبٍ:

ـ هتقدمي على إيه؟!

علت عينيها نظرةُ المكر وهي تبتسم لتيماء.

ـ لأ مش حاجة محددة، هاشوف همَّا محتاجين إيه، أكيد أي شغل في المبنى العظيم هيكون شرف ليّا، وكمان هيكون محتاج دراسة وأبحاث كتير قبل ما أبدأ أصلًا.

رفع والدها فنجان القهوة وقال مفكرًا:

ـ بس مش دايمًا بيكون فيه فرص شغل في المبنى العظيم يا حليمة.

ـ أنا عارفة، هاروح أسأل في إدارة التوظيف، ولو ما لقيتش حاجة حابّاها مش هاقدم هناك.

قاطعت تيماء شقيقتها وقالت بخبثٍ واضح:

- وإيه بقى الحاجة اللي إنتِ حاباها؟!

ضحكت حليمة بصوتٍ مرتفع، فتعجب الوالدن، فقالت مسرعةً:

- أي حاجة في المجال الطبي مثلًا، أو في فريق الأبحاث.

تطلعت الصغيرة لشقيقتها الكُبرى بفخرٍ وقالت:

- أيوة يا حليمة، أنا كمان عايزة أكون دكتورة علشان أحمي كل الناس من مشاعرهم وما حدّش مشاعره تموّته أبدًا.

قالت والدتهن بتأففٍ:

- كفاية كلام عبيط، مش منطقي تدرسي كمان سنتين علشان تتوظفي، ما تشتغلي حاجة من الوظايف المطلوبة اللي تمهيدها بتاع كام شهر دول.

قالت تيماء وهي تحتسي كوب الشاي:

- أنا كمان هاعدِّي على إدارة التوظيف علشان أسأل إيه الوظايف المطلوبة الفترة دي.

نظرت والدتهن إلى حليمة ثم قالت:

- ما تعملي زي أختك، ليه يعني تروحي تشتغلي في وظيفة مش محتاجينها في الوقت الحالي؟

- أنا قلت بس أجرب حظي يمكن يكون فيه تقديم على قسم الأبحاث هناك.

ابتسمت تيماء وقالت وهي تقصد إزعاج شقيقتها:

ـ أنا عن نفسي أي وظيفة محتاجينها هاكون مرتاحة وأنا حاسة إني بأدي دور مهم.

وقفت دعاء وهي تمسك بالأطباق الفارغة لتضعها بالمطبخ.

ـ أهو دا منطقي، إنما نزود سنين دراسة وانتِ خلاص هتتجوزي علشان وظيفة مش محتاجينها مش منطقي خالص!

ـ يا ماما أنا هاسأل، وبعدين ما أنا هاسأل في الإدارة لو مش عايزين هيقولوا لي.

ـ طيب خلاص مش مهم، روحوا سوا بقى الإدارة.

وقفت تيماء وهي تتأهب للرحيل وقالت:

ـ لأ أنا هاخد مِهاد أوصلها المدرسة وهاعدي على المكتبة الأم أستعير شوية كتب زي ما بابا اقترح عليّا امبارح.

ابتسم والدها وهو يستعد للذهاب هو الآخر وقال لها:

ـ شاطرة، ما تنسيش.. أصول الكتب.

ـ مش هارجع غير بأول وأقدم كتاب اتعمل عن تاريخ المدينة.

خرج الصديقان ليكتشفا لأول مرة من شهور طبيعة الحياة بالخارج، وليجدا العدم هو الوجه السائد الآن.

ـ هي الناس فين يا طارق؟

سألت فريدة زوجها وهي تتحرك ببطءٍ وفي حِضنها طفلها ذو الأربع سنوات، تخفي وجهه بداخل صدرها حتى لا يرى بشاعة المشهد بالخارج.

- أكيد كله مستخبي، سليم خليك معاهم هاروح أشوف أكل في المحل دا، تعالى معايا يا كريم.

أمسكت فريدة بيد ابنها الأكبر كريم وقالت بحزم:

- أنا ولادي مش هيغيبوا عن نظري ثانية أنا بقّول لك أهو.

اقتربت ليلى من صديقتها لتُهدئ من توترها الواضح على كل حركاتها، فانتفض طارق وهو يتحدث بحدةٍ دون أن يرفع صوته حتى لا ينتبه أحد إليهم.

- يعني إيه إن شاء الله؟! كريم عنده ١٢ سنة يا فريدة ولازم يروح معايا ويقف ويدافع عنك وعن أخوه لو حكمت.

- لأ يا طارق، أنا ما استخبيتش كل دا علشان أحافظ عليه ويروح مني في ثانية.

كان طارق على وشك أن يفقد أعصابه ولكن بادر سليم بالحديث هذه المرة وبكل هدوءٍ خاطب الجميع قائلًا:

- اللي مش هيتعلم يدافع عن نفسه هيموت، إحنا أصلًا مش عارفين مصيرنا إيه، لا عارفين رايحين فين ولا مين موجود معانا، الخراب حواليكم أهو وأكيد شايفين، كريم راجل ولازم يتعلم يقف لنفسه قبل ما يقف لحد.

بدأت فريدة في البكاء بصمت، دموع تسيل وقلب يعتصر في سكونٍ تام.

- ما حدّش فينا عايش، لو متنا كلنا علشان نحميه هيموت بعدنا بثواني، لو بتحبي ابنك سيبيه يتعلم يعتمد على نفسه ويقف مع أبوه.

وضعت ليلى يدها على بطنها لتتحسس جنينها وكأنها ترجوه ألا يأتي إلى العالم أبدًا، لن يكون الوضع سهلًا بوجود رضيع يبكي طوال الوقت، لن تتحمل فقدانه وربما لن تتحمل آلام الولادة بلا أطباء أو مستشفيات، وربما لن تنجو ولن ينجو صغيرها. انتبه سليم إلى يد زوجته التي تتحسس بطنها وقال:

- متخافيش يا ليلى، كل شيء بأوانه وربك هو الحافظ.

تأهب طارق للذهاب وأمسك يد ابنه الأكبر، فقاطعه سليم قائلًا:

- راجل من كل عيلة يا طارق.
- يعني إيه؟
- يعني أنا وكريم اللي هنروح، راجل من كل عيلة.

نظر إلى فريدة التي ما زالت تبكي وقال لها:

- كريم دا ابني، ولو حياته قصاد حياتي مش هاتردد لحظة، ولّا انتِ عندك شك في ده؟

نظرت إليه وعيناها تملؤهما الدموع، وعينا طارق تتعلقان بابنه وهو يرحل مع صديقه، أما عن ليلى فقد شاركت صديقتها البكاء

خوفًا على زوجها الذي ذهب الآن ولا تعلم متى سيعود وإن كان سيعود أم لا؟

لم يكن قانون البقاء سهلًا ولا يمكن لك التعامل معه بعقلك البشري النمطي، فعادات البشر قد طمثت، والآن أنت حيوان يفكر، تحمي عائلتك فقط، لا إنسانية ولا عزاء لأي مخلوقٍ سواك، كل من هو ليس من دمك فصيل مختلف وعليك المحاربة من أجل نفسك.

تحرك سليم ومعه كريم ببطءٍ وحذر يحاولان الحصول على أكبر قدرٍ من الطعام ولعلهما يجدان حليبًا للصغير، كان سليم يُملي على ابن صديقه التعليمات طوال الوقت: «**اخفض صوت أنفاسك، لا تنظر إلى الجثث الملقاة على الأرض، تحرك ببطء، لا تخطُ على الدماء فتترك آثارًا**» حتى وصلا لآخر نصيحة توقف عندها الاثنان وهما ينظران إلى جثةٍ أمامهما؛ «**لو الدم اللي ع الأرض لسا سايل وبينتشر يبقى خد بالك، اللي قتله قريب من هنا**».

تقدم سليم ببطءٍ وهو يتلفت حوله بحذر، أربع خطوات فقط ثم رأى شخصًا غريبًا يركض نحوهما بسرعة وهو يصرخ بغلظة وبيده سكين يلمع في ضوء النهار، صرخ في كريم أن يركض بعيدًا ووقع ليتعارك مع الغريب وهو يسأل:

- ليه؟ امشي وما حدش هيعمل لك حاجة.

ولكن كانت عيناه تتسعان بشكلٍ مرضيّ ويبدو عليه الهلع، فيحاول قتله ليشتد العراك بينهما وما زال سليم لا يفهم سببًا للهجوم. سقط سليم أرضًا وهذا الغريب من فوقه وكان على وشك النيل منه لولا أن سمع صوت حجرٍ يرتطم بعظامٍ بشرية ليسقط الغريب فوقه

وتسيل الدماء من رأسه وخلفه يقف كريم ممسكًا بحجرٍ كبير وتكسو وجهه نظرات الفزع. وقف سليم مسرعًا ليلتقط الحجر من يد كريم ويلقيه على رأس المعتدي ليتأكد من موته، ثم اقترب من الصغير وأمسكه بهدوءٍ وهو يتمتم في أذنه:

- متخافش يا كريم.

- أنا اللي قتلته؟!

- أيوة إنت اللي قتلته.

بدأت الدموع تسيل من عينيّ الصغير وهما تحملقلان في أول جثةٍ تسقط بسببه.

- دا مش معناه إنك تحس بالذنب.

- بس أنا قتلت!

- القتل زمان كان حرام، دلوقتي القتل واجب، إنت قتلت يا كريم.

- ...

- إنت قتلت ودا مش معناه إنك تزعل أو تخاف، دا معناه إنك مش هتخاف تقتل بعد كدا، مش هتخاف تدافع عننا.

- ما كانش قصدي.

- المرة الجاية لازم يكون قصدك، حياتك قصاد حياته وحياتك أهم.

وقف يفكر في كلمات سليم وهو يصارع البكاء، سيتفهم كل شيءٍ لاحقًا، سيتفهم أن القتل مهارة مطلوبة في الأيام القادمة، وأنه سيحتاجها للنجاة، للصيد والتعايش، فعليك التعايش مع أشباح ضحاياك الآن مهما كان صعبًا؛ فأنت لا تملك رفاهية الاختيار.

- يللا امسك مني العربية دي وجمع فيها كل المُعلبات اللي ممكن تلاقيها.

- لأ أنا هاروح أشوف لبن للبيبي.

وصلت إلى المكتبة الأم واتجهت مباشرةً إلى مكتب موظفة الاستقبال لتسألها عن قسم التاريخ، فأرشدتها إليه بوجهٍ باسم، فسألتها:

- هي أصول الكتب ينفع تطلع استعارة؟

- كل أصول الكتب معمول منها نسختين للاستعارة.

- شكرًا.

اتجهت إلى صفوف قسم التاريخ وهي تتصفح الكتب بتشوقٍ لمعرفة أصل الحكاية وكيف بدأت، ظلت تبحث عن نسخ أصول الكتب حتى وصلت إلى ممرهم، وظلت تتبع الصف حتى وصلت إلى كتاب بعنوان «**معجزة سديم**»، ولكنها لم تجد أيةَ نسخة من الاثنين، التفتت لتجد شابًا يقف خلفها في سكونٍ تام وبيده الكتاب الذي تبحث عنه، لاحظ اهتمامها بالكتاب في يده ولكنه ظل ساكنًا بلا حراك.

- هو انت هتستعيره كام يوم؟

- لأ أنا جاي أرجعه أصلًا.

ـ طب الحمد لله، أنا متشوقة جدًّا أقرأه.

ناولها الكتاب فتطلعت بغلافه جيدًا وهي تبتسم، فبادلها الابتسامة ورحل في هدوء. اتجهت نحو الموظفة لتسجل استعارة الكتاب، وتوجهت إلى الخارج حتى تصل إلى إدارة التوظيف في الموعد المناسب.

أما حليمة فقد أنهت مشوارها مبكرًا فذهبت إلى المدرسة وسلمت ورقة صغيرة على الباب الخارجي، ثم دخلت تتتجول وتتأمل في المباني والمساحات الكبيرة الجميلة، وجلست في الساحة الرئيسية تستشعر الهواء حولها وتتأمل كل تفاصيل المدرسة. التقطت هاتفها وأخبرت والدتها أنها ستقل مِهاد اليوم في طريق عودتها.

ـ طب طمنيني عملتِ إيه في إدارة التوظيف؟

ـ لما أرجع هحكي لك كل حاجة.

عادت والدتها إلى العمل وأكملت هي تأملها حتى سمعت جرس نهاية الفترة الأخيرة ليُعلن عن موعد الخروج، لتقف مع الأهالي بانتظار أطفالهم عند الباب المخصص للخروج وهي تبتسم. استعادت الورقة من على البوابة وانتظرت حتى رأت مِهاد تأتي مسرعة باتجاهها وهي تبتسم.

ـ عملتِ إيه في المدرسة النهاردا؟

ـ أخدت حاجات صعبة أوي.

ـ ما فيش حاجة صعبة لو ركزنا فيها كويس.

وصلتا إلى المنزل لتستقبلهما دعاء بابتسامةٍ لطيفة وهي تقول:

ـ يا ريت كل يوم بقى تاخديها من المدرسة، وفرتي عليّا مشوار بعد الشغل.

ابتسمت حليمة ولم تقل شيئًا، فجاءها صوت تيماء من خلفها وهي تسأل بفضول:

ـ عملتِ إيه في إدارة التوظيف؟

ـ إنتِ رُحتِ؟

ـ لأ، كنت متشوقة جدًّا أقرأ الكتاب اللي جبته وقلت هاروح بكرة أو أسألك قالوا لك إيه عن الوظايف اللي محتاجينها وافكر هنا براحتي.

ـ ماكانش فيه وظايف في المبنى العظيم في مجال البحث والطب، كان فيه وظايف إدارية بس.

ـ طب الحمد لله.

قالتها والدتها وهي تضع الوعاء على النار.

ـ طب وقالوا لك إيه اللي محتاجينه علشان أفكر؟ والأهم إنتِ اخترتِ ولا لسا؟

ـ قالوا محتاجين وظايف إدارية في أماكن كتير ومدرسين وممرضات وعاملين بمكاتب الاختبارت.

ـ مش محتاجين وظايف إدارية في المكتبة؟

ـ هي المكتبة عجبتك أوي كدا؟!

ـ بصراحة، هي جميلة أوي وحسيت إن طالما باحب القراءة كدا أشتغل فيها، وأهو يبقى دايمًا قدامي فرصة

أقرأ واعرف كل الكتب المفيدة وسهل عليّا أشوفها، وكمان أشوف أصول الكتب اللي ما حدش بياخدها وهي مكتوبة بالخط الأصلي بقى وكدا.

ـ إيه كل ده؟! ماعرفش، ما سألتش على حوار المكتبة دا.

ـ أومال إنتِ قررتِ إيه؟

ـ أنا هابقى مُدرسة.

ابتسمت وذهبت باتجاه الموقد لتخفض حرارة النار من على الوعاء قليلًا وهي تقول مداعبةً والدتها: «**كدا تشيط يا ماما**»، ثم ابتسمت وأكملت:

ـ وكمان هاخد مِهاد كل يوم معايا وأنا رايحة وأنا راجعة، أي خدمة.

ـ وفكرتِ هتبقي مدرسة إيه؟

ـ لسا ما قررتش يا ماما، همَّا كانوا محتاجين مدرسين علوم ومشتقاتها وتاريخ.

ابتسمت تيماء وقالت بسرعة:

ـ اطلعي مدرسة تاريخ طبعًا.

ـ أنا كنت بفكر في فرع من فروع العلوم وغالبًا أحياء.

ـ حلو برضة.

ـ طب ما تشتغلي إنتِ مدرسة تاريخ يا تيماء ونشتغل سوا في نفس المكان ونروح ونيجي سوا لحد ما اتجوز واشوفك كل يوم برضة.

ابتسمت تيماء بطفوليةٍ وقالت بحماس:

- طب والله فكرة، بصي أنا هاقرأ الكتاب اللي معايا، لو عجبني أوي هاروح أقدم وأذاكر تاريخ أكتر وأتدرب وأشتغل مُدرسة كمان، بس هاسأل الأول لو فيه وظيفة إدارية في المكتبة الأم هاروح.
- يا رب يطلع ما فيش!

ضحكت تيماء وهي تلتقط بعض حبات العنب من طبقٍ بجانبها وسألت:

- بس إيه اللي جاب اللي كنتِ عايزة تعمليه في المبنى العظيم للشغل في المدرسة؟
- بسيطة يا ستي، أنا كان نفسي أأثر في حياة الناس وأساعد شوية منهم لو تعرفيهم ما يخافوش هاه، وتاني أحسن حاجة إني أأثر في عقول جيل كامل هيطلع لسا قدام.
- يا سلام، عظيمة إنتِ يا حليمة وأحلامك عظيمة معاكِ.
- دي مش أحلام دا المنطق، مش منطقي إن حياتك تخلص وانتِ مأثرتيش في حياة الناس ولا كان ليكِ لازمة.
- موظفة المكتبة بقى ليها لازمة في توجيه عقول الشباب للكتب المستهدفة بسهولة قبل ما يزهقوا ويقرروا يمشوا من غير ولا كتاب.

قالتها وهي تبتسم، ثم اتجهت إلى غرفتها وتطلعت بالكتاب وهي متشوقة لتتفقد صفحاته، أمسكت به وجلست على فراشها

تتأهب لتعرف كل شيءٍ عن أسطورة المُبالغين وكيف نجى العالم من هذا الوباء.

«كانت معالم هذا الكون تختلف كثيرًا عما نعرفه الآن، كان البشر بعض الهمج تتحكم بهم أهواؤهم حتى خرجت عن السيطرة؛ الكثير من الأفعال الغير مبررة، والعديد من المجازر والحروب، لا مبرر ولا دليل قاطع يخبرنا من بدأ الفتنة، كلهم مُبالغون ولم يلحظ أحد.

كان لا بُدَّ للحرب أن تنتهي، وكان على البشرية أن تحفظ ما تبقى منها. اشتعلت الحروب الأخيرة مما أدى إلى هلاك نصف البشر، قتلى وهاربون في كل مكان، لم يعد مخلوق يهتم بالجنسيات ولا الأديان، فقد تساوى الجميع؛ كلنا هالكون.

هاجر من تبقى ليبتعد عن أطلال مدينته وبقايا منزله، تفرقت القبائل وتجمعت بعض الأسر سويًّا كل ما يجمعهم لسان حالهم، ضاقت الأرض فسكنوا جميعًا في مكانٍ كان لا زال به بعض الخيرات والثمار التي لم تُنهب. اجتمعت سديم برجالها المعتدلين، وشيدت المبنى العظيم، نادت على البشر أجمعين بلا تفرقة. كان لا بُدَّ أن نبقى فتفرقنا، ودعنا المُبالغين في صحراءٍ بعيدة، واحتفظنا بكل من هو أصغر من عامين بلا تشخيص، فالأطفال بالفطرة معتدولون وبالتربية مُبالغون. انتصرت البشرية وعاشت بنظام سديم في أمان، لا يبالغ أهلها ولا يهلع بلا منطق، فالمنطق هو سيد المدينة والدواء هو منقذها، لقد وهبت نعمة الكفة الصالحة ولن تُهزم أو تهلك ما دمت معتدلًا».

هذا النص الذي يعاد على أذنيها منذ الصغر، بدأت تحفظ كلماته كما يحفظها والدها، ثم أكملت القصة:

«المُبالغون هم مرضى المشاعر، هذا المرض اللعين الذي يجعل كل من يُصاب به يشعر وبشدة، يجعلك تستيقظ ليلًا لتفكر في أشياءٍ لا تبدو منطقية ولا مغزى منها الآن، ترهق جسدك وتشغل عقلك بما لا ينفع أبدًا، تجعل الأنثى تشك بلا دليل والرجل يغار بلا منطق، يطلب الأطفال بسببها اهتمامًا فوق الاهتمام، مرض أهلك البشر سنوات طويلة حتى نشأت الحرب، انساق قادة العالم وراء تفكيرهم اللامنطقي حتى أعلنت حالة الحرب وكانت المشاعر هي سبب الدمار، قتل الناس بعضهم البعض وكان من الممكن أن تتوقف الحرب لولا أن ساقتهم مشاعرهم إلى السرقة والتخريب، الاعتراض في وسط الشغب، وتفضيل الموت عن البقاء فيأتي الانتحار (هو قتل الإنسان لنفسه بلا سبب منطقي).

جن جنون البشر فاستمرت الحرب كثيرًا، هنا علمت سديم أن المشاعر هي داء البشر ولا بُد التخلص منها، لا بُدَّ من السيطرة على معدل الشعور حتى يسود المنطق المتفق عليه، منطق الفطرة التي يُخلق بها الإنسان، فشيدت المبنى العظيم، واختبأ به فريق كبير يعمل ليلًا ونهارًا على تحقيق هذه المعادلة الصعبة، حتى توصلت إلى مصل المنطقية، ولكن لم تكن الكميات كافية للجميع، وبعض الحالات قد وصلت حد اليأس.

مرت دوريات مدربة من جيش سديم في البلاد المختلفة تناشد كل من خرج حيًّا أن يأتي إليها حتى يشيدوا معًا مدينة أخرى

خالية من الفوضى، ولكن ظل الانقسام سيد الموقف، النزاعات بين الأفرد والضجيج والصراخ في كل مكان، بعض البشر قد تملك منهم المرض ولا مجال لمداواتهم، وهنا جاءت خطة سديم العظيمة؛ بعدما اجتمع الناجون جميعًا مر رجالها على كل الخيم المنصوبة يطلبون من أهلها الخضوع لفحوصات المشاعر».

قطع والدها تركيزها وهو يتأمل استغراقها في صفحات الكتاب بابتسامةٍ وهو يقول:

- تعرفي إني كنت من أول الناس اللي قرأت الكتاب دا لما عملوا منه نسخ استعارة؟

إبتسمت بهدوءٍ وقالت في تعجبٍ:

- بس ليه؟ إنت وماما حضرتوا الأحداث بنفسكم.
- معجزة سديم مش مجرد أحداث حصلت لينا أو للمُبالغين، دي مجرد مقدمة لمعلومات كتير مهمة لسا هتشوفيها.
- أنا كنت لسا بفكر ليه كل الحكاية أو القصة موجودة في المقدمة والنص كمان كام صفحة، قلت لنفسي أومال باقي الكتاب بيقول إيه؟!
- الفصل بينا وبينهم كان البداية للنظام بتاعنا حاليًا وحياتنا المستقرة دي، الكتاب دا بيحكي لك الحكاية الأهم، تجارب سديم وأفكارها وخططتها الذكية علشان تتفادى حرب تانية كان ممكن تقوم وتنهي على اللي اتبقى منِ البشر.

- كان ممكن يحصل حرب غير الحروب اللي دمرت الحياة؟
- وريني كدا إنتِ وقفتِ فين؟

أشارت بإصبعها إلى آخر كلمات وصلت إليها، فابتسم وقال:

- دا الجزء اللي إنتِ واقفة عنده؟
- آه، قل لي إنت إزاي؟
- مش هتكملي قراءة؟
- لأ هكمل، احكي لي إنت الجزء دا ومن بعده هادخل على الملحمة وبعدها تجارب سديم على طول.

ابتسم وهو يتطلع إلى صغيرته التي ما زالت تعشق سرد الحكايات وتعتبر والديها أبطال حربٍ لأنهما كانا هناك وقت المعركة.

- لو كانت قالت إن دي اختبارات مشاعر ما كانش حد هيهتم ولا هيروح، بس ما كانش دا اللي شاغل بالها، كان شاغل بالها إن حتى الطبيعي مننا كان هيحس بضغط وهو بيعمل الاختبار وممكن دا يؤدي لمشكلة في النتيجة.
- زي ما ممكن يحصل دلوقتي لو حد راح عمل الاختبار وهو تعبان.
- بالظبط كدا، والعظيم في الموضوع إن عقلها كان قادر يكون مُرتب كدا والحياة من حواليها خراب، وقدرت تعمل الاختبارات لكل اللي اتبقى، دي بعتت ناس

من فريقها يدوّر في العالم عن ناس لسا عايشة علشان تضمهم لينا حتى بعد ما عملنا المدينة.

- يااه، كانت مهتمة أوي كدا بحياتنا؟

- كانت مهتمة نعيش، الحفاظ على نوع الجنس البشري واجب إنساني وعقائدي، علشان كدا كل حاجة هنا بتمشي بنظام الحفاظ فيه على الأفضل أولوية المدينة.

- طب والمُبالغين راحوا فيِن؟

- بعد ما عملنا الاختبار كنا عايشين في خيم مترصصة جمب بعض كدا، في يوم لقينا فريق سديم بيعدي علينا وبينقلنا في عربات كبيرة لمكان المدينة دي دلوقتي، ووقتها سديم خطبت فينا الخطبة الأولى.

ساد الصمت فجأة وعيناه تميلان إلى البكاء ولكنه يكابر.

- كانت أعظم وأصعب خطبة ممكن تسمعيها، بصينا حوالينا يمكن نلاقي الناس اللي كنا نعرفهم وعيشنا سوا أكتر من شهر في خيم ومجتمع جديد بعد خراب ومجهول، كانت أول مرة من كتير نتجمع مع بشر ويكون لينا جيران مش عايزين يموّتونا أو خايفين منهم.

- كنت بتحب المُخيم أكتر؟

- لأ طبعًا، المدينة بتاعتنا أحلى وأعظم، بس المُخيم كان أول شعور بالأمان والدفا بعد تعب وخوف وهروب كتير، المهم سديم بلّغتنا إننا طبيعيين وفهّمتنا أصل الاختبار بعد ما كان فريقها عدّا علينا بأدوية ومَيّه وأكل، وفهمتنا

إحنا أخدنا إيه وقالت لنا إن المصل دا هيخلينا معتدلين وكل فرد ليه جرعات بتناسبه.

- سبتوا المُبالغين في المُخيم؟

- كان المفروض يعيشوا هناك، سديم كانت عايزة تفصل بينّا بس ما كانش ينفع تتخلى عنهم، دي حتى أخدت كل الأطفال اللي سنهم سنتين أو أقل، أخدت اللي أمه قدرت تفضله على نفسها وتعرف إن دي الحياة الأحسن له، وطلبت منهم إنهم يستنوا سنة ولا أكتر لحد ما تتوافر كميات أكتر من المصل، فتبدأ تحاول معاهم، لكن ما قدروش يستنوا.

- حصل إيه؟

- لما رجع فريق سديم علشان يبعت لهم أكل ويشرح لهم نظام حياتهم لحد ما نقدر نوفر حل أو علاج رادع للمشاعر لقوا أبشع حاجة ممكن تحصل.

ترقبت تيماء سماع الجزء الذي تتشوق لمعرفته.

- الفريق لقاهم بيموتوا في بعض، حالات انتحار جماعي وفوضى، المُخيم كان نصه قتلى والنص التاني في حالة هيستيريا وبيقتلوا في بعض وبيولعوا في كل حاجة.

- يعني إيه هيستيريا؟!

- الهيستيريا دي حاجة كدا شبه تصرفات كتير غير منطقية وصوت عالي وعياط وصريخ غير مبرر بيصاب بيها المُبالغون لما ما بيقدروش يستوعبوا الموقف اللي هم فيه.

- يعني المُبالغين قتلوا بعض يا بابا؟!
- للأسف، لو كانوا بس استنوا شوية! حاليًّا المصل متوفر والحياة أفضل.

أصابها حزن بسيط على حال هؤلاء المرضى بالمشاعر، فقد قتلتهم بالفعل: ابتسمت حين وجدت والدها يتطلع بها باسمًا.

- عارفة أحلى حاجة سديم عملتها إيه؟
- إيه؟
- إنها أخدت معاها جزء من الأطفال قبل ما تمشي من المُخيم وإلا ما كانتش حياتي هتبقى كاملة من غير وجودك فيها.

ابتسمت واقتربت منه لتحتضنه وهي تقول بهدوء:

- أنا كدا اتشوقت أقرأ باقي الكتاب.
- هيعجبك جدًّا، اللي حكيته دا ما يجيش حاجة قدام اللي هتعرفيه عن

المدينة بتاعتنا وبدايتها وتاريخها ونظامها من ساعة ما بدأت.

خرج والدها من الغرفة واستعدت هي لتُكمل القصة من حيث توقف هو.

مرت أسابيع على ترحالهم من هنا لهناك بلا هدفٍ ولا جدوى؛ يبحثون عن المؤن والسكن في كل مكان، ولكن الخوف هو السائد، فليس من الصواب أن يستقروا في مكانٍ واحد. اتخذوا من بقايا هذا

المبنى ملجأ لهم منذ خمسة أيام حين أصاب ليلى الإعياء الشديد وعدم القدرة على الترحال بكثرة بسبب الحمل. تناوب الرجال على الحراسة ومن ضمنهم كريم، فهو الآن من حماة الأسرة حتى وإن لم يرغب في ذلك، وكانت نوبته قد بدأت حين سمع صوت صراخ شديد غير معتاد بالداخل؛ استيقظ الجميع فورًا حين سمعوا ليلى تخبرهم بأنها على وشك الولادة الآن.

خرج طارق ليطمئن على كريم ويطلب منه الحذر إذا سمع أحدهم قادمٍ بأي وقت وهرع إلى صندوقٍ قد وضعوا فيه مقصًا ومفرشًا نظيفًا استعدادًا للولادة، وبدأ في تسخين بعض المياه كما طلبت منه فريدة. كان الألم لا يُحتمل وهلع ليلى من الموقف كان يجعله أسوء وأسوء، فعليها أن تضع جنينها بلا مستشفى ولا أطباء وحولها خراب بكل مكان، حتى فراشها غير معقم وليس نظيفًا، كل هذا بالإضافة إلى خوفها من المجهول؛ فلماذا تجلب فردًا ليتذوق كل هذا العذاب معها وقد لا ينجو؟

ساعدتها فريدة دون أدنى معرفة وتعتمد على ذاكرتها فقط حين وضعت صغيرها، كل ما تستعد له هو قطع الحبل السري وهو كل ما تتذكره. كان توتر سليم واضحًا عليه وهو يراقب ألمها وغير قادرٍ على المساعدة، فاقترب منه طارق بهدوء.

- تعالى نروح ناخد مكان كريم ونبعته يمسك أخوه.
- وأسيبها؟
- إنت متوتر وما فيش حاجة تقدر تعملها، وفريدة معاها ولو عايزين حاجة هيبعتوا كريم.

فرك عينيه وهو يتمالك أعصابه وذهب مع صديقه إلى كريم الذي بادره سائلًا بكل براءة:

ـ ولد؟

ابتسم سليم وهو مرتبكٌ وقال بصوتٍ يرتجف:

ـ لسا ما اعرفش، روح إنت امسك أخوك علشان ماما بتساعد ليلى.

ـ ومين هياخد باله من هنا؟!

ـ إحنا هنقف مكانك.

قالها طارق بهدوءٍ فوقف الصغير مبتسمًا وهو يركض للداخل حتى يرى المولود الذي على وشك القدوم إليهم، غير مكترثٍ لما يشكله هذا من خطرٍ على حيواتهم جميعًا، وجلس سليم بالخارج مع صديقه وهو يحاول تشتيت تركيزه بمتابعة الشوارع الفارغة، والحديث عن الذكريات ويوم مولد كريم، ثم قال له:

ـ لو كان فيه سجاير كنت عزمت عليك بواحدة.

ابتسم سليم وهو يلتقط من صديقه عود خشبٍ مُحترق كان بجانبه على الأرض وقال:

ـ إحنا ما بنشربش سجاير أصلًا.

ـ ما أنا عارف، بس دا اللي بيعملوه الرجالة في المواقف دي يعني.

ضحك سليم وأخذ يتأمل عود الخشب بيده حتى سمع صديقه يُدندن بصوتٍ منخفض آخر أغنية وطنية سمعها الجميع حين كان هنالك وطن، فشاركه اللحن: «**ولو تاهت الأحلام وما فضلناش**

بس غير أيام، هاعيش وأموت بجيب سيرتك، وهاحكي لأهلي عن أرضك وأحميكِ وأصون عرضك يا روح الروح»، حتى سمع سليم صوت بكاءٍ انتفضت له أوصاله وأسر قلبه وهو يسترق السمع مجددًا، ارتعش جسده وبداخله يفكر في الركض للداخل فورًا ليطمئن قلبه عليهما ويرى صغيره، ولكن قدميه قد عجزتا عن الحركة لثوانٍ حتى سمع صوت صديقه يقول:

- هتفضل واقف كدا؟

وقف في توترٍ تام حتى جاء كريم يركض من الداخل ليقول مبتسمًا لسليم:

- ماما بتقول لك تعالى علشان تشوف ليلى الصغيرة.

ارتسمت البسمة على وجههِ وهو يركض للداخل ليراها، رضيعة يغطيها سائلٌ غريب أخبرته فريدة بأنه مفيد للطفلة فلا داعي لإزالته الآن وكأنها خبيرة بأمور الولادة والأطفال. كانت مغطاة بمفرشٍ نظيف قد غسله بنفسه بمياه الأمطار النقية، وحفظه في صندوقٍ حتى تحصل على شيءٍ لم يُخرّبه العالم بعد، اقترب من زوجته الباكية والمتعبة جدًّا وهو يربط على رأس صغيرته وهي في حضن أمها ويطالع وجهها للمرة الأول.

- خد بالك على راسها، راسها طريه ما تضغطش.

ابتسم والدموع تغمر عينيه، ثم احتضن ليلى وقال مداعبًا:

- أي أوامر تانية عايزاني آخد بالي منها؟

مسحت دموعها بيدها اليسرى وهي تلتقط أنفاسها وتقول بتفكير:

- حاجات كتير، مش عارفة، عضمها طري وجلدها رقيق وما فيش مَيّه سخنة علشان ننضفها.

بدأ جسدها في الارتعاش فاحتضنها سليم بلينٍ وقال مطمئنًا إياها:

- ما تخافيش عليها، دي حبيبة أبوها دي، وبعدين كله هيتيسّر وهنلاقي كل اللي عايزينه، هاتيها بس ونامي إنتِ شوية.

أزاحت يده من على الصغيرة وقالت باندفاع يغلبه الوهن:

- لأ، لسا ما رضعتهاش، لازم تاكل الأوّل.

جلس خلفها وأسند رأسها على صدره لتبدأ في إرضاع صغيرتها وهي تبتسم لها بهدوء.

- هترضعيها وتقومي مع فريدة ترشي على جسمك شوية ميّه من اللي معانا وتنامي، شكلك تعبان.

- مين هيقعد بيها؟

- أنا هاحضنها لحد الصبح ومش هاسيبها وهاخلي بالي من عضمها الطري ودماغها كمان.

ابتسمت وأرخت رأسها بكل قوتها على صدره ليرى كريم وهو يراقب الموقف من بعيد مبتسمًا.

- تعالى يا كريم سلم عليها.

- شفتها أول ما جت، ماما كانت مسكاها بس كانت مقرفة أوي وكلها دم.

- يعني مش هتمسكها خالص!

ـ لأ لما تستحمى.

ابتسم سليم ومن أمامه تقف فريدة تخبر صديقتها بأنها قد أشعلت نارًا بسيطة لتُدفئ بعض المياه البسيطة لتستحم بها هي وصغيرتها فور انتهائِها من إرضاعها، وقبل أن تنصرف نظرت إلى ليلى وقالت مداعبةً:

ـ إحنا حجزناها على فكرة، عندي ولدين وجالنا عروسة.

ابتسم سليم ونظر إلى ليلى وقال:

ـ ما فيش قدامنا حل تاني، لو ما اتجوزتش ولاد طارق هتعنس، ما فيش قدامنا غيرهم.

ابتسمت ليلى فهي لا تقوى على الضحك ونظرت إلى صغيرتها وقالت:

ـ هنسميها إيه يا سليم؟

ـ إيه رأيك نسميها نغم؟

ـ اشمعنى نغم؟

ـ أصل صوتها أول ما جت كان أحلى صوت سمعته في حياتي.

نظرت إلى صغيرتها وهي تتأملها.

ـ نغم، أنا كمان حبيت صوتها أوي، عارف أنا نسيت كل الوجع والخوف في اللحظة دي.

جاءت فريدة لتخبرها أن المياه أصبحت دافئة، فاعتدلت ليلى وتأهبت هي وطفلتها، واستأذن طارق من بعيد بسعالٍ بسيط، ثم جاء ليتأمل الطفلة بوضوح.

- هاا عروستنا اسمها إيه؟

التقطها سليم من يد والدتها وقال وهو يبتسم لها بهدوءٍ ورضا:

- اسمها نغم، نغم سليم.

تعمقت في صفحات الكتاب أكثر وأكثر حتى أنها فقدت شعورها بمرور الوقت، وإذ بها تنتبه إلى ورقةٍ تنزلق قليلًا عن صفحتها التالية مكتوبة بخط اليد ويبدو أنها لا تنتمي لهذا الكتاب المطبوع مسبقًا، ربما تكون ورقة من أصل الكتاب المكتوب بخط اليد. كانت تحمل عنوان «**الليلة السوداء**».

«**لم يكن هناك شيءً واضحٌ تلك الليلة ولا يمت اسمها إلى لونها بشيء، وإنما بشعور العدم والسواد الذي خيّم على القلوب لسنواتٍ من بعدها، وما زال البعض غير متعافٍ بشكلٍ كامل من المقتطفات المحفورة في الذاكرة. قررت سديم أن تضع لعنتها علينا بدون رحمة وأن تحرق كل ما هو موبوء بالمشاعر. كُتبكم باطلة وتاريخكم مشوّه، ليس هناك مرض ولا توجد معجزة، وإنما هي محرقة وضعنا بها بإرادة عالمتكم الملعونة ذات القلب الأسود. سوف تحرق مدينتكم قريبًا وتتذوقون مذابح ستكون أبشع لما لا تعرفونه عن الفوضى، فما هو أفظع من أن ترى شيئًا لا تعرف بوجوده من قبل! كل روح تتذوق الانكسار حتى تتعافى إلا روحكم ستحترق بلا رجعة، شبح الخراب قادم إليكم**».

اعتدلت في جلستها وهي تعيد قراءة السطور بحرصٍ لعل المعاني تنقلب ويتضح أن كل هذه الكلمات في صالح المعتدلين

وليست موجهة إليهم، لمن تنتمي هذه الورقة وكيف لها أن تصل إلى أصول الكتب؟ أيعقل أن يكون هذا هو المحتوى الأصلي للكتاب؟ هل قام عاملو المكتبة بتحريفه؟ انتفضت فزعًا حين دخلت والدتها إلى الغرفة دون أن تطرق الباب لتطلب منها القدوم ومساعدتهم في تجهيز مائدة الطعام.

ابتسمت لتُخفي قلقها، ولأول مرة شعرت بخوفٍ أكثر مما اعتادت عليه، لماذا تشعر بالقلق وهي لم تكتب هذه الورقة؟ ولماذا أخفتها من والدتها؟ ليس من المنطقي ألا تسأل عنها والدها، نعم من المنطقي أن تطرح الموضوع على العائلة وتعرف رأيهم فهي ورقة بداخل كتاب من أصول الكتب في المكتبة الأم، بالتأكيد والدها يعرف كل شيءٍ عنه.

جلس الجميع على طاولة الطعام يتحدث كل منهم عن يومه وبالأخص حليمة وقرارها في أن تصبح مُعلمة، ولكنها لم تستقر على تخصص بعد. كان الجميع حاضرين إلا هي؛ كان ذهنها شاردًا فيما ذكرته اللليلة السوداء من كلمات وتهديدات غير واضحة ولكنها صريحة جدًّا. حاولت كسر حاجز صمتها وقالت لأبيها:

- هو انت تعرف حاجة اسمها الليلة السوداء يا بابا؟

اتخذت ملامحه وضع التعجب وهو يستفسر عن سؤالها سائلًا:

- حاجة زي إيه؟ يوم يعني ولا ورقة بحثية ولا موقف؟

ارتبكت وهي تتفادى النظر في عينيه، فحتمًا هو لا يعلم عنها شيئًا ولم يقرأها من قبل، فرسالة كهذه تحفر كلماتها في ذهنك وتعلق تهديداتها معك دون أن ترغب حتى.

- لأ دا اسم كتاب كان في المكتبة النهاردا استغربته.

- كتاب اسمه الليلة السوداء؟

- آه، كتاب كان في إيد واحد قاعد في المكتب...

توقفت عن الكلام فجأة وهي تتذكر ذلك الشاب بالمكتبة آخر من استعار مجزرة سديم وأخذتها من بين يديه، لعل الرسالة تنتمي أو لا تنتمي لأصل الكتاب الموجود بالمكتبة، ولكنه حتمًا يعلم عنها شيئًا.

- ما سألتيش عن الكتاب ليه طيب؟ يمكن حاجة جديدة.

انتبهت إلى والدها وهو يُكمل حديثه، فأسرعت بلا تفكير تقول.

- حسيت إنه حاجة مش مهمة، حتى شكل الكتاب كان غريب، يمكن كان بتاعه وهو اللي كاتبه، ما حبيتش أتطفل.

توقفت للحظة لتتأمل هذه الكذبة الغريبة، لماذا تكذب على والدها؟ غير منطقي بالمرة أن تخفي عنهم ما حدث فهي غير مذنبة بالأصل، زاد ارتباكها عن المعتاد فارتفع قلقها على نفسها، أبدأت تُصاب بالمرض؟ كل مشاعرها ما زالت تحت السيطرة فهي لم ترتفع عن النسبة الطبيعية إلا بفارقٍ لا يُذكر، لعلها تحتاج لجرعة أكبر؟ عليها أن تذهب إلى مركز الاختبارات غدًا لتعاود الفحص، من الأفضل ألا تترك نفسها هكذا، فهي الأكثر عرضة للإصابة به، ستتناول جرعتها الجديدة من المصل وتخلد إلى النوم وسوف تستيقظ غدًا تفكر بمنطقية أكثر مما فعلت اليوم.

جاء اليوم التالي وبث الروح المعتادة في المنزل، كلٌ يستعد ليبدأ يومه فاليوم هو نهاية الأسبوع فيكون الناس أنشط من قبل لأنهم يعملون بشغف انتهاء اليوم لتبدأ الراحة ثم نعيد الكرة من جديد. استيقظت تيماء تشعر بالاعتدال فابتسمت لنفسها، من الواضح أنه كان هناك ما يرهقها بالأمس.

خرجت من غرفتها وألقت تحية الصباح على الجميع، وبالأخص على حلمية التي بدا عليها التوتر وهي تجلس على طاولة الإفطار في قمة تركيزها؛ فاليوم هو أول يوم عمل لها ولكنها لم تقرر التخصص بعد، وبجانبها والدهن يفكر معها بهدوء في الاختيار الأفضل. جلست لتتناول الطعام وهي تفكر فيما ستفعله اليوم.

ـ قررتِ هتعملي إيه يا تيماء؟

ـ أعمل إيه في إيه يا بابا؟

ـ في الشغل يا حبيبتي.

تحركت عيناها تلقائيًا إلى الجانبين وهي تفكر سريعًا لتقول:

ـ لسا، لسا هاروح أسأل على وظيفة في المكتبة.

ـ هتروحي النهاردا؟

ـ مممم مش عارفة، أصلي كنت بفكر أعدي على المكتبة النهاردا تاني الأول وبعدها أروح مركز الفحوصات.

انتبه إليها الجميع في تعجب، فسألت والدتها بقلقٍ:

ـ ليه؟ هو مش انتِ كنتِ لسا هناك؟

ـ آه.

شعرت ببعض الراحة وهي تجيب عن كل التساؤلات دون كذب هذه المرة وتفعل ما هو منطقي، ثم نظرت إليها حليمة وقالت بهدوء:

- أنا شايفة إنها مش فكرة كويسة إنك تشتغلي في المكتبة ولا تكملي قراءة الكتاب اللي معاكِ دا.
- ليه يعني؟! إيه علاقة الكتاب بالموضوع؟
- تيماء إنتِ أصلًا خايفة تطلعي زي أهلك وعندك قلق بسببه وزودوا لك الجرعة بتاعة المصل آخر مرة رُحتِ بسبب التفكير في الموضوع دا، يبقى طبيعي كل ما هتقرأي عنهم هتخافي زيادة.

وضعت والدتهن كوب الشاي من يدها ونظرت إلى تيماء وهي تحاول أن تُبقي نبرتها هادئة قدر الإمكان.

- إنتِ من إمتى وانتِ خايفة تتعبي؟

أخفضت عينيها حتى لا تكون في مواجهتهم وهي تقول بصوتٍ منخفض:

- من ساعة ما حليمة وياسر قرروا يتجوزوا.
- ليه يا تيماء؟
- علشان أنا مختلفة، وحتى هنا بيعاملوني بشكل مختلف وما حدش هيرضى يتجوزني، وحتى فحوصاتي في مكان مختلف، يبقى أكيد أنا مختلفة، منطقي يعني.

تطلع والدها في أوراق التخصص الخاصة بحليمة وهو يقول بهدوئه المعتاد:

- إنتِ مش مختلفة، إنتِ مميزة، وهمَّا خايفين عليكِ أكتر علشان كدا ليكِ فحوصات زيادة.
- لو ما كُنتش ممكن أعيا ما كانوش عملوا كل دا، وكانوا سابونا نتجوز من بعض عادي.

نظرت مِهاد إلى شقيقتها وهي تقول بتعالٍ:

- سديم قالت إن الأطفال بطبيعتهم معتدلين، يعني إنتِ ما ينفعش تتعبي، ما تخافيش يا تيماء المشاعر مش هتيجي لك أبدًا.

ابتسمت تيماء إلى شقيقتها ولكن والدتهنّ أكملت قائلة:

- الصغيرة فاهمة وانتِ اللي شارحة لها الدرس وبتقرأي كتاب تاريخ كامل ولسا مش مستوعبة!!
- أنا شايف يا حلمية إنك المفروض تتخصصي أحياء زي ما قلتِ.

التفت الجميع إلى والدها وهو ينهي الحوار بهدوءٍ حتى لا يحتد، فابتسم وقال:

- لسا ما خلصتش كلامي، الأحياء أقرب للطب اللي كنتِ عايزة تعمليه في المبنى العظيم، وتيماء المفروض تتخصص تاريخ علشان تفهم أكتر وتعرف إجابات كل الأسئلة اللي في بالها.
- والإجابات هتكون في الكتب برضه؟
- الإجابات في المنطق يا تيماء، المتبنون كلهم إخوات حتى يثبت العكس، علشان تتجوزي فرد منهم لازم

تعملوا تحليل يثبت إنكم مش اخوات في الأصل، هم كانوا يعرفوا منين مين أخو مين ولا مين كان مع مين؟ الدنيا كانت فوضى وكان لازم يلحقوا أكبر عدد من الأطفال.

- هم مش أخدوا الأطفال قبل ما يفرَّقونا؟
- اللي أمهم رضيت بس تبعتهم علشان دا أفضل، إنما لما رجعوا ليهم ولقوا إن الناس بتقتل بعض والنار في كل حتة أنقذوا شوية تانيين.
- أنا بس بكون عايزة أطمن، باحس بقلق كتير الفترة دي.

ابتسمت والدتها وهي تمسك كوب الشاي مرة أخرى:

- ما كلنا بنحس، إنتِ فاكرانا آلات؟ إحنا معتدلين يعني بنحس بكل حاجة بس بنسبة طبيعية ومنطقية، المنطق هو اللي بيحركنا وتصرفاتنا مش نابعة من مشاعرنا، بنتصرف على حسب العقل والمنطق بس.

سحبت صحنًا فارغًا من أمامهم وأكملت:

- يعني هو انتِ فاكراني أنا وعادل ما بنقلقش عليكم؟ كام مرة قلقت إنكم اتأخرتوا، كام مرة بزعل لما أفتكر إن حليمة هتعيش بعيد عني، بس عادي إنكم تتأخروا، المنطقي أقلق والمنطقي برضه أستنى قبل ما أتوقع إن حصل لكم حاجة، والمنطقي إن حليمة يبقى ليها بيت بتاعها وتكوّن أسرة هي كمان.

- معاكِ حق.
- عامة اعملي اللي إنتِ عايزاه، بس تكوني هنا قبل الساعة سبعة علشان سميرة وممدوح جايين النهاردا وهنتجمع ونقعد سوا.

خبطت حليمة بيدها على الطاولة بهدوءٍ وقالت:

- خلاص أنا هاتخصص أحياء فعلًا، أنا اقتنعت يا بابا.

ضحكت تيماء وهي تُكمل طعامها بسرعة حتى تذهب إلى المكتبة، ثم سألت شقيقتها:

- ليه هتروحي النهاردا أصلًا؟ ابدئي من أول الأسبوع.
- لأ طبعًا، هابدأ النهاردا علشان أولًا أرجع تعبانة وأقول يااه أخيرًا بكرة أجازة، ثانيًا علشان لو عكيت الدنيا في المذاكرة والتمهيدي وما فهمتش حاجة ألحق آخد يوم أفكر في اللي حصل ويوم أفكر فيه أحوّل ولا أكمل، ثالثًا علشان لما نتجمع مع طنط سميرة بالليل أشارك في القاعدة بقصة ممتعة جدًّا عن أول يوم شغل.
- مش مكفيكِ مغامرات ياسر؟
- يا تيماء يا حبيبتي الإنسان لازم يكون دايمًا متجدد، فكري شوية في حياتك دلوقتي بدل ما انتِ عايشة في ملحمة المعتدلين وذكائك هيعلى أكتر.

وصلت إلى المكتبة وذهبت مباشرةً إلى عاملة المكتب الرئيسي وقالت بهدوء:

- لو سمحتِ ممكن أعرف اسم آخر واحد استعار الكتاب ده؟

رفعت الكتاب بيدها وابتسمت، لكن بادلتها الموظفة بالتعجب وقالت:

- الكتاب فيه مشكلة أو حاجة ناقصة؟
- لأ خالص، أنا بس كنت ببدأ نادي كتب وكنت حابة أناقش الكتاب مع حد قرأه قبلي وقلت أوصل من خلالكم.
- ما اقدرش أديكي معلومات شخصية.
- طيب ما ينفعش حتى رقمه، آاه أو رقمها.
- لأ، للأسف ما ينفعش.
- طيب ممكن اسم؟
- للأسف ما اقدرش أبلغك أي معلومة.

غلبها الصمت وهي في حالة يأس من المحادثة، حتى قالت الموظفة وهي تطالع شيئًا ما في حاسوبها:

- تقدري تطلبي منه بنفسك لو حابة، هو قارئ دائم عندنا وبيجي نهاية كل أسبوع يقرأ في المكتبة.
- يعني هو هيجي النهاردا؟

أشارت الموظفة إلى شخصٍ ما يجلس على طاولة تبعد عنهما بمسافةٍ ليست ببعيدة،

- شكرًا جدًّا.

تحركت بثباتٍ في اتجاهه وهي تُفكر فيما ستقوله، أتطلب منه النقاش في الكتاب ثم تطرح عنوان الليلة السوداء فجأة وترى ما يعرفه عنها؟ ازدادت نبضات قلبها بمعدل معقول لم يشعرها بالخوف على نفسها حتى وصت إلى الطاولة وألقت التحية، فاستدار إليها وبادلها التحية. وقفت تحدق به لثوانٍ وهي تسأل نفسها: من هذا؟! لم يكن هذا من أخذت منه الكتاب أمس.

- أنا آسفة، أنا كنت بدور على...

- معجزة سديم، الكتاب دا قوي وهيعجبك جدًّا.

ابتسمت مجاملةً، ثم جلست أمامه لعله يحمل إجابة ما.

- تعرف كتاب اسمه اليوم الأسود أو الليلة السوداء؟

- اليوم الأسود! لأ ما شُفتش حاجة بالاسم دا، تقصدي المرض الأسود؟

تيقنت حينها أنه لا يعلم شيئًا عن تلك الورقة، فأنهت الحديث بهدوء وكأنها على عجلة من أمرها وذهبت إلى الموظفة مرة أخرى لتتأكد من صحة المعلومة، فأكدت لها بأنه آخر اسم على اللائحة قبلها، زادت حيرتها حينها؛ كيف له أن يأخذ الكتاب دون أن يسجل اسمه للاستعارة؟! المكتبة لا تعطي الكتب دون معلومات شخصية عن المستعير.

خرجت من المكتبة وهي تتأمل الكتاب بيدها فتفتحه وتقرأ العنوان من جديد وتنتقل إلى السطور الأخيرة: «**سوف تحرق مدينتكم قريبًا وتتذوقون مذابحَ ستكون أبشع لما لا تعرفونه عن**

الفوضى، فما هو أفظع من أن ترى شيئًا لا تعرف بوجوده من قبل! كل روح تتذوق الانكسار حتى تتعافى إلا روحكم ستحترق بلا رجعة، شبح الخراب قادم إليكم».

أغلقت الكتاب بعنفٍ وقلبها تتزايد نبضاته ويزيد معدل قلقها عن المعتاد، لن تترك ورقةً تتحكم بها هكذا ولكن السطور مرعبة، كانت ستذهب إلى إدارة التوظيف ولكنها كانت على حق، لا بُدَّ أن تذهب إلى المبنى العظيم لتقوم بفحص جديد فلا ضرر من الاطمئنان، سارت في طريقها إليه وهي تُفكرً جديًّا في الرجوع؛ قد تسألها الطبيبة بعض الأسئلة وتكتشف بأنها تكذب، ماذا ستقول لها إذا سألتها لم يراودها القلق مؤخرًا؟ قبلًا جاوبت بكل صراحة عن موضوع زواج شقيقتها، ولكن ماذا ستفعل الآن؟ لا منطق للرجوع، فهي في مرحلة غريبة ولا بُدَّ من تدخلٍ فورًا.

دخلت إلى المبنى واتجهت إلى المصعد لتصل لطابق الفحوصات وانتظرته قليلًا، بضع دقائق ودخلت هي وثلاثة آخرون إلى المصعد في هدوءٍ تام، ثم توقف في الطابق الثاني ودخل ثلاثة آخرين. كانت تنظر في هاتفها تنتظر الطابق الخامس وحين رفعت عينيها لتتفقد الأرقام بالأعلى وجدته يقف على يمينها، نعم هو ذلك الشخص الذي أعطاها الكتاب أمس، ولكن ماذا يفعل هنا؟ رفعت عينيها مرة أخرى فتلاقت أعينهم، سحب عينيه بهدوء، ثم التفت إليها سريعًا وكأنه تذكرها، أبعد عينيه قاصدًا هذه المرة وكان المصعد قد وصل للطابق الخامس، فأسرع بالنزول فلحقته، اتجه إلى السلالم ليبدأ في النزول وهي خلفه ومن حولهما المارة في الاتجاهين صعودًا ونزولًا، فتوقف بالطابق الثاني وهو ينظر إليها بغضب:

ـ عايزة إيه؟

ـ عايزة أعرف إيه اللي في الكتاب؟

ـ كتاب إيه؟

ـ معجزة سديم، الكتاب اللي أخدته منك.

ـ ماله؟

ـ الورقة اللي فيه.

ـ ما فيش في الكتاب ورقة.

ـ لأ فيه ورقة مكتوب عليها الليلة السوداء.

أشار لها بإصبعه سريعًا أن تخفض صوتها، وأمسك بيدها ليكملا النزول حتى مخرج المبنى العظيم ويتجهان إلى الشارع سويًّا. أكمل السير في الشوارع مبتعدًا عن المبنى، فأفلتت يدها من قبضته وهي تسأل:

ـ إنت رايح فين؟

ـ بعيد.

ـ بعيد عن مين؟

ـ بعيد عن المبنى.

ـ الورقة دي مين اللي كاتبها؟

ـ ما اعرفش.

ـ إنت أزاي أخدت الكتاب من المكتبة من غير ما تسجل اسمك؟!

ـ أنا ما أخدتش الكتاب.

وقفت وهي تحاول استيعاب هذه المحادثة المُريبة.

- الورقة دي وحشة جدًّا، أنا بسببها عندي قلق زايد من امبارح وكذبت من غير سبب.

ظهر على ملامحه الاهتمام فقال وهو يبتسم:

- أنا عمر.

- أنا تيماء.

نظر إليها بهدوءٍ وقال:

- الورقة وحشة ليه؟

- إنت ما قرأتش آخر سطور؟!

- قرأتهم.

- ما خُفتش، دا حد بيهددنا.

وضع يده على جبينه وهو يفركها قائلًا:

- أنا كمان مش فاهم السبب بتاعها، عايز أفهم وبحثت ودورت ومش هيعجبك اللي لقيته.

اتسعت حدقتا عينيها وقالت بذهول:

- لقيت إيه؟؟

- الورقة دي من ضمن ورق كتير كان مع بعض مدفون تحت الأرض.

- مدفون تحت الأرض!!

لم يُجِبها فسارعت بسؤالٍ آخر:

- إنت بتحفر تحت الأرض ليه؟

ـ كنت بعمل لنفسي كبسولة زمنية.

ـ زي اللي كانوا بيعملوه زمان للمستقبل؟

ـ أيوة هي دي.

تطلعت بعينيه ومعدل الشك بداخلها يصل لأقصى نسبته المسموحة.

ـ بتعملها لوحدك؟

ـ آه بعملها لوحدي، كنت بدفن شوية جوابات للي هيلاقيهم وشكل الفلوس بتاعتنا دلوقتي ووصفة أكلة قديمة من اللي في الكتب.

ضحكت وهي تقول:

ـ دي فكرة عبيطة أوي.

تطلع إلى ضحكتها وشعرها الطويل وعينيها العسليتين ولم يستطع منع نفسه من مبادلتها الضحكة.

ـ شكرًا يا ستي.

ـ المهم، ليه سِبتها في الكتاب؟

ـ أنا ما سِبتهاش في الكتاب، أنا نسيتها فيه وأنا بقارن النصوص بتاعتهم في المكتبة، ولما رَوَّحت اكتشفت إني نسيتها فيه.

ـ أنا عايزةأ أشوف بقية الورق.

ـ مش هيعجبك.

ـ مش إنت اللي تقرر لي.

- هابقى أجيبهم من البيت وأوريهم لك.
- خلاص يللا، هاجي معاك.
- تيجي معايا البيت!!

قالها وهو ينظر إليها بابتسامة، فارتبكت وقالت بسرعة:

- هستناك تحت.
- ليه؟ طب ما تطلعي معايا.

نظرت إليه بارتباكٍ وقالت بحدة:

- اديني رقمك وهاكلمك نتقابل بكرة.
- ليه طيب؟ ما تيجي نجيب الورق.

ابتسم وهو يزيد من ارتباكها، فابتعدت عنه خطوات بسيطة.

- من فضلك هات رقمك!
- مش هاقدر أديكِ أي معلومات عن نفسي، المنطق بيقول إن اللي بنعمله غلط والورق دا المفروض يتسلم للمبنى وأنا هاسلمه.

أمسكت بيده بسرعة وهي تقول:

- عايزة أشوفه قبل ما تسلمه.
- مش صح.
- أنا عايزة أعرف ومش عارفة ليه مش عايزاك تسلمه، أنا عايزة أفهم.
- أنا خايف عليكِ وعليا من الارتباك والقلق.

- أشوف الورق بكرة ونروح نفحص نفسنا في أقرب وقت ونزود المصل.

فكر قليلًا ثم قال لها بكل هدوء:

- ماشي، بكرة الساعة اتنين هستناكِ هنا ومعايا الورق، وبرضه مش هديكي رقمي علشان أنا ما اعرفكيش.

- كلام منطقي، خلاص اتفقنا.خر

مر ما يقارب من الخمسة أشهر ولم تكن الحياة بأفضل حال، فالخراب يزداد والطعام يتناقص ولا يعلم أي منهم عدد الناجين في محيطهم، ولكن كلًّا منهم يدعي سرًا ألا يكون هناك من يستهلك ما تبقى من الطعام معهم. كانت الظروف تشتد صعوبة وخاصة في وجود مولودٍ جديد يبكي طوال الليل فأصبح عليهم تشّديد الحراسة والترحال باستمرار خوفًا من أن يعرف مكانهم أحد. سمعوا منذ أيام ما يشبه صوت إطلاق النيران فارتعبوا جميعًا وركضوا حتى اختفى الصوت، ألم تنتهي الحرب؟ لمَ يحتفظ الناجون بمسدسات؟ أليست هذه الأشياء هي ما دمرت ملامح العالم؟! اتخذوا من بقايا منزلٍ آخر ملجأ لهم حتى الصباح بعد أن وجدوا بعض المعلبات منتهية الصلاحية مبعثرة في مكانٍ يبدو أنه متجر سابق.

استيقظت ليلى في الصباح التالي على هدوءٍ غير معتاد، فكانت دائمًا تستيقظ هي وسليم على صراخ نغم، ولكن اليوم مختلف. انتفضت فزعًا فوجدت فراش فريدة وطارق فارغًا، فاتجهت إلى الخارج فورًا لترى نغم بين يديّ فريدة في هدوء ولا تبكي، وقد كان

صغيرها يلاعبها فتضحك وبشدة، ولكن لا وجود لكريم ولا طارق حولها.

- صباح الخير يا فريدة.
- صباح النور، أخدت نغم أول ما فتحت عينها من جمبك علشان أسيبك تنامي شوية.

اقتربت من نغم وقبّلتها على جبينها وابتسمت ثم سألت:

- أومال طارق وكريم فين؟
- طارق صمم يبعت كريم لوحده يدوّر على أكل لينا وأكل أطفال لنغم.
- لوحده إزاي؟!
- لأ أكيد طارق راح معاه، هو أنا كنت هاسيبه يبعت الولد لوحده فعلًا؟! هو بس أقنعه إنه هيروح لوحده.

جلست ليلى بجوراها وحملت عنها نغم وسألت بتعجب:

- وليه يقنعه بكدا أصلًا؟

تحولت ملامحها إلى الأسي قليلًا وهي تُبرر لها الموقف:

- أنا وطارق كنا بنتكلم امبارح وكنا قلقانين على الولدين جدًّا.
- اشمعنى دلوقتي؟
- الوضع بشع ومش بيتحسن، وإحنا في أي لحظة ممكن نموت أو نتقتل أو يحصل أي حاجة والاتنين دول هيبقوا مسؤولية كريم.

نظرت ليلى إلى الطفلين في أسى وهي تفكر في كلام صديقتها وقالت بتأفف:

- كريم صغير أوي على المسؤولية دي يا فريدة، صعب.
- هو صغير عليها فعلًا، بس ما فيش وقت يا ليلى لازم يكبر، ما بقاش اختيار دلوقتي، عارفة لو عليا كنت بعت الاتنين معاه مش كريم بس.
- أنا كمان من ساعة ما خلفت نغم وأنا خايفة، كان نفسي يبقى ولد.
- هتفرق في إيه بنت من ولد؟!

سألتها وهي تشير إلى صغيرها الذي اقترب من إتمام عامه الرابع.

- ولد أهو، بس لا هيعرف يحارب ولا يدافع عن نفسه حتى.
- طب وطارق راح معاه إزاي لو هو أقنعه إنه لوحده؟
- سابه يسبق وراح وراه من غير ما يعرف، عايز يتطمن إنه بيتصرف صح لوحده وإنه مش محتاج حد يفضل مراقبه ويقول له يعمل إيه.
- ربنا يرجعهم بالسلامة.

في شارع ليس ببعيد عن محادثة الصديقتين كان كريم يتجول في الشوارع بحذرٍ وطارق يتبعه متخفيًا خوفًا عليه من أي خطرٍ قد يتربص به، ظل كريم يترقب المباني من حوله أولًا حتى يتأكد من عدم وجود تهديدٍ قريب وبيده يحمل سكينًا حادًا ليدافع بها عن

نفسه، يبحث بداخل المتاجر الفارغة عن أي شيءٍ سقط هنا أو هناك فهو يريد العودة بشيءٍ ما ليثبت لوالديه أنه قد أصبح رجلًا مسؤولًا الآن يتولى نوبات الحراسة ويقتل ويجلب الطعام ولا ينقصه شيء، كاد أن ينتبه لخطوات طارق من خلفه فثبت طارق في مكانه خوفًا من أن ينكشف حتى لاحظ وصولهما إلى المكان الذي سمعوا فيه تبادل إطلاق النيران فأصابه الفزع، ولكنّ كريم كان يواصل بلا تردد؛ فإن الجهل بالخطر قد ينقذ حياتك أحيانًا.

وصل كريم إلى متجرٍ ليجد به بعض أكياس البطاطا المملحة وتعجب من تركها بهذا الشكل، وبعدها بخطوات وجد أكياسًا تجمع بعض الخبز معًا، وكيسًا واحدًا مليء بالتمر. نظر حوله بحذرٍ فلا بُدَّ من وجود منافسين؛ فرائحة فتات الخبز تجلب الجوعى المسعورين من كل مكان. اقترب بحذرٍ حتى وجد جثة بجانب الطعام فانتفض ليختبئ، ولكن هناك صوتٌ ما يتحدث، صوت يأتي من راديو أو شيءٍ كهذا، فتحرك ناحية الصوت ببطءٍ حتى وصل مجددًا للجثة ليجد بجانبها على الأرض مُلقى لاسلكيًا يصدر بعض الكلمات: «**لقيتوا حد لسا عايش في المنطقة؟**»، وتعاد الجملة أكثر من مرة، فالتقط الطعام واللاسلكي وبدأ في الركض وقد بدأ طارق أيضًا في الركض نحوهُ حين غاب عنه، ولكنه لاحظ تحركاته للعودة إليهم، فأسرع بالتخفي وهو يتأمل ما في يد الصغير ولكنه لا يتبين شيئًا، وهناك صوت يصدر من يده قد يكشفه بسهولة، فتحرك باتجاهه وكأنه قد وصل إليه حالًا.

- بابا!

ـ أنا كنت جاي أطمن عليك، اتأخرت جدًّا علينا.

ابتسم بدهاءٍ وأشار لوالده أن يستترا في مدخل هذا البناء المهجور المجاور لهما الآن.

ـ بص يا بابا جبت إيه!

تطلع طارق في ما يحمله ابنه الأكبر في ذهول، عيش وبطاطا وتمر.

ـ لقيت كل دا فين؟!

ـ فاكر الرصاص اللي سمعناه من كام يوم؟

ـ آه فاكره، إنت رُحت هناك؟!

ـ أنا ما كُنتش أعرف إن هو دا المكان، بس لقيت واحد مقتول وجمبه كل دا.

قضب طارق جبينه وهو يقول بقلق:

ـ قربت من جمب جثة؟!

ـ ما تقلقش يا بابا، أنا استخبيت أول ما شفته علشان أتأكد إن اللي قتله ما كانش قريب، بس الدم ما كانش سايل، واضح إنه مات من يومها.

أمسك والده اللاسلكي وهو يستمع جيدًا إلى الجملة التي تتكرر ويرد البعض عليها.

ـ إيه دا يا كريم؟؟

ـ مش عارف، دا كان في إيده يا بابا.

ـ استناني هنا.

كاد أن يذهب إلى المتجر الذي كان به ابنه، ولكنه تذكر حيلته الأولى، فتظاهر بالجهل وسأله: «**لقيته في أنهي محل؟**»، فأشار كريم إلى المكان واتجه إليه طارق بهدوءٍ وحذر ليتبين الأمر، إنها جثة جندي، لم يرَ هذا الزي من قبل ولا يعلم لأي جهةٍ ينتمي، ولكنه ليس ناجيًا، بل إنه جندي ولا بُدَّ أن هذا اللاسلكي هو وسيلته للتواصل مع قادته.

عاد الجميع إلى المنزل كالمعتاد وأخذت حليمة تحدثهم عن فرحتها بما درسته اليوم في التمهيدي وشعورها بالانبهار من المعلومات ودقتها وأنها تنتظر الانتهاء من هذه الأشهر بفارغ الصبر حتى تبدأ هي بإبهار الصغار بهذه المعلومات، وداعبت تيماء قائلة:

- أنا شايفة إنك تشتغلي في المكتبة فعلًا علشان أنا عمري ما هابطل أجيب كتب من هناك.

ابتسمت تيماء وقد تذكرت أنها ما زالت لا تعلم ماذا ستفعل في أمور العمل هذه، ولكنها لا يمكنها أن تقدم على خطوة العمل فتنشغل طوال اليوم بشيءٍ ما وهي لا زالت لا تعلم محتوى الأوراق التي حدثها عنها هذا المدعو عمر اليوم.

- أنا قررت أستنى شوية، هاقرأ تاريخ أكتر الأول وبعد كدا هاقرر قبل ما أروح أشتغل في المكتبة لو فيه وظيفة ولّا مُدرسة تاريخ معاكِ، مش عايزة أستعجل.

ابتسمت حليمة وقالت وهي تجلس على الأريكة المقابلة لمقعد تيماء:

- كويس علشان تبقي فاضية ننزل نلف ونشتري حاجة الجواز.
- فاضل لك إيه صحيح؟
- فاضل لي هدوم، وشوية رفايع كدا هننزل في يومين بالكتير نخلصهم.

خرجت دعاء والدتهن من المطبخ وبيدها طبق ومضرب البيض وتخفق خليط الكعكة التي تعدها للضيوف لتقول:

- احمدوا ربنا إنكم مش بتتجوزوا على أيامنا.

انتبهت الفتاتان إليها، فأكملت وهي تزيد من سرعة الخفق قليلًا:

- دا إحنا كنا بنجيب حاجات كتير جدًّا نصها مش بنستخدمه أصلًا، وأعداد مش منطقية من حاجات كتير زي الفوط والملايات وكميات غريبة.
- طب وليه بتشتروهم لو مش محتاجين؟
- مش عارفه يا حليمة، كانت عادات ما ينفعش نخالفها.

ابتسمت دعاء وهي تعود للمطبخ وتتمتم:

- كان فيه كمية تصرفات غير منطقية، مش ممكن.. بس الحياة طبعًا كانت متقدمة عن هنا كتير، المدن كانت كبيرة جدًّا، والناس أكتر، واللغات مختلفة، والمباني كانت أكبر ومتطورة أكتر، دا الحمد لله إننا عندنا تليفونات أصلًا ونت.. أي حد كان هيتوقع إننا هنبدأ من الصفر خالص.

جاءت مِهاد من غرفتها ويتبعها والدهن وهي تضحك وتخبرهن كم تعبا من اللعب سويًّا بالداخل، وجلسا بجانب حليمة على الأريكة.

- هو ممدوح وسميرة جايين إمتى؟

سأل عادل زوجته بصوتٍ مرتفع، فمالت برأسها خارج المطبخ قليلًا وقالت:

- زمانهم على وصول.

رن جرس الباب فور انتهائها من الرد، فأسرعت للداخل واعتدلت الفتيات وتأهب عادل لاستقبال الضيوف. تبادلوا الترحاب وجلسوا في غرفة المعيشة واجتمعت العائلتان كما اعتادا دائمًا.

- مبروك يا حليمة، عرفت من دعاء إن الاختبار كان كويس.

- آه يا طنط الحمد لله خلاص هامشي في أقرب وقت.

ابتسمت حليمة وهي تغمز لتيماء وتكمل قائلة:

- ومش بس كدا، أنا كمان نزلت النهاردا أول يوم شغل في المدرسة.

ابتلعت سميرة رشفة الشاي سريعًا وقالت:

- ياااه! ما شاء الله، قررتِ تبقي مدرسة؟

- هو أنا كنت حابة أأثر في المدينة بشكل ما، ولما ما لقيتش وظيفة في المبنى العظيم في فريق الأبحاث قلت أأثر على الجيل الجديد بقى.

ابتسمت دعاء وقالت وهي تُقدم بعض البسكويت لممدوح:

- يللا عقبال التانية بقى تشتغل وتتجوز.

- عايزة تمشّي البنتين بدري بدري كدا يا دعاء والبيت يفضى عليكم!

جذب عادل منهما طرف الحديث قائلًا:

- تيماء مهتمة جدًّا بالتاريخ وبتحب تقرأ فيه، دي حتى استعارت كتاب معجزة سديم.

ابتسم ممدوح لتيماء وقال بفخرٍ:

- ما فيش أحلى من البنت المثقفة.

ثم ارتشف من كوب الشاي رشفة وأثنى على مذاقه لدعاء، ثم أكمل حديثه إلى تيماء:

- وعجبك بقى الكتاب يا تيماء؟

ارتبكت فور سماع سيرة الكتاب وأمامها بدأت تظهر جمل ورقة الليلة السوداء وتشعر أنها إذا تحدثت عنه سوف تُخطئ في الحديث فجأة، أيلاحظ أحدٌ ارتباكها؟!

- آه، ممتع جدًّا وفيه معلومات...

توقفت عن الحديث فجأة وزاد شعورها بالقلق عند رؤيتهم جميعًا يحدقون بها هكذا بما فيهم مِهاد، فكسرت حليمة الصمت وقالت بهدوءٍ:

- هي تيماء كدا، ما تقدرش تقول رأيها عن حاجة إلا لما تخلصها كلها، واضح إنها لسا ما خلصتش الكتاب.

ـ هو أنا فعلًا لسا ما خلصتوش وكنت محتارة أقول معلومات قيمة ولا مفصلة.

وضعت يدها على رقبتها في حركةٍ لا إرادية قد دفعها إليها القلق، أيمكنها الانسحاب من الجلسة الآن والذهاب إلى المبنى العظيم لتزيد من جرعتها أضعافًا؟!

دارت حوارات متعددة عن حليمة وياسر ولمدة لا تقل عن ربع ساعة لم تتفوه بها تيماء بكلمة، وكل ما يجول بخاطرها هو كيف لم تستطع اليوم الذهاب للفحص لخوفها من الأسئلة التي ستطرح عليها وتفكريها الزائد بالفترة السابقة، إنها حقًّا تشعر بخروج الأمور عن السيطرة.

ـ هيّ تيماء كدا من ساعة ما حليمة وياسر عملوا اختبار الجواز.

انتبهت إلى صوت والدتها وهي تشير إلى صمتها بأنها متوترة بسبب زواج حليمة ومن الأفضل أن تظن أن هذا هو السبب؛ فقلق عدم الزواج أفضل مما يجول بخاطرها الآن، ثم انتبهت إلى سميرة وهي تجيب قائلة:

ـ ليه يا تيماء؟ دا حتى الجواز ما فيش أسهل منه اليومين دول.

ابتسمت دعاء وهي تنظر إلى بناتها قائلة:

ـ كنت لسا بقول لهم والله يا سميرة.

ابتسم ممدوح وهو يلتقط قطعة كعكة من التي قدمتها إليهم دعاء الآن.

- دا يا ريت الواحد كان اتجوز اليومين دول.

ابتسمت سميرة ونظرت إلى تيماء قائلة:

- روحي اتكلمي مع حد من المبنى العظيم وهمَّا هيزودوا لك الجرعة أو يظبطوا لك القلق لو زايد عندك.

هنا تدخلت دعاء لتشير بأن كل شيءٍ معتدل وعلى أكمل وجه، وأن تيماء بالفعل ذهبت إلى المبنى العظيم وطمأنها الأطباء وقد زادت جرعتها شيئًا بسيطًا.

ضحكت سميرة وهي تميل على زوجها قليلًا وقالت:

- طب برافو عليكِ إنك رُحتِ على طول، أنا كمان محتاجة أروح.

ثم التقطت كوب الشاي الخاص بها من على الطاولة وقالت:

- تخيلي نور حفيدتي جت عندنا واكتشفنا بعد أسبوعين إنها بدلت علب المصل بتاعي أنا وممدوح مع بعض!!

ضحك الجميع وأشارت مِهاد إلى أنها كانت تود لو تلعب معها قليلًا اليوم، ثم أكملت سميرة قائلة:

- ما أخدناش بالنا غير لما كنت بوضب الدولاب بتاعنا وبصيت عندي لقيت علبة المصل مكتوب عليها اسم ممدوح، وكنت أنا بقى أصلًا حاسة إني مش مظبوطة بقالي حبة، بس ما كنتش فاهمة ليه.

ابتسمت دعاء وقالت:

- احمدي ربنا إن البنت ما أخدتش المصل، كويس إنها بدلته بس.

سارع ممدوح بالتدخل وقال:

- نفس اللي فكرت فيه يا دعاء، كانت هتبقى كارثة.

- المهم إن لما ممدرح رجع قلت له وبدلنا العلب تاني ومستنية بقى الشهر الجاي لما يجي وأروح أعمل فحص ويظبطوا لنا الكمية تاني.

كسرت تيماء حاجز صمتها وقالت بابتسامة وقد قررت مشاركتهم الكعكة:

- طب ما تروحي دلوقتي أضمن.

- إيه دا هو ممكن قبل المعاد؟

- آه أكيد، أنا رُحت من قريب لما كنت قلقانة برضه من موضوع حليمة وياسر والجواز وزودوا لي الكمية.

- طب كويس، ما كنتش أعرف إنه ممكن نعمل كدا، أروح دلوقتي أضمن.

ثم ابتسمت ونظرت لممدوح وهي تقول مداعبةً:

- طبعًا إنت ما عندكش مشاكل، ما انت واخد كمية أزيد من احتياجك.

- لا يا ستي برضه هاجي معاكِ نطّمن، وأهو نعمل فحص لنفسنا واختبار الجواز بالمرة واحنا هناك ونبقى خلصنا.

أكمل الجميع الحديث وحاولت تيماء بكل قوتها أن تشاركهم بكل تركيزها ولكن عقلها كان يشرد سريعًا للورقة وما سيحدث غدًا وما ستراه ولن يعجبها في هذه الأوراق الغامضة.

كان الجميع مستيقظًا عند عودتهما ومعهما طعام ولا سلكي يردد جملًا مختلفة كل فترة. اقترب كريم من والدته وقال بفخرٍ:

ـ أنا لقيت أكل كتير يا ماما.

انتبهت فريدة إلى الطعام بيديهما ونظرت إلى طارق بتعجبٍ وهي تتأمل اللاسلكي بيده، فنظر طارق إلى الجميع وقال:

ـ ضرب النار اللي كان من يومين كان فيه جنود غالبًا، ودا كان جمب جثة حد فيهم.

وقفت ليلى في هلعٍ تسأل:

ـ جنود مين؟ هي الحرب لسا شغالة؟!

ـ مش عارف، كان ميت على الأرض وحواليه أكل ومعاه دا بس.

انتفض الجميع حين تلقى اللاسلكي إشارة أخرى، هنالك من يبحث عن ناجون وهو أمرٌ غير مبشر على الإطلاق.

ـ اطفي البتاع دا يا طارق.

قالتها ليلى وهي تمسك بصغيرتها ويبدو عليها القلق الشديد وأكملت:

ـ إحنا لازم نبعد عن المكان دا خالص.

جلس كريم على الأرض يتفحص محتويات غنائمه من أول تنقيبٍ وحده، فأخرج حبات التمر وأخذ يحصي عددهم ومن حوله التوترَ يغلب على الجميع. أمسك سليم اللاسلكي وسأل طارق:

ـ ما كانش باين من لبسه هو جيش مين؟

- لأ، لبسه كان باين إنه حد في مهمة بس مش تبع بلد معينة، عارف اللي كانوا بيلبسوا اِسود في اِسود وعلى راسهم خوذة وطالعين مهمة؟

تأمل سليم الجهاز وهو يفكر جديًا في سببٍ واحد قد يجعل رجالَ جيشٍ ما ما زالوا يبحثون عن بشر، لقد دُمرَ العالم ولا وسيلة للتواصل أوٍ لعله الحال هنا فقط.

- إحنا المفروض نعرف إيه اللي بيحصل.

جلست فريدة بجانب كريم لتشاركه فرحته بما أحضره معه وقالت:

- أيًا كان اللي بيحصل يا سليم أكيد مش خير.
- مين قال؟! مش لازم يكون مش خير.
- هيطلعوا بيعملوا إيه يعني؟ بيوزعوا أكل وبيوت على الناس اللي همَّا السبب في خراب بيوتهم؟
- هو مين غيرنا موجود؟ كام واحد لسا عايش في البلد؟ في العالم؟!

اشترك طارق بتأيده لسليم قائلًا:

- أكيد فيه غيرنا، وكمان كام شهر مش هنعرف نأكلَ العيال دي ولا هنلاقي أكل، ما حدش بيزرع وما حدش بينتج أي حاجة لو كملنا بنستهلك بقايا هتخلص.

نكست ليلى رأسها لتتفادى الإقرار بأنه على حق وقالت:

- طب ولو كانوا بيدوروا على اللي عايش وبيموتوه؟
- ليه هيعملوا كدا؟

- ما اعرفش يا سليم، همَّا كانوا بيموتوا الناس من الأول ليه؟

- تفتكروا هنعيش كام سنة بالحال دا، هنقدر نكمل لكام شهر كاملين؟

وقفت فريدة وهي تتأمل الطعام وقالت:

- بالأكل اللي كريم جابه مش أكتر من أسبوع.

تلقى الجهاز رسالة أخرى: «**إحنا لقينا خمسة وراجعين بيهم على العربات**».

أحكم سليم قبضته على الجهاز وقال لهم:

- محتاجين نقرر، نفهم منهم ولا نرميه ونكمل زي ما إحنا.

وقف الجميع وعلى وجههم علامات التوتر الزائد؛ يُفكر كل منهم في حياته وحياة أولاده واحتمالية المخاطرة بحياتهم في مقابل أملٍ زائف أو لعله أمل مضمون ونجاة من موتٍ محتم قادم، فموارد البشر سابقًا تنضب ولا يوجد مفر. نظر طارق إلى سليم وقال:

- رد عليهم يا سليم واسأل.

- أسأل أقول إيه؟

أمسك طارق الجهاز من يد سليم وضغط على زر بدء الإشارة وقال:

- إحنا سبعة لكن فقدنا الجندي اللي كان هيرجعنا.

- موقعك فين؟ مين بيتكلم؟

- حصل ضرب نار والراجل وقع ومش عارفين نوصل للمكان اللي قال إننا بنتجمع فيه.

- كام واحد اشتبك معاكم؟

- ما اعرفش.

سادت لحظات صمت بسيطة ثم تلقوا إشارة أخرى.

- كل الجنود تعمل حركة مفاجأة حالًا.

لم يتفهموا مغزى الرسالة ولكن التوتر كان يزداد بشكلٍ غريب.

- ارجع لمكان الجندي اللي وقع، هنبعت لك عربية على هناك.

أمسك سليم يده قبل أن يجيب وهمس:

- إحنا ما نعرفش مين دول علشان نروح لهم.

تلقوا إشارة أخرى:

- روح على هناك وما تتحركش، إحنا في طريقنا ليكم.

ابتعدت ليلى عنهم قليلًا وقالت بتوتر:

- أنا مش مرتاحة يا سليم، بلاش نروح للناس دي برجلينا.

- ولا أنا مرتاحة يا طارق، فيه حاجة مش واضحة، همَّا بيجمعوا الناس ليه؟

شاركتها فريدة الرأي فتبادل الصديقان النظرات وهما على علم تام بخطورة ما هما على وشك فعله وما يشكله من خطرٍ على حياتهم جميعًا. قال سليم بحذر شديد:

- وقوع البلاء ولّا انتظاره.

- دا مش بلاء دا موت يا سليم.

أسرعت فريدة بالرد وهي على وشك البكاء، فتدخل طارق قائلًا:

- إحنا كمان خايفين على فكرة، ما فيش قرار سهل هنا، يا نروح نفهم فيه إيه يا نكمل كام شهر ونتفرج على بعض بنموت من الجوع ويمكن نموت من الخناق مع باقي الناس اللي مش عارفين همَّا فين ولّا بيعملوا إيه أصلًا؟

خيّم الصمت على الجميع فأكمل حديثه:

- إحنا كل يوم بنصحى بإحتمالية خمسين في المية حد فينا يموت، ما فيش يوم بيعدي إلا وإحنا بنفكر هنعمل إيه وهنجيب أكل إزاي، ولو مُتنا مين هيحمي ولادنا، في ناس لسا عايشة في حتة وبيبعتوا جيش يدور.. القرار دا ممكن يكون كويس جدًّا وممكن يكون أبشع قرار ناخده في حياتنا.

انهارت ليلى في البكاء وهي تقول:

- أنا مش مصدقة إن ممكن يكون فيه حد لسا بيعمل خير أو قاصد يساعد.. لو فيه حد نجى من الحرب دي أكيد مش الطيبين.

بدأت نغم في البكاء فأسرعت ليلى بتهويدها قبل أن يعلو صوتها ويجذب ما هو حي بالخارج.

- تفضلوا هنا وحد فينا يروح يفهم مين دول؟

اقترح سليم ما كان يظنه أفضل للجميع، فانتفضت فريدة لترفض الفكرة وبشدة وأصرت على ألا يتفرقوا مهما حدث.

- لأ، ما حدش هيروح في حتة لوحده، يا نموت كلنا يا نعيش كلنا.
- لأ يا فريدة سليم معاه حق، حد فينا يروح أضمن.

قالت ليلى بحدة وهي تحمل صغيرتها:

- ومين فينا اللي هتضحي بجوزها؟! مين تستحمل كدا؟

وقف سليم بغضبٍ يقول:

- أومال عايزينا نعمل إيه؟ ما فيش قرار سهل وما حدش هيستحمل يقرر لوحده ويتحمل نتيجة قرار زي دا.
- ما اعرفش يا سليم، بس يا نروح كلنا يا نقعد كلنا.

وقف طارق وهو يشارك صديقه الغضب والرغبة في التنحي عن اتخاذ القرار والتقط صخرتين متساويتين في الحجم مختلفتين في اللون.

- ما حدش فينا هيستحمل يقرر، يبقى اللي يقرر هو أكتر واحد مش مدرك اللي بيعمله.

علت نظرات الحيرة وجوه من حوله، فالتقط نغم من يد ليلى وأجلسها على الأرض وأمامها الصخرتين وقد كانت بدأت تلتقط الأشياء بعفوية وعدم استقرار وقال:

- اللي على اليمين ما نروحش، واللي على الشمال نروح.

وقفت فريدة تستوعب الموقف قائلة:

- إنت بتهزر يا طارق؟

ـ لأ مش باهزر، ما فيش قرار صح وما فيش حتى احتمالية أكبر من احتمالية، نغم أكتر حد فينا مش واعي لتصرفاته، اعتبروا اختيارها هو قدرنا أو قضاء ربنا.

تبادل الجميع النظرات لا يقوى أحد على رفض الاقتراح حتى لا يُطالب بغيره، وبداخل كل منهم جزء صغير يود لو تختار الصغيرة حتى لا يتحملوا هم نتيجة الموت المحتم إذا كان هو النهاية.

وقف الجميع خلف نغم لتكون الاتجاهات واحدة في صمتٍ تام يترقبون حركات يدها وهي تمتد للأمام بصعوبة، تميل الصغيرة وتضحك ثم تبتعد، تتحرك ومعها قلوب الجميع تنتفض حتى اقتربت من الصخرة اليسرى والتقطتها لتضعها في فمها؛ سرت الرعشة في جسد الجميع ولم ينبث أحدهم بكلمة، وكأنهم لا يريدون تأكيد هذا الاختيار. أسرعت ليلى لتلتقط الصخرة من يد صغيرتها وذهبت فريدة في صمتٍ لتحمل ابنها الأصغر وتطلب من كريم الذي كان يراقب المشهد بهدوءٍ أن يحمل ما أحضره من الطعام حتى يستعدوا للذهاب، وأعين سليم وطارق تلاقت بخوف؛ أكان هذا هو القرار الصائب؟ وإن كان فما هو القادم؟

أخبرت الجميع بأنها ذاهبة للقراءة في الحديقة العامة بالخارج لتتأمل الطبيعة وتستمع أكثر بكتابها، فاليوم هو العطلة الرسمية وكل أفراد الأسرة باستثناء حلمية ملتزمين المنزل للحصول على أكبر قسطٍ من الراحة، ولكن بالنسبة لحلمية هو يومها الذي تقضيه مع ياسر بالخارج. خرجت قبل حليمة وهي تحمل بيدها الكتاب

وبداخلها تتساءل عما ستكتشفه اليوم، وهل سيأتي أصلًا أم سيختفي ولن تعرف أصل الليلة السوداء! وصلت إلى نفس المكان وجلست بانتظاره ولكن لا أثر له في أي مكان، أخذت تتلفت حولها هنا وهناك ويداخلها شعور بأنها تفعل شيئًا غير صحيح.

- مستنيه من بدري؟

انتبهت إلى صوته بالقرب منها وتفقدت يديه فلم تجد شيئًا بحوذته.

- فين الورق؟

- إيه دا فيه إيه؟

- إنت قلت إنك جاي توريني الورق، هو فين؟

وقفت وهي تنظر إليه ببعض الغضب فابتسم وقال:

- الورق في جيبي، مالك فيه إيه؟

تنهدت وجلست مرة أخرى وهي تقول:

- آسفة، من امبارح بفكر في الورق وافتكرتك ما جبتوش.

- هاضحك عليكِ وما أجيبوش ليه؟ هو أنا أعرفك؟

تطلعت إلى نظرته الواثقة وعيناه الواسعتان وقالت بهدوء:

- ما علشان إحنا ما نعرفش بعض منطقي ما تستأمنيش عليه.

- آه منطقي فعلًا.

مد يده اليمنى في جيبه وأخرج ورقتين مطويتين في نفس حجم ورقة الليلة السوداء وجلس بجانبها، فابتسمت ووقفت مسرعة:

- لأ تعالى نروح الجنينة العامة نشوفهم هناك.
- ليه؟
- أنا قلت لهم في البيت إني هاقرأ هناك.

تحركا سويًّا حتى وصلا إلى الحديقة العامة وجلسا على العشب وحولهما عائلات عديدة تستغل عطلتها في الترفيه عن أطفالهم قليلًا. أشارت له بيدها أن يسلمها الورقتين لتقرأهما، فأعطاها إياهما وجلس يترقب ملامح وجهها وهي تكتشف ما لم يذكر في كتاب المعجزة ولا يعرفه أحد في مدينتهم.

«من منا بلا مشاعر؟»

«كان الجميع يشعر ومشاعرنا متشابهة، فكيف صُنفنا مُبالغين وأنتم معتدلين؟ كنا نتشارك الطعام والمأوى ولم يصدر منا أي فعلٍ يُخالف ما تفعلونه، وتبعنا قواعدكم وخضعنا لاختباراتكم التي زيفتم حقيقتها، لقد كذبتم أولًا وغدرتم أولًا. سُلبت الديار وتفرقنا حتى تحيوا أنتم بسلام، قتلتوا نفوسًا بغير حق وأطفالًا بلا رحمة، كان الجميع عزل وأسلحتكم النيران، من منا المريض إذًا؟!».

كانت ملامحها في غاية الحيرة وهي تقرأ وهو ما زال يتابعها بعينيه، تفقدت الوجه الآخر من الورقة لتجده فارغًا بلا كلمات، فأمسكت بالورقة الثانية ولكنه أمسك يدها قبل أن تتفقدها وقال متعجبًا:

- ما عندكيش تعليق؟

نظرت إلى الورقة مرة أخرى وهي تقول بهدوء:

- مش فاهمة، مين اللي كانت كدا؟ هو فيه حد من المُبالغين عايش؟

قرأت الورقة مرة أخرى ونظرت إليه قائلة:

- بس الكتاب بيقول إنهم قتلوا بعض.
- قلت لك اللي مكتوب مش هيعجبك وهيحيرك أكتر.
- سديم كان منطقي تكذب، لو ما كانتش كذبت كانت الناس مش هتعمل الاختبار.
- لو كان عندها نية تنقذ الكل ما كانتش هتكذب.
- كان عندها نية، بس ما كانش فيه إمكانيات تسمح، كانوا راجعين لهم بس هم اللي ما صبروش.
- اقرأي الورقة التانية.

نظرت تيماء إلى الورقة والكتاب وزاد شعورها بالقلق، فأمسكت بالورقة الثانية بحذر.

«خدعة سديم»

«لا يمكن التخلص من المشاعر ولا مقاومتها، لم يخبركم كتابكم عما حدث بالفعل، لم يعد إلينا أحد لإنقاذنا، لقد ألقت علينا ألسنة اللهب من السماء لتُفرق بيننا وتقتل من لم يستطع النجاة، حُرق أحبتنا وفقدنا ملجأنا الأخير وتُركنا للعدم. هنالك جانب من الحياة لم تعيشوه بعد، وما تشعرون به ليس اعتدالًا. احذروا فإن النهاية قادمة!».

- يعني إيه؟

قالتها وهي تشد قبضتها على الورقة وتتفحص الجزء المكتوب بالكتاب.

ـ يعني إيه مش فاهمة؟ ما حدش رجع؟!

ـ لأ رجعوا.

ـ أومال ليه بيقول ما حدش رجع ينقذهم؟!

ـ ما حدش رجع بنية إنه ينقذهم.

ـ أومال رجعوا ليه؟

أمسك من يدها الورقة الثانية وأشار إلى جملة بعينها وسط السطور: «**لم يعد إلينا أحد لإنقاذنا، لقد ألقت علينا ألسنة اللهب من السماء لتفرق بيننا وتقتل من لم يستطع النجاة**».

تنهدت تيماء وقالت بتعجب:

ـ حرقوهم!!

وضعت كل شيء على الأرض ونظرت أمامها تلتقط بعض الأنفاس حتى لا يبدو عليها القلق، ثم نظرت إليه بهدوء مُصطنع وقالت:

ـ هو إنت رأيك إيه؟

ـ أنا مش قادر أقف في صف حد فيهم، بس لو فكرتِ فيها هتلاقي إن فيه حاجات كتير إحنا ما نعرفهاش.

ـ زي إيه؟

ـ إنتِ عمرك بطلتِ المصل؟

ـ لأ طبعًا، دي تبقى كارثة بالذات عليا.

- اشمعنى؟؟
- علشان أنا من المُتبنيين.

ظل محدقًا بها دون أن ينبث بكلمة واحدة، فشعرت بالخجل من صمته فهو بالتأكيد ينظر إليها الآن وفي اعتقاده أنها على وشك المرض أو ما شابه.

- مش معنى إن أهلي كانوا من المُبالغين إني هاتعب، أنا باعمل فحوصات أكتر منكم كلكم وجرعتي من المصل زيادة.

أمسكت الكتاب وفتحت الصفحات الأولى لتقرأ عليه: «**واحتفظنا بكل من هو أصغر من عامين بلا تشخيص، فالأطفال بالفطرة معتدولون وبالتربية مُبالغون**».

- يعني أنا طبيعية طالما متربية مع أهل معتدلين، وحتى لو كانت المشاعر في الجينات فأنا بتابع باستمرار.

تأمل النص المكتوب وأخذ من يديها الكتاب ليكمل قراءة النص بهدوء دون إبداء أي تعبيرات وهي لا تفهم المغزى، هل يظن حقًّا أنها ستصاب بمرض المشاعر؟

- هو إنت بتتأكد من كلامي؟
- خلصتِ الكتاب؟
- لأ لسا، بيقولوا هيعجبني أوي بس دلوقتي أنا كل كلمة مش فاهمة صح ولا غلط والمنطق عندي بقى مشوش، مش عارفة كمان أروح أعمل فحوصات علشان هارُد أقول إيه؟

- الورق دا أكيد غلط، ما حدش ينفع يعرف عنه.
- إنت كمان المنطق مشوش عندك؟

ابتسم وهو يستشعر نظرة الرجاء في عينيها بأن يقر أنه هو الآخر يكاد يجن من تشويش المنطق بداخله حتى لا يصبح الشعور خاصًا أو خاطئًا، فقال مبتسمًا:

- دا أنا ما بقيتش عارف أنا مين ولا بعمل إيه حتى!

ارتسمت البسمة على وجهها تلقائيًا، وفجأة سمعت صوت حلمية بجانبها يناديها فأحكمت قبضتها على الورقتين بشدة وسلمتهما إليه من خلف ظهريهما حين رأت حليمة قادمة باتجاههما.

- إيه دا؟ ما قلتيش يعني إنك مش جاية تقرأي لوحدك.

زاد ارتباك تيماء وهي ترى شقيقتها وخطيبها أمامهما ولا تعلم كيف تفسر أو تضع ما يربطها بعمر تحت مسمى مفهوم.

- لأ ما أنا كنت جاية لوحدي فعلًا، دا عمر.

وقف عمر وهو يضع الورقتين في جيبه الخلفي، ومد يده لمصافحة ياسر ثم حليمة مبتسمًا.

- دا آخر واحد قرأ معجزة سديم، كنا بنتناقش في الكتاب، هو شافني في المكتبة مرة قبل كدا.

التزم عمر الصمت تمامًا وعلى وجهه ابتسامة يحاول منعها وهي بجانبه تحاول إخفاء ارتباكها. ابتعدوا عن عمر بضعة خطوات فجلس مجددًا وأمسك بالكتاب يتفحصه بتركيز، فقالت حليمة لشقيقتها:

- بس كويس عمر.

- وانتِ تعرفي منين؟

- أنا بهزر معاكِ، مالك؟

- لأ ما ليش.

ابتسم ياسر وسألها بهدوء:

- بيشتغل إيه عمر؟

- ما اعرفش.

- اسمه عمر إيه؟

- ما اعرفش.

تعالت نظرات التعجب على وجهيهما وهما يراقبان جهلها التام بأيةِ معلومة عنه سوى اسمه، فقالت حليمة بحذر.

- أمال اتعرفتوا على بعض إزاي؟

- سألني لو كنت خلصت الكتاب وقعدنا نتناقش فيه، هو لسا جاي هاعرف كل دا إزاي؟

ابتسم ياسر وتبادل هو وحليمة النظرات، وقالت وهي تُقبّل شقيقتها على خدها:

- طيب هنسيبك إحنا علشان تلحقي تخلصي مناقشة الكتاب وتسأليه عن كل الحاجات دي علشان هاعرف منك كل حاجة لما نرجع البيت.

- مش منطقي أسأله عن كل دا علشان أنا مش هشوفه تاني.

- ومش منطقي تقعدي مع حد ما تعرفيش عنه حاجة.

قالتها حلمية وانصرفت هي وخطيبها وتركا تيماء بدقات قلبٍ تتصارع شيئًا فشيئًا وهي تفكر في تصرفاتها الغير منطقية وكيفَ يحدث هذا لها، عليها أن تتناول المصل في أقرب وقت. عادت إلى عمر لتجده يستعد للرحيل بعدما تفقد ساعته وهو يخبرها بأنه عليه العودة الآن وسيلاقيها غدًا في نفس المكان مرة أخرى.

لم تقبل ولم ترفض ولكنها انصرفت بدون كلمة واحدة، فهو حقًّا لم يعطها فرصة للتفكير في الأمر وانصرف فجأة.

عادت إلى المنزل في هدوءٍ وهي تُفكر في محتوى الرسائل، كل شيءٍ أصبح مشوشًا وغير واضح. ابتسمت لوالديها ودخلت غرفتها لتجلس وحدها قليلًا وتكمل الكتاب، تحسست حقيبتها فلم تجد الكتاب بحوذتها لقد نسيَته مع عمر. استلقت على الفراش وهي في غاية التعب؛ لم تعتد التفكير الكثير والأشياء الغير منطقية تحاوطها، لا تعلم كيف تستسلم لسؤال بلا إجابة؟ كيف لها أن توقف التفكير وتحمي نفسها من الإفراط فيه؟ لمَ لم يعطها عمر رقم هاتفه لتتواصل معه ويتشاركان الحديث سويًا؟ كيف له أن يكون بهذا الهدوء حيال أمر بهذا الحجم؟ أهو شيء طبيعي وهي تبالغ؟ أيحدث شيء لمشاعرها؟!

انتفضت من فراشها وتناولت جرعة المصل الخاصة بها وقررت النوم قليلًا حتى تعطي لعقلها بعض الراحة، عليها أن ترتاح قليلًا من كل هذه الأفكار، ولكن عليها أن تسأل نفسها سؤال أخير: لماذا كلما ساد الصمت تذكرت نبرة صوت عمر وكأنه يحدثها؟ ولمَ تتذكر ملامحه وتبتسم؟

ذهبوا معًا كما قررت الصغيرة أو كما أطلقوا على اختيارها: «**القدر**»، تحركوا ببطءٍ وراء ذاكرة طارق وكريم إلى مكان الجندي المقتول، ولكنهم احتموا بمبنى ليس ببعيدٍ عنه، ولكنه لا يقع تحت دائرة الخطر إذا جاء أحدهم. حملت ليلى صغيرتها النائمة بحذرٍ حتى لا تستيقظ وتكشفهم فور بكائها، تكاد دقات قلوبهم تُسمع من بعيد من فرط الخوف.

- ما حدش يتحرك ولا يعمل صوت، وليلى وفريدة اعملوا أقصى جهدكم إن العيال ما تعيطش.

قالها سليم بوجهٍ يكسوه القلق، وطارق بجانبه يراقب الطريق، قطع الصمت الذي كان يُخيم على المكان صوت عجلاتٍ تقترب منهم، كم مر عليهم من وقتٍ دون أن يسمعوا صوت سيارةٍ تتحرك!! التفت الصديقان بأعينهم تجاه الصوت، فوجدا سيارة كبيرة يخرج منها ستة جنود مسلحين ليقتحموا مكان الجندي المقتول.

- أهو يا سليم اللبس، لبس جيش مين دا؟
- أنا عمري ما شفت اللبس دا قبل كدا.
- يعني دا مش جيش دولة تعرفها بعينها؟
- لأ، بصي كدا يا ليلى.

نظرت ليلى ومن خلفها فريدة بحذرٍ ليتبادل الجميع نظرات الحيرة وهم غير مدركين من هؤلاء الجنود وإلى أي جيش ينتمون!

صوت إشارات اللاسلكي من بعيد غير واضح، فاقترح طارق استراق السمع لما يحدث وما يقال.

«ما فيش حد هنا»، «هنغطي المنطقة ونرجع للمخيم الكبير»، «فيه أكتر من حد عندك في المنطقة، دور على اللي أخد سلاح الجندي»، «آخد إذن بالاشتباك لو معاهم أسلحه؟»، «ما تشتبكش أولًا، ما تضربش غير لو اتضرب عليك.. دوّر على الناس المتبقية وضمهم مع اللاجئين علشان ناخدهم وننقلهم من هنا».

- مين اللاجئين دول؟ هيتنقلوا على فين؟

وجهت ليلى سؤالها بصوتٍ منخفض إلى سليم، ولكنه تجاهلها وأغلق جهاز الإرسال على الفور وجذب صديقه على بُعد مسافاتٍ قليلة منهم.

- هنروح لهم يا طارق؟
- عايز أعرف تبع مين دول، لازم نعرف إيه اللي بيحصل برة.
- رأيك من رأيي يعني؟! لازم نروح.

اقتربت ليلى وهي تحمل نغم النائمة وبجوارها فريدة بعدما سلمت صغيرها لشقيقه الأكبر وقالت بحدة:

- إنتوا بتتكلموا من غيرنا ليه؟ لأ دا مش وقت تهمشونا فيه.

هز طارق رأسه مستنكرًا وهو يقول:

- نهمِّش مين يا فريدة؟ الفيمنست انتهوا مع الحرب، ناوية تبدئي منظمة لوحدك في الخراب اللي إحنا فيه دا؟!
- إنت بتهزر يا طارق!

- لأ مش بهزر، بنتكلم بنشوف هنعمل إيه، دينيًا إحنا المسؤولين قدام ربنا عنكم، يعني بنشوف هنقابل ربنا نقول له إيه.

أمسكت ليلى بذراع سليم وقالت وهي ترتجف:

- ما اعرفش ليه مش مرتاحة لهم يا سليم.

أمسك بكف يدها المتعلق بذراعه وقال بصوتٍ هادئ:

- ما حدّش مطّمن، بس ربنا هيحمينا ويكتب لنا الخير، ما تقلقيش.

انتبهت فريدة لصوت صخرةٍ صغيره تقع على الأرض من خلفها، فنظرت لتجد كريم يلتقط بعض الأحجار من الأرض فسقطت منه واحدة. التفتت حولها بفزعٍ وهي تبحث عن ابنها الأصغر في كل مكان.

- فين أخوك يا كريم؟

- قاعد هناك أهو.

انتبه كريم وهو يشير بإصبعه إلى المكان الذي ترك به شقيقه ولكنه غير موجود. انتفض طارق من الفزع والتفت الجميع حول أنفسهم وكريم يبرر لوالدته ـالتي بدأت قدماها في الانتفاض من على الأرضـ بأنه كان يلاعبه وتركه ليحضر له بعض الصخور ليلقياها سويًا.

- يا ماما أنا كنت بألعب معاه ورايح أجيب له طوب، ما كانش قصدي أسيبه.

اقترب طارق من باب المبنى بحذرٍ وهو يبحث بعينيه عن صغيره ومن خلفه سليم وتتبعهما فريدة ترتجف من الخوف، وتقف ليلى بالداخل تمسك بيد كريم لتخفف عنه حدة الموقف وتمنعه من البكاء. لمح طارق صغيره يقف بمنتصف الشارع بالقرب من المبنى المليئ بالجنود، فاقترب بسرعةٍ قبل أن يراه أحد، وفور خروجه من المبنى وجد ثلاثة جنود يقفون بجوار الحائط المجاور له لم تكشفهم عيناه حين تفحص المكان من حوله.

ركض إلى صغيره ليحتضنه وسحب سليم يد فريدة متراجعًا للخلف بجوار ليلى بدون تفكير، وأشار لهم بإصبعه ألا يصدرا أي صوتٍ مهما كان، وتحرك ببطءٍ وأمام عينيه يرى طارق الجالس على ركبتيه وبين يديه صغيره وعيناه تتخذان نظرات الهجوم. أمسك بحجرةٍ مما كان يجمعهم كريم وبدأ يتحرك ببطءٍ نحو المخرج، ولكنه وجد جنديًا بسلاحٍ يداهمه أمام المخرج ويرفع عليه السلاح مشيرًا له بعدم الاقتراب.

- ما تقرّبش وارجع اقف معاهم ورا.

قالها الجندي بحدةٍ ملحوظة وبلهجةٍ يفهمها جيدًا.

- إنتوا مين؟

- هنفهمك كل حاجة، بس لمصلحتك ومصلحتهم ارجع ورا.

قالها وهو يُشير إلى ليلى وفريدة والصغار فتقهقهر سليم ببطءٍ إلى الخلف وعيناه لا تغفلان عن طارق بالخارج.

- أنا عايزة أروح لابني وجوزي برة.

انهارت فريدة في البكاء وتبعها كريم وهو يرتجف ظنًا منه أن والده سوف يُقتل بالخارج. اقترب الجندي من سليم يفتشه ويتفحص ليلى وفريدة جيدًا، ومن بعدهم كريم، ثم تحفّظ على السكين الصغير الذي كان بحوزتهم، ثم صاح بصوتٍ مسموع:

- عُزّل، ما حدش معاه سلاح.

أنزل سلاحه واقترب جندي من الخارج إلى طارق ليفتشه هو الآخر، ثم دعاه للوقوف بالداخل مع أصدقائه. سلّم صغيره إلى أمه ووضع يده على كتف كريم يُهدئ من روعه، ثم وقف هو وسليم أمام زوجتيهما وأطفالهما منتظرين أي تفسيرٍ لما يحدث هنا، فهم الآن من هؤلاء اللاجئين لا مفر.

مرت الأيام ولم يتواصل معها عمر ولم يتقابلا كما وعدها، ولم ترَه في المكتبة، حتى ظنت أنه قد ينتظرها هناك أو حتى في الحديقة العامة، يا ليتها سألته عن عنوانه بالتفصيل!

خرجت من غرفتها كعادتها لتناول الفطور معهم وتجتمع العائلة، الكل معتدل إلا هي على وشك المُبالغة والانهيار. يتملك منها التفكير بشكلٍ غريب وتتناول جرعاتها في مواعيدها، ولكنها لا تستطيع أن توقفً التفكير مهما حاولت.

- صباح الخير يا تيماء، اتأخرتي في النوم يعني.

- لأ خالص يا بابا، أنا بس كنت بروق السرير وبشيل شوية هدوم في الدولاب.

- طيب تعالي افطري يللا.

جلست معهم تستمع للأحاديث المعتادة وحليمة ترمقها بنظرةٍ خبيثة تبين ما بقلبها من قلق أو الإحساس بوجود شيءٍ غير طبيعيٍّ في روتين أيامها.

- مش هتنزلي تروحي المكتبة أو الحديقة العامة النهاردا؟

قالتها حليمة بخبثٍ وهي تبتسم، ففهمت تيماء بأنها تقصد عمر، يا ليتها لم تقابله أو تبحث عنه! لا تستطيع إيقاف تفكيرها ولا إبعاده عن ذهنها.

- مش عارفة، لأ ما أظنش، هافضل النهاردا هنا.

قاطعتهما والدتهما وهي تُخبر زوجها بجديةٍ:

- مش سميرة وممدوح هيتطلقوا!

انتبه الكل إلى دعاء وهي تُلقي الخبر فجأة.

- ليه كدا؟

- راحوا كشفوا بعد موضوع المصل اللي اتبدل دا ولقوا إن سميرة المشاعر عندها عالية جدًّا عن المتوسط، وبعد ما عملوا الفحوصات الفردية طلبوا منهم يعملوا فحص الجواز.

توقفت لترتشف من كوبها بهدوء، ولكنّ الحوار قد أثار خوف تيماء، مشاعر! أصبحت سميرة مُبالغة! أسيكون هذا هو مصيرها إن لم تعترف بكل شيءٍ الآن؟! زاد توترها فقالت بحدةٍ:

- وبعدين يا ماما مش وقت شاي دلوقتي!!

نظر إليها الجميع بتعجبٍ على اندفاعها الغير مبرر، فأربكتها نظراتهم وقالت بهدوءٍ:

ـ أصل بتحكي موضوع غريب وفي النص تقفي كدا! شوقتيني.

نظرت حليمة إليها بهدوءٍ وقالت مبتسمة:

ـ هو الموضوع مش غريب، ما هي نفسها عارفة إن الجرعة بتاعتها متبدلة من فترة ودي هتكون النتيجة، بعدين هي لحقت نفسها وراحت، وماما كدا كدا هتكمل الموضوع، مالك بقى؟

ـ ما ليش، حقكم عليّا، كملي يا ماما الشاي الأول.

أخفت ملامحها خلف كوب الشاي الخاص بها وهي تنظر بداخله ولا تتبادل النظرات معهم، فأكملت دعاء قائلةً:

ـ بعد ما عملوا فحوصات الجواز النسبة طبعًا طلعت مش حلوة ليها، فكان رأيهم هناك إنهم يتطلقوا أو تتعزل فترة عن ممدوح في بيت تاني لحد ما النسبة تتظبط، بس هم الاتنين شافوا إن المنطقي أكتر إنهم ينفصلوا، حسب البروتوكول والصح يعني.

ـ طب وولادها كمان رأيهم كدا؟

سألت حليمة باهتمام، فأجابها والدها قائلًا:

ـ الصح ما فيهوش آراء، كدا أأمن ليها ولُه وللولاد نفسهم، ودا هيعلمهم كلهم ياخدوا بالهم من جرعاتهم وفحوصاتهم.

- بس هي هتكون كويسة يعني يا ماما؟
- آه هتكون كويسة أكيد يا تيماء، هتاخد جرعات مكثفة شوية وهتقعد في بيتها بهدوء وبعد التلات شهور العلاج هيرجعوا لبعض أكيد.
- طب ليه بيطلقوا؟ ما كانوا ينعزلوا أحسن.
- نظام الطلاق بيكون علشان يحفز الشخص يرجع أسرع والله أعلم يعني.

انتهى الحوار حين أكملت دعاء طعامها ولم تشأ تيماء في السؤال عن شيءٍ آخر حتى لا تثير حولها الشكوك. رن جرس الباب فذهب والدها ليجيب الطارق، ولكنه عاد بكتاب معجزة سديم في يديه وينظر إلى تيماء بتعجب.

- إيه دا يا بابا؟ جبته منين دا؟!
- ما اعرفش، قولي لي إنتِ بيعمل إيه الكتاب على باب الشقة؟!

ذهبت مُسرعة إلى الباب لتلحق به فبالتأكيد هو من أرسل الكتاب إليها أو وضعه أمام عتبة منزلها، عادت إلى والدها وقالت:

- إيه دا؟ دا ما فيش حد على الباب!
- ما أنا عارف، أنا فتحت لقيت الكتاب بس.
- غريبة دي!

ابتسمت بهدوءٍ وأخذت الكتاب من يد والدها وقالت بسرعة:

- دا أنا كنت فاكراه ضاع وكنت زعلانة جدًّا، الحمد لله.

تبادلت النظرات مع حليمة التي ابتسمت بخبثٍ مرة أخرى وقالت مبتسمة:

- طب الحمد لله إن الكتاب عرف يرجع لوحده.

ابتسمت تيماء وهي بداخلها تشعر بالفرحة لأنه أخيرًا تواصل معها حتى وإن كان قد ترك لها الكتاب فقط ورحل ولكنها بباله، ثم أجابت شقيقتها قائلةً:

- أكيد يعني الكتاب ما جاش لوحده، أكيد عمر اللي رجعه لما نسيته معاه.

- ودا مين عمر دا؟

قالتها والدتها وهي تلتفت إليها بابتسامةٍ:

- دا واحد من المكتبة كدا كنا بنتناقش سوا في الكتب اللي بنقرأها يعني.

تطلعت دعاء قليلًا في عيني ابنتها، وقالت بهدوءٍ متفهمة الوضع والارتياح الواضح على وجهها:

- طب كويس، حلو موضوع الكتب دا، طلع مفيد فعلًا.

رفض الجميع التحرك مع الجنود دون فهم تفاصيل الموضوع، ولكن الوقت الضيق ووجود أسلحة موجهه إليهم جعلهم يخضعون للقرار مُجبرين. صعد الجميع إلى السيارة مع الجنود، وطوال الطريق تكسوا وجوههم علامات الخيبة والانهزام، وفي قلوبهم أمل أن تُخطئ ظنونهم، ويحمل لهم هذا الموقف الخير فيما بعد. مر وقت

طويل ولكنهم بالنهاية وصلوا إلى حدود مكانٍ غريب تظهر به العديد من الخيم ويضج بالبشر، «**كل دول لسا عايشين؟!**» قالها سليم في باله دون أن ينطقها، وكان متيقن أن نفس السؤال يطاردهم جميعًا.

- هو إنتم بتجمعوا الناس ليه؟

سألها طارق وهو يرجو خير الإجابة.

- أول ما تنزل هيفهموك كل حاجة جوة، ما تقلقوش، وجودكم هنا أحسن ليكم.

ترجلوا من السيارة وتوجهوا ببطءٍ تجاه بوابة المخيم، يمسك كريم في قميص والده بحذرٍ حتى لا يفلت منه، وتحتضن كل من الصديقتين طفلها بشدة، ويتلفت سليم حوله كل دقيقة ليكون متأهبًا لأي خطرٍ قد يحل عليهم.

ابتسم لهم حارس البوابة وهو يحمل سلاحه وقابلهم رجل وامرأة، تولت المرأة تفتيش النساء، وبدأ رجل في تفتيش طارق وسليم ليتأكد من خلو جيبوهما من الأسلحة. تشتد قبضة ليلى على نغم والمرأة تفتشها هي الأخرى، وكأنها ستخبئ في صغيرتها سلاحًا! ولكنها لم تنبث بكلمة حتى يمر هذا الموقف على خير، وفور تأكدهم من خلو هذه المجموعة من أي سلاح اقتربت سيدة أخرى من ليلى وفريدة وأعطت كلًّا منهما حقيبة شفافة تحمل بداخلها أقمشة يبدو وكأنها ملابس. استرقت ليلى نظرة إلى البشر بالداخل لتجدهم جميعًا يرتدون نفس الملابس ويبدو أنهم من أجناس وأعراق مختلفة وإن كان أغلبيتهم من العرب أو من أماكن قريبة من هنا، فتفهمت محتويات الحقيبة.

انتفضت فريدة عندمنا أمسكت السيدة بيدها لتدلها على مكان خلع الملابس، وانتفض زوجها أيضًا وقال بحدة:

ـ ما حدش هيروح معاكِ في حتة، إحنا ما حدش عايز يفهمنا أي حاجة.

ـ ما فيش حاجة، هاخدهم بس عند الأوضة دي هيغيروا هدومهم وهيرجعوا هنا تاني.

تدخل سليم هنا ليعترض بشدة على فكرة التفرق وخاصة زوجاتهم وأطفالهم، فأجابت السيدة بتحدٍ:

ـ يعني أدخلكم كلكم أوضة واحدة تغيروا فيها مع بعض؟!

تبادلت ليلى النظرات مع زوجها وكأنها تسأله كيف لهما أن يفعلوا شيئًا كهذا؟ ولكن قال طارق بهدوءٍ وهو يجذب سليم للاقتراب منه قليلًا والهدوء:

ـ هو فيه أوضة للستات وأوضة للرجالة؟

ـ لأ هي أوضة واحدة بالدور.

ـ جميل جدًّا، بدل ما ندخل ستات وبعد كدا رجالة، اسمحي لكل راجل وأسرته يدخلوا سوا.

ابتسمت له ابتسامة هادئة، وقالت:

ـ ما فيش أي مشكلة، مين حابب يدخل الأول؟

تحركت فريدة أولًا ومعها طفليها وزوجها وبدلوا ملابسهم، ثم تبعهم سليم وليلى وطفلتهما وما زالت علامات الدهشة تكسو وجوه الجميع. ارتدوا نفس الملابس وتوجهوا مع إحدى الجنود إلى خيمتين متجاورتين، وأشار لهم بالدخول والانتظار قليلًا. اتجه سليم

وليلى إلى خيمتهما وهما يتفحصان كل شيءٍ من حولهما، ولاحظت ليلى ترتيب كل شيءٍ بالداخل من مفارش تعلو عن الأرض قليلًا للنوم، ومنضدة صغيرة عليها ثلاثة أكياس شفافة بكل منهم بعض الخبز وشيءٍ ما مُغلق، أمسكت به لتتفحص محتوياته وقالت بدهشة:

- همَّا عندهم أكل كتير؟

التفت إليها سليم بكل هدوءٍ وهو ينظر إلى كيس الطعام الذي تحمله بيدها وقال:

- أنا مش قادر أستنى علشان أعرف مين دول!

- مش مهم مين، لو هنفضل هنا وهيأكلونا خلينا قاعدين بدل الرعب والجوع اللي كنا فيه.

- أيوة، ما أكيد لو هنقعد هنا وناكل فيه مقابل، ما حدش بيأكل حد ببلاش كدا.

- ما اعرفش بقى يا سليم، بس الأكل دا مش هينفع نغم.. وحقيقي أنا خايفة يكون اللبن بتاعي مش كفاية، وما فيش دكاترة ولا فيه أي حاجة أعرف منها إذا كانت كدا كويسة ولا لأ.

- ما هي بتنام وبتسكت يعني أكيد شبعانة.

- لأ مش أكيد، ما فيش حاجة أكيد.

- بس همَّا حاطين لينا ٣ أكياس ليه؟! إحنا اتنين.

حمل الثلاثة أكياس بيده وجذب ليلى بهدوءٍ من يدها وخرجا من خيمتهم لينادي على صديقه من أمام باب الخيمة، أخرج طارق

رأسه وأشار له ولليلى بالدخول على الفور، كانت خيمتهم تشبه الأخرى تمامًا مع اختلاف زيادة مفرش واحد للطفلين.

ـ عندكم كام كيس أكل يا طارق؟

ـ معانا أربعة ليه؟ فيه حد فيكم مش معاه؟

ـ لأ، همَّا حاطين لينا ٣ فقلت يمكن اتلخبطوا وحد فيكم مش معاه أكل.

ـ لا يا حبيبي كلنا معانا، يمكن عاملين حساب نغم.

تأففت ليلى وهي تجلس بجوار فريدة بعدما سحبت كيسَ طعام من يد سليم لتأكل منه وهي تقول:

ـ لأ، الأكل دا مش هينفع نغم.

أخذت فريدة قطعة خبزٍ وقسمتها لقطعٍ صغيرة وناولت قطعة منهم إلى ابنها الأصغر وهي تردّ على ليلى:

ـ الناس دي شكلهم معاهم أكل ولبس وخيم، أكيد عندهم دكتور أطفال.

توقفت ليلى عن الأكل وهي تنظر إلى سليم فانزعج بشدة قائلًا:

ـ ما حدش في الناس دي هيلمس بنتي يا ليلى.

ـ ليه يا سليم؟ أنا محتاجة أطّمن عليها.

ـ تطمني من مين؟ مين دول؟!

جذب طارق يد صديقه ليجلس بجانبه هو وكريم وقال بهدوءٍ:

ـ سليم معاه حق يا ليلى، استني بس نفهم مين دول وبعدين نعمل كل اللي إنتِ عايزاه.

أمسك بكيس طعام وأعطاه إلى صديقه ليتناول معهم الطعام، ولأول مرة منذ مدةٍ يجلس الأربعة بهدوءٍ ليتناولوا الطعام آمنين، بلا حراسة ولا الخوف من إصدار ضجة. أمسكت ليلى بالكيس الزائد عن عددهم وأشارت لفريدة أن تقسم محتوياته على الولدين حتى يشبعا، فمن منهم يعلم موعد الوجبة التالية! ثم بللت بعض فتات الخبز وأطعمتها لصغيرتها، وبعد لحظاتٍ من تناولهم الطعام سمعوا صوتًا يستأذن بالدخول من الخارج، فأذنوا لهم بالدخول ليدخل عليهم رجل وامرأة يرتديان زيًّا رسميًا مخصصًا للحراس أو المسؤلين عن هذا المكان الغريب.

- مساء الخير، أنا سامي القائد المسؤول عن المخيم دا، كنت حابب أرحب بيكم معانا وأرد على أي استفسار عندكم.

قبل أن ينتهز أي منهم فرصة للسؤال أشار سامي للفتاة بجانبه، فاقتربت من ليلى وهي تسلمها حقيبة صغيرة، ثم نظر إليها قائلًا:

- عرفنا إننا معانا بيبي صغير مش هيمشي معاه الأكل اللي جبناه، على العموم دي شنطة فيها لبن أطفال وشوية أقمشة ممكن نستخدمها في الغيار.

ابتسمت ليلى وتفحصت محتويات الحقيبة وكانت على وشك أن تسأل عن طبيب أطفال، ولكن شد سليم قبضته على ذراعها وقال مستفسرًا:

- ممكن حد يفهمنا إنتم تبع مين؟ وإيه المكان دا الأول؟

أشار لهم بالجلوس أولًا وجلس هو الآخر أمامهم وعلى وجههِ ابتسامة هادئة:

- دا مُخيم الجزء الجنوبي للناجين من الحروب، وهو المُخيم الوحيد، وأي ناجي من أي مكان في العالم هيترحل على هنا.

- أيوة يعني إنتم تبع مين ولا مين اللي كسب في الحرب؟

سأله سليم بتعجبٍ شعورًا منه بأن كل الأجوبة التي سيتلقاها ستظل مُبهمة:

- دا مُخيم للناجين، إحنا مش تبع بلد معينة، وما لناش أي أغراض سياسية من الموضوع.

ابتسم بأسى وكأنه سيقص عليهم موعظة قديمة، وقال:

- أما بالنسبة للحرب فما حدش كسب، الحرب أرهقت الكل واتبقى في البلاد شوية ناس كانوا مستخبيين، ومن حسن حظهم القنابل والرصاص ما طالوهمش.

كان طارق على وشك التحدث فأكمل القائد حديثه وهو يقول:

- حقيقي ما حدش كسب علشان ما بقاش فيه شعب آمن على غيره ولا على بعض، فـ حتى لو جيش انتصر هيرجع لخراب، بعدين في مناطق كاملة اتبادت بفعل القنابل النووية، واللي اتبقوا حواليها يا مشوهين يا مرضى.

دخل إليهم جندي ومال على أذنيه وقال شيئًا وهو يهمس، فأشار القائد له بالانصراف فور أن أبلغه بالأمر وأكمل:

- البلاد النامية اللي ما كانش ليها قوة تحارب بيها أوي كانت أقل خسائر من غيرها، ولكن الأفضل حظًا نسبيًا كانت البلاد الأفريقية علشان معظم البلاد نامية أو مش قوية اقتصاديًا زي الباقي، فالقنابل النووية ما جَتش قريب منها.

أبدت فريدة اهتمامها وهي تسأل بهدوء:

- يعني مين البلاد اللي نَجت؟
- ما فيش حاجة اسمها بلاد خلاص، العالم كله ما بقاش له معالم واضحة، لا الحدود ولا التقسيمات السياسية والنزاعات الاقتصادية، حتى الرؤساء اللي حاربوا ماتوا، واللي استخبوا ما نعرفش همّا فين وهل عايشين ولا لأ، وفي الأغلب لأ.

رفع طارق إحدى حاجبيه غير مصدقٍ لكل ما يُقال.

- معلش، يعني إيه؟ وانتم بقى مين؟ وإزاي اقتصاديًّا قادرين تلبسوا شبه بعض وتجيبوا عربات تدور وتجمعوا اللي عايش وليه؟
- إنت كنت بتابع أخبار العلم قبل كل دا؟ كنت مهتم بيها يعني؟
- يعني مش أوي.
- طب حد فيكم يسمع عن العالمة سديم؟

ابتسمت ليلى وهي تقول:

- آه، أنا قرأت مقالة قبل كدا في الجرنال اللي كنت بفرده على السفرة عن عالمة كدا كانت بتقترح إنها ممكن تنهي حروب العالم كلها بالعلم.

ابتسم القائد لبساطة شرحها للأمر وتلقائيتها وقال مبتسمًا كعادته:

- هي دي بالظبط سديم وهي دي رسالتها.

تهكم طارق على كلام الرجل وقال بسخرية:

- لأ واضح إنها نجحت فيه، العالم كله معالمه اختفت والناس كلها ماتت.

التفت إليه سامي وأكمل قائلًا:

- لأ هي ما اتدخلتش في البداية لأنها كانت حرب حتمية ومعركة خسرانة، هي حاولت كتير ولكن كل الدول اعتبرت إنها مجنونة وما حدش رضى بتنفيذ اقتراحها، لكن هي عندها بصيرة للي كان هيتم، وعلشان كدا قضت سنين من قبل الحرب وفترة الحرب دي بتجهز نفسها لليوم اللي إحنا فيه دا.

تطلع في عيني كريم وهو ينصت له باهتمام وعيناه تملؤهما الفضول لمعرفة تفاصيل القصة، حتى وإن كان لن يدركها كاملًا، فأكمل حديثه:

- أنشأت معمل كبير لنفسها في منطقة غير مأهولة في صحرا شبه اللي إحنا فيها دي، وبدأت تاخد تمويل بهدف الأبحاث والعلم وتحتكر بعض الأدوية وتاجرت

بأزمة الحرب اللي همّا بدأوها علشان تجيب فلوس تشتري بيها مخزون أكل وأسلحة وتجهيزات وموارد تكفيها لبدء حياة جديدة ومتطورة.

ابتسم القائد إلى الوجوه المنصتة إليه باهتمام وأكمل:

- ساعد العالمة سديم على دا إن كان ليًها حلفاء مؤمنين برسالتها جدًّا، مهندسين ودكاترة وعلماء زيها ومدرسين وكله، كلهم كرسوا سنين من حياتهم علشان اليوم دا لما ييجي -وكان الكل متوقع إنه جاي- نكون مستعدين نواجهه.

انتبه الجميع عند كلمة حياة جديدة، الكل من داخله مضطرب من النوايا الخفية للأمر، ولكنهم قد فقدوا الأمل في الحياة الكريمة التي تحتوي على مأوى وطعام وأمان، سأل سليم باهتمام كامل:

- حياة جديدة إزاي؟ وفين؟ واشمعنى إحنا؟

- الفكرة مش لمين، لأي حد فضل عايش الفترة دي، سديم بعتت فريق بحث حوالين العالم علشان يجمع كل الناجين، سديم بدل ما تعافر مع عالم متهالك قررت تبدأ هي من جديد عالم بلا حروب، عالم فيه ناس شافت أهوال وعواقب الحرب وتتمنى من كل قلبها ما ترجعلهاش تاني.

وقفت ليلى لتهويد طفلتها التي بدأت في البكاء وسألت:

- يعني إحنا مطلوب مننا إيه؟

وقف القائد وهو يستعد للرحيل وقال مجيبًا لآخر سؤال:

- مش مطلوب منكم أي حاجة، إحنا بنجمع الناجين اللي مش عارفين إن لسا فيه فرصة للحياة علشان نجمع كل البشر من كل مكان على الأرض، ووجهتنا الأخيرة هي أرض معمل سديم، هناك هنتجمع كلنا ونبدأ حياة جديدة، حياة آمنة للجميع يقدر يكبر فيها الأطفال وهمَّا مش عارفين يعني إيه حرب.

مد كفه وصافح الصديقين ورحل عنهما وهما يتبادلان النظرات ما بين الحيرة، الراحة، والخوف من الاستسلام للشعور بالأمان.

دخلت إلى غرفتها وهي تمسك الكتاب بيدها وعلى وجهها ابتسامة بلهاء وخجل من تلميحات والدتها وارتباكها من قدومه إلى منزلها، ولكن كيف علم عنوانها؟ فتحت الكتاب لتُكمل قراءته بعدما تحسن مزاجها، ولكنها لم تنتبه إلى عودة كل شيءٍ بداخلها لطبيعته ونسيانها أمر الرسائل والخوف والتفكير المُفرط في أمر المُبالغين ونفسها، ولكن سقطت من الكتاب قصاصة ورقة صغيرة عليها رقم وأسفله كُتب: «**آخر مرة نسيت آخد رقمك، بس فرحت إنِك نسيتِ معايا الكتاب**»، ابتسمت بشدة وهي تمسك بهاتفها بعدما ألقت الكتاب على الفراش بجانبها وبدأت في الاتصال:

- ألو.

- بالسرعة دي كلمتيني؟ دا أنا واحشك بقى.

ساد الصمت واتسعت حدقتا عينيها من صراحته في فرض سؤاله عليها هكذا وعدم قدرتها على الرد ولا حتى بمنطقية، ولكن ما هي المنطقية في هذا الأمر؟

- خلاص سكتِ ليه؟ خلاص ما وحشتكيش.

التقطت أنفاساها وقالت بهدوء:

- توحشني ليه يعني؟! أكيد لأ.

- أنا قلت كدا برضه، أكيد ما وحشتهاش، هاشوفك تاني إمتى؟

- هتشوفني ليه؟ هو إنت معاك رسالة تانية أنا ما شُفتهاش؟

ضحك بهدوءٍ ولكنها سمعت أنفاسه بوضوح وكأنها تراه ثم قال:

- لو على الرسايل فأنا معايا رسايل كتير.

اعتدلت على الفراش وقالت بهجوميةٍ قليلة:

- وليه أنا ما اعرفش الكلام دا؟ ليه ما شُفتش الرسايل دي؟ وليه ما قُلتليش إن فيه أكتر؟! ولو فيه أكتر ما جبتهمش معاك ليه المرة اللي فاتت؟

قاطعها قبل أن تكمل تساؤلاتها قائلًا بمداعبةٍ واضحة:

- بس بس، وأقول لك كل دا ليه؟ مش منطقي أقول لك كل حاجة مرة واحدة كدا؟ هو أنا أعرفك؟

ابتسمت بهدوءٍ وهي تسانده في رأيه:

- معاك حق، مش منطقي فعلًا، طب وليه بتقول لي دلوقتي؟

- علشان إنتِ سألتِ، ومش منطقي أكدب عليكِ علشان أولًا إنتِ ما لكيش عندي أي حاجة.. وثانيًا علشان إحنا دلوقتي أصحاب.
- أصحاب من مرتين؟
- لأ أصحاب علشان ما بينا سر ما حدش غيرنا يعرفه.

أعادت الجانب الأيمن من شعرها خلف أذنها وقالت مبتسمة:

- معاك حق أقنعتني، طيب هاشوف بقيت الرسايل إمتى؟
- أنا اللي سألت الأول.
- سألت على الرسايل؟
- لأ سألت هاشوفك إمتى؟
- لو فيه رسايل يبقى هتشوفي قريب أكيد.
- بس أنا ما قُلتش إني هاوريكي بقية الرسايل.
- ليه؟
- أنا وريتك اللي تقدري تستحمليه، أخاف عليكِ من القلق، حسيت تأثير الرسايل عليكِ مش حلو.

هدأت قليلًا وانخفضت نبرة صوتها وهي تتذكر حالها قبل وصول الكتاب على عتبة باباها بلحظات:

- دي حقيقة، أنا حاسة إني متوترة زيادة عن الطبيعي، وحاسة إن جرعة المصل مش كافية.
- ليه بتقولي كدا؟

ـ علشان بفكر بشكل كبير أوي، وخايفه جدًّا حتى لما سمعتهم النهاردا بيتكلموا عن طنط سميرة، حسيت إني ممكن أكون زيها، بس أنا ما غيّرتش في المصل.

ـ طنط سميرة مين؟

ضحكت بصوتٍ معتدل واعتذرت قائلة:

ـ دي صاحبة ماما، معلش اتكلمت كإنك تعرفها.

ـ حصل لها حاجة؟

ـ آه، حفيدتها لما...

ـ حفيدتها كمان في الموضوع؟ لأ شكله موضوع كبير ما ينفعش في الموبايل، إحنا نتقابل بكرة من أول اليوم كدا علشان أطّمن على طنط سميرة.

وضعت كفها على وجهها من الخجل والتمتع بهذه اللحظة الجديدة عليها وهذا الشعور اللذيذ الذي يعتري جسدها بأكمله وهي تسأل:

ـ وهاقول لهم بكرة إني هاروح فين؟

ـ المكتبة؟

ـ وأكذب عليهم ليه؟

ـ قولي لهم هانزل شوية مع عمر.

ـ ولو سألوني عرفتك منين؟

ـ زي ما قلتِ لأختك قولي للكل.

ـ هو دا مش كذب؟

ـ لأ، ما إحنا اتعرفنا بسبب الكتاب فعلًا.

ابتسمت وهي تقتنع بحديثه وطريقته في صياغة الأمور، واتفقا على أن يتقابلا سويًّا غدًا، ولكن قبل أن تُنهي المكالمة قالت بسرعةٍ فور تذكرها:

ـ أنا عايزة أشوف بقية الرسايل.

ـ متأكدة؟

ـ مش عارفة.

ـ طب إيه رأيك تشوفيهم على أجزاء؟

ـ أظن هيكون أحسن؟

ـ ما تقلقيش.. أيًا كان اللي حصل فهو حصل خلاص.. ما تخافيش منه.

نفس الروتين اليومي المحبب لدى العائلة من فطور ومناقشات بسيطة والاتجاه كل منهم إلى ما يشغله اليوم من واجبات وغيرها، كانت حليمة تستمتع كثيرًا بوقتها في المدرسة ووقتها مع مِهاد، فهي تُقدِّر تشكيل العقول وتدريبها وتحب أن تكون ذات تأثير كبير على كل من حولها، واليوم ستدخل أول فصلٍ دراسيّ لتشرح له وقد شاركت العائلة هذه الأخبار الجميلة، وكانً الجميع فخورين بها جدًّا، وقد أكدت على ذلك مِهاد بقولها أنها أفضل من يشرح أي شيء، وبدأت المداعابات العائلية المعتادة بين الثلاث شقيقات على من لديه معلومات أكثر ويمكنه توصيل المعلومة بشكلٍ أوضح.

ـ ما تزعليش يا تيماء، أكيد إنتِ هتشرحي التاريخ أحسن مني.

انتهي الفطور واستعدت تيماء لمقابلة عمر في الحديقة العامة كالمعتاد ومعها الكتاب الذي بدّل حياتها ـ بمجرد البحث عنه ـ لا تعلم للأحسن أو الأسوء.

وصلت الحديقة قبله كالمعتاد وجلست بانتظاره حتى رأته قادمًا من بعيد، فبدأ قلبها تتسارع دقاته قليلًا.

ـ اتأخرت عليكِ؟

ـ لأ، يمكن أنا اللي وصلت بدري.

تأمل وجهها للحظات ليزيد من ارتباكها، ثم أمسك بالكتاب من يدها.

ـ مش عارف لو ما كُنتش رُحت أقارن نصوص الرسايل بنص الكتاب كنت هاقابلك إزاي؟

ساد الصمت وهي تتذكر التهديد في محتوى الرسالة وتُفكر في كل شيء.

ـ جبت الرسايل الجديدة؟

ـ أنا حاسس إنها بتؤذيكِ، ولو فعلًا أولاد المُبالغين في خطر بسبب المشاعر يبقى أخاف عليكِ.

انتبهت إليه وقالت بهدوء:

ـ أنا باتابع كتير وبانتظام.

ـ جربتِ تسيبي المصل؟

ـ لأ طبعًا، لأ طبعًا.

هزت رأسها استنكارًا وقالت وهي تنفي عن نفسها هذا الاتهام البشع:

ـ إذا كانت طنط سميرة لخبطة المصل بس وحصل لها كل دا.

ـ حصل لها إيه؟

قصت عليه ما حدث مع صديقة والدتها وما حل بحياتها من مفاجآت غير سارة بسبب تبدل جرعات المصل فقط، ظن الجميع بأنه من المنطقي أن يتركوها لحالها حتى تتعافى وهي أيضًا تظن ذلك وعائلتها تظن نفس الشيء. نظرت إليه وسألته:

ـ إنت رأيك إيه؟ مش كان ممكن يفضل معاها؟

ـ مش النظام بيقول إن كدا أفضل؟

ـ آه.

ـ يبقى كدا أفضل.

ـ ...

ـ ليه حاسس إنك مش مقتنعة؟

ـ ما اعرفش، كلكم شايفينه منطقي إلا أنا.

ابتسم ابتسامة هادئة وهو ينظر إليها بطرف عينيه وهي تحدق به بكل اهتمام تترقب منه تعليقًا على ما قالته، وحين تشبث بصمته سألته بجدية:

ـ إنت شايفه منطقي؟

ـ مش بالظبط.

ـ هو إنت ليه مش واضح؟ وليه مش باشوفك مخضوض مثلًا من اللي إحنا فيه؟ شوية بتكون منطقي وشوية بتقول حاجات غريبة أنا ما فكرتش فيها قبل كدا.

اعتدل وجلس قبالها وتطلع في عينيها بمنتهى الوضوح وسألها سؤالًا لم تظن بأنها ستضطر للإجابة عنه يومًا:

ـ هو لو عرفتِ إن حد بطل المصل بمزاجه، المفروض تعملي إيه؟

اتسعت عيناها وهي تنظر في عينيه البنيتين الواسعتين، ويزداد ارتباكها شيئًا فشيئًا:

ـ أظن المفروض أبلغ عنه.

ـ ليه؟

ـ علشان بيؤذي نفسه.

ـ طب وإنتِ مالك؟

ـ مش عارفة، مش منطقي أشوف حد بيؤذي نفسه وأسيبه.

ـ بس هو حر، دي نفسه.

ـ لأ، لأ.

ـ هي المشاعر مرض مُعدي؟

ـ ما حدش يعرف.

ـ لأ مش مرض معدي.

خطفت نظرة سريعة على الكتاب بجانبها وكأنها تسأله عن صحة إجابة عمر، ولكنه أجابها دون سؤال:

ـ لو كانت المشاعر مرض معدي كان المُبالغون والمعتدلون لما كانوا سوا في نفس المخيم بقوا كلهم مُبالغين.

ارتفع حاجباها وكأنها ترى الصورة أمامها وتنقدها، إذا كانت حقًّا معدية لأصبح الجميع مُبالغين.

- لو كان مرض مُعدي كانت سديم هتعرف دا من خلال دراستها اللي وصلتها للمصل، وكانت هتعمل الاختبار بتاع المشاعر أول حاجة وهي بتجمع الناس،

طب ولو هو مش مرض معدي، ليه ما جيناش كلنا نعيش هنا وهمَّا يبقوا في مستشفى مثلًا؟ لو هو مش مرض معدي، ليه مرعوبين منه كدا وهنبلغ عن اللي يجي له؟

تنهدت وهي تبتسم وتقول بهدوء:

- رغم إن كلامك معناه إن الورق نسبة صحته أعلى من الكتاب إلا إنه ريحني علشان أنا كنت خايفة أوي أكون السبب في إن عيلتي يحصل لها حاجة.
- لو كان الورق صح يبقى إنتِ أبوكِ وأمك اتقتلوا.

التفتت إليه سريعًا بوجهٍ عابس لتُصحح له مفهومه:

- همَّا اللي موتوا بعض.

سكتت للحظاتٍ ثم بدأت تستوعب حديثه بأنهما حُرقا أحياءً ولم يقتلا بعضهما البعض.

- إنت عايز إيه؟
- أنا عايزك توقفي المصل.
- إنت مجنون! عايز تؤذيني؟

وقفت متأهبة للرحيل وقد أعطاها جرعة مكثفة من الحيرة والقلق وشغل بالها بمئة فكرة تجعلها عليلة في فراشها بمرض التفكير، وقد يصل بها الحال للاعتراف بكل شيءٍ بسبب كل ما يحدثها عنه. وقف ليلحق بها وأمسك بذراعها وقال بهدوء:

- استني بس نتكلم.

- إنت شايف كلامك؟ إنت بتجرب عليا؟ تلاقيك واحد من اللي شغالين في المبنى العظيم وبتعمل أبحاث وقلت لما أجيب واحدة من المتبنين علشان نشوف المرض جينات ولا لأ.

سحبت ذراعها من يده بهدوءٍ حتى لا يلاحظ أحد من حولهما، وقالت مستنكرة:

- طب ما تبطله إنت ونشوف هيحصل لك إيه الأول؟

قالتها وهي تتحرك للانصراف ولكنه فاجأها قائلًا:

- طب ما أنا مبطله فعلًا.

وقفت فجأة وحدقتا عينيها تتسعان، وعادت إليه مسرعة تنظر في عينيه:

- إنت ما بتاخدش المصل؟!

- لأ.

- ليه؟ وإمتى؟ وليه؟

جذب ذراعها وجلسا سويًّا على أريكةٍ خشبية فارغة في إحدى أطراف الحديقة وقال بهدوءٍ وابتسامته المعهودة:

- من ساعة ما لقيت الورق دا وأنا حصل لي زيك كدا، بس أنا حقيقي كنت عايز أعرف، ما كنتش خايف بمعني أصح.

فتح زجاجة المياه الخاصة بها وشرب منها قليلًا دون حتى الاستئذان ثم أكمل:

- قرأت كل الرسايل وما كانش فيه حد أقدر أشاركه السر دا. دورت في كل الكتب وسألت أهلي وأصحابي ولكن ما لقيتش أي كلام منطقي، كل كلام الرسايل منطقي عن كلام الكتب.

كانت تنظر له باهتمامٍ وكأنه يحمل مصلًا لخوفها على نفسها أو في حديثه شفاء.

- لقيت كل اللي أنا عايزه في الورق، الناس اللي سابت الكلام دا ما كانش قصدها تدمر، كان قصدهم يساعدوا وسايبين حاجات كتير كان نفسي أوريها لك.
- طب ما توريني كل حاجة.
- تيماء إنتِ جبانة.
- لأ أنا مش جبانة.
- من أول رسالة وإنتِ مغمضة عينك، عايزة تدافعي بس علشان خايفة يطلعوا هم اللي صح.
- طبيعي أخاف على نفسي، طبيعي أخاف يطلع العيب فيّا أنا، العيب فينا إحنا، إنت إزاي قادر تعترف بمنتهى البساطة إن كل حياتك كذب وإن العيب فيك إنت؟

- ما كانش سهل، ما كانش سهل أصدق دا على نفسي ولا أصدق إن ما حدش من أهلي هيصدقني ولا أخاف أواجه الكل أو إني أعافر لوحدي.
- يبقى أنا مش جبانة، أنا دورت وكنت عايزه أفهم، زيك بالظبط.
- ما فيش حاجة بالبساطة دي، ما فيش حاجة المفروض تكون بالسهوله دي، ومش سهل الاعتراف لنفسك مش للناس.

أمسك الكتاب بيده وأكمل قائلًا:

- على فكرة كان الأسهل إني أصدق الكتاب اللي بنتربى عليه، والأسهل إني أقتنع بتحذيرات أمي وأبويا من المشاعر علشان هتموتني.. كان سهل إني أعترف لهم ونقطع الورق وننسى، بس ما كانش سهل إني أعترف لنفسي إني مصدق.

مسحت على وجهها بكفيها وهي تنفض بعض الأفكار من رأسها، كلامه مقنع ويخاطب جانبًا بداخلها كانت تفكر به، هي لا تريد الاعتراف لنفسها بأن الرسائل منطقية بعض الشيء وأن هنالك الكثير من عدم الوضوح في الأجوبة المطروحة لهذه التساؤلات، تفكر كثيرًا في الخوف الغير مبرر من المشاعر الذيَ زُرع في قلبها منذ الصغر، والوصم الذي تعيش به كونها ابنة من سلالة المُبالغين. لا يتحدث الكبار عن أهوال البداية ويعيش الجميع وكأنهم لم

يعرفوا عالمًا مُدمرًا من قبل، الكل يمجد المصل ولكن لا أحد يعلم كيف هي الحياة دونه؟!

- إنت حصل لك إيه لما وقفت المصل؟ إنت عايش إزاي؟

- أنا باحس، باخاف وبافرح وباقلق وباحب.

قالها وهو ينظر في عينيها وهي تتهرب منه.

- يعني مثلًا، مش منطقي إني من بعد أول قاعدة معاكِ أرجع أفكر فيكِ طول اليوم، بس من غير المصل هو شعور جميل ومش محتاج أكبته علشان هو مش منطقي.

- بس أكيد مش...

- ما فيش أكيد.

- يعني إيه؟

- تيماء، ما فيش شيء في الدنيا أكيد، وما فيش قاعدة بلا استثناء، وما فيش مانع لما نحب نفسنا ونعتقد إنها الاستثناء.

- أنا عايزة أعيط.. أنا مش عارفة أستوعب.

مسحت دمعة كادت أن تسقط من عينيها وسألت بصوتٍ مهزوز:

- بس إنت شكلك كويس، وبتتكلم كويس وبهدوء.

- طب ما أنا كويس فعلًا.

- أول ما بطلت المصل بقيت كويس؟ طب ما أنا كنت كويسة بالمصل.

- لأ، مش أول ما بطلته.

أمسك بكف يدها وشد عليه قليلًا وهو يقول:

- إنتِ فاكرة إنك كويسة بالمصل علشان إنتِ ما جربتيش تعيشي من غيره.

وقف ومد إليها يده لتستعد للرحيل، وابتسم لها قبل أن يتركها وقال:

- فكري في كلامي، ولو قررتِ تبطلي المصل كلميني، ولو قررتِ إنك مش عايزة تعرفيني تاني ولا تتكلمي عن الرسايل، أنا هاقدر وهاتفهم دا جدًّا.

مرت أيام قليلة وهم بالمخيم يتجنبون الجميع، يحصلون على الطعام ويتناولونه سويًّا ولا يختلطون بالآخرين نهائيًّا تحت أي ظرف؛ يخشى سليم وطارق هذا المكان بلا سببٍ واضح ولكنه يبدو مريبًا. استيقظت ليلى في هذا اليوم مبكرًا لبكاءٍ نغم، وخرجت من الخيمة لكي لا تُوقظ سليم باكرًا فهو بالكاد يحصل على بضع ساعاتٍ من النوم من فرط القلق. بدأت تسير ذهابًا وإيابًا بين الخيمتين وهي تغني لابنتها بصوتٍ منخفض حتى تهدأ قليلًا، كان المكان يسوده طابع الهدوء، ففي ساعة الفجر يكون هناك بعض الجنود فقط مستيقظين والجميع نيام.

لاحظت خروج امرأة ترتدي نفس ملابسها من خيمتها وهي تحمل طفلًا يبدو أنه أكبر بعام أو أقل من طفلتها وتسير به أيضًا بجانب خيمتها، تلاقت الأعين فتبادلا الابتسامة وبدأت المرأة في

السير نحوها بهدوء، فابتعدت ليلى هي الأخرى عن خيمتها لتسير لها نصف المسافة:

- بنت ولا ولد؟

سألتها المرأة بابتسامة خفيفة وهي تريها طفلها وتقول بشغف:

- دي حليمة أول فرحتي.

ابتسمت ليلى فور رؤية الطفلة وقالت وهي تميل نغم باتجاهها وتقول:

- ودي نغم أول فرحتي أنا كمان.
- بسم الله ما شاء الله، جميلة أوي.. ربنا يبارك.
- شكرًا، ربنا يبارك لك.
- أنا دعاء.
- ليلى.

بدأت نغم في البكاء مرة أخرى لشعورها بالنعاس ولكنها لا تغفو بسهولة، فابتسمت دعاء لها وقالت وهي تبادلها الأطفال:

- هاتيها هانيمها لك بسرعة، حليمة لما كانت أصغر كانت كدا برضه، بس الحمد لله دلوقتي بتنام أسرع.

أمسكت ليلى حليمة في يديها وهي تتأمل وجهها الطفولي الجميل وعينيها المشاغبتين وهي تغفو في النوم على ذراعها.

- يااااه، إمتى يجي اليوم اللي نغم تنام فيه بسهولة كدا؟
- كله بوقته ما تقلقيش، كلها كام شهر.

بدأت دعاء تُغني تهويدة لم تسمعها ليلى من قبل، ولكنها كانت هادئة للغاية وتحرك ذراعيها بشكلٍ أفقي قليلًا مما جعل طفلتها تبدأ في السكون تدريجيًا بين يديها.

ـ شكلك شاطرة.

ـ لا دا تعود، بكرة تبقي أشطر مني.

تنهدت بهدوءٍ وهي تنظر حولها إلى المخيم بأسى وأكملت:

ـ دا لو كان فيه بكرة يعني.

تطلعت ليلى حولها هي الأخرى وهي تحاول إبعاد عقلها عن التفكير في الأمر.

ـ أنا ما بقيتش أحب أفكر في اللي هيحصل، بخاف مهما حصل مش شايفة حاجة كويسة بتحصل.

قالتها ليلى وهي ترفع حليمة على كتفها لتعطيها نومًا أكثر راحة ثم أكملت:

ـ ومش فاهمة الناس دي مين وعايزين إيه؟

ـ أيًا كان اللي عايزينه، الحمد لله على اليومين اللي بنّام فيهم، عارفة إن عادل مش هيقوم يدور لي على أكل وممكن ما يرجعش.

أشاحت وجهها باتجاه خيمتها وكأنها تتأكد من وجودها مكانها، ثم جلست على صخرة قريبة منها عندما تأكدت من نوم الصغيرة بيدها وقالت بابتسامة مريرة:

- مش عارفة أفرح إني معايا حليمة ولّا أخاف إني عملت فيها كدا وجبتها.. كتير كنت بفكر هو أنا كان المفروض أجيب حليمة ولا كان منطقي أكتر أسقطها؟

رفعت ليلى عينيها باهتمام لحديثها.

- كان دايمًا نفسي أجِيب بنتين حليمة وتيماء، وجوزي كان بيقول لي ليه الأسماء دي؟! بس غالبًا لو ما كُنتش جبت حليمة في عز الحرب ما كانش وافق على الاسم.

ضحكت ليلى بصوتٍ مرتفع قليلًا وهي تقول:

- بالعكس، دي أسماء مميزة حتى، ربنا يرزقك بتيماء لو كنا من أهل الدنيا ولينا عمر.

- إنتِ بقى نفسك تجيبي مين غير نغم؟

- هو أنا كان نفسي في ولد وبنت بس ما كُنتش مستقرة على أسماء خالص.. بس حاليًّا كفاية عليا أوي واحدة، أنا أصلًا مش عارفة أنيمها، وفريدة صاحبتي أصغر ولادها عنده أربع سنين ونص وعاملة فيها نسيت السن دا.

ابتسمت دعاء ولكن تغيرت ملامح وجهها حين رأت رجلًا يرتدي نفس ملابسهما قادمًا باتجاههما ويبدو غاضبًا بعض الشيء، فالتفتت ليلى بسرعة لترى ما تنظر إليه لتجد سليم يسرع نحوها وعلى وجهه تعابير من الطبيعي أن تُخيف الغرباء.

- إنتِ إزاي تبعدي عن الخيمة كدا؟ إنتِ إزاي تخرجي أصلًا؟

ابتسمت ليلى بارتباكٍ وقالت بهدوء وهي تُشير إلى دعاء:

ـ ماكُنتش عارفة أنيم نغم خالص، ودعاء ساعدتني علشان هي كمان عندها بنوتة أكبر بحبة شهـ...

ـ دا مش مبرر، نعرفها منين دعاء دي علشان تقفي معاها؟

ارتبكت ليلى أكثر ووقفت دعاء لتستعد لالتقاط طفلتها منها والرحيل، ولكن بدأ سليم في جذب ذراع ليلى للرحيل.

ـ استنى يا سليم.

نفضت ذراعها من يده وقالت بحدة:

ـ اللي في إيدي دي بنتها، إيه؟ هاخد بنتها وأمشي؟!

انتبه سليم إلى الطفلة فلم يجدها نغم وصُعق فور رؤية نغم في يد هذه المرأة الغريبة، التقط منها ابنته وأعطتها ليلى ابنتها وابتسمت بأسفٍ إليها ثم ذهبت معه للعودة إلى خيمتهما وهو في قمة الغضب.

ـ إنتِ ليه مش مقدرة حجم الخطر اللي إحنا عايشين فيه؟

بدأ يحادثها بحدةٍ وصوتٍ مرتفع فور وصولهما قرب خميتهما وبدأت نغم تستشعر الصوت العالي وتفيق، فأسرعت وجذبتها من يده لتُهدئها حتى لا تستيقظ ودخلت بها إلى الخيمة وخلفها سليم، ولكنها أوقفته وهمست: «**خليك هنا هانيمها جوة وهخرج لك**»، وضعت صغيرتها على الفراش وخرجت له ووجهها يكسوه الغضب وبدأت تحتد عليه قائلة:

ـ خطر إيه؟ ما تفوق يا سليم، إحنا لأول مرة عايشين في أمان هنا.

ـ أمان؟ أمان إيه دا اللي مع ناس ما نعرفش عنهم حاجة؟ وجيش ما نعرفش بتاع مين؟ وسديم المجنونة التانية اللي بيتكلموا عنها!

خرج طارق من خيمته وخلفه فريدة وكان النعاس واضحًا على وجهيهما فقد أيقظهما صوت أصدقائهما بالخارج، «**فيه إيه يا سليم؟**»، سأل طارق وهو يحك عينيه ليستعيد تركيزه سريعًا.

ـ فيه إني صحيت ما لقيتش ليلى جمبي، وخرجت لقيتها واقفة بعيد مع واحدة ما نعرفهاش وكمان ممسكاها نغم.

رفعت فريدة حاجبيها وهي تستوعب ما يُقال وسألت بهدوء:

ـ ست مين؟

ـ ما اعرفش ست مين اسأليها.

أشاحت ليلى بنظرها بعيدًا عنه وهو يتطلع بها غضبًا، وقالت بحدة:

ـ واحدة ربنا يكرمها نيمت لي نغم، خرجت بيها لما عيطت علشان ما أصحيش سليم، ولما خرجت لقيتها هي كمان بتنيم بنتها واتكلمنا، مش فاهمة فيها إيه؟

كان سليم على وشك الصياح مرة أخرى، ولكن جذبه طارق ليهدأ وقال:

ـ مش أمان يا ليلى، ما لوش داعي نتعامل مع أي حد غيرنا.

ـ وفيها إيه لما حد يساعدني؟ يا طارق أنا ما بنامش، ومن ساعة ما ولدت وأنا وفريدة طلعان عنينا مع البنت

والولدين، وبتصحى كتير أوي بالليل وبخاف تعيط وما اعرفش هي ممكن تكون تعبانة ولا لأ، فيها إيه لما أتكلم مع واحدة لابسة زينا ومعاها طفلة؟!

جذبت ذراع سليم لتجعله يتنبه إليها جيدًا وسألت بصراخ:

- هو إنت ليه بتعاملني إني فاقدة الأهلية وما ليش حق أختار تصرفاتي؟ ليه تصرفاتك إنت بس اللي صح؟! رد عليا!

بدأت عيناها تدمعان وصوتها يرتعش، واقتربت منها فريدة لتحتضنها وهي تواسيها وتحاول أن تخبرها أن تصرفاته هي خوف عليها لا أكثر، ولكن سليم بدأ يلتقط أنفاسه وينظر حوله وقال لها بهدوءٍ تام:

- اللي بتقوليه دا مش حقيقي يا ليلى، من ساعة ما كل دا بدأ ورأيك إنتِ وفريدة بيتحط عين الاعتبار، قولي لي أنهي قرار أخدناه من غير رغبتكم أو موافقة صريحة منكم؟

نظرت إليه ليلى وهي تبكي بهدوءٍ وقالت:

- ما اعرفش، بس ما كانش له لزوم تحرجني قدام الست بالشكل دا وتطلعني عيلة صغيرة.

ابتسمت فريدة وهي تحتضن صديقتها وتنظر إلى سليم الذي بدأ في الاستسلام تدريجيًّا لمُبالغته في ردة فعله على الأمر. اقترب منها فابتعدت فريدة قليلًا وجذبها إلى صدره وقال لها هامسًا:

- أنا ما أقدرش أقلل منك ولا أحرجك، أنا بس اتخضيت لما صحيت ما لقتكيش جمبي.. أنا بطّمن بيكِ يا

عبيطة، وبعدين دا أنا ببقى عامل زي العيل الصغير من غيرك، يعني إنتِ الكبيرة في الجوازة دي.

مسحت ليلى دموعها وهي تبتسم وتمد ذراعيها لتبادله الاحتواء فأكمل قائلًا:

- ولو على الست هنروح نعتذر لها لما الكل يصحى، وناخد لها معانا شوية ميّه علشان عيب ندخل وإيدينا فاضية.

ضحكت بشدة وأومأت برأسها بالموافقة، فجذبت فريدة طارق من ملابسه وقالت له بابتسامة: «**يللا ندخل يا طارق وبعد كدا لو سمعناهم بيتخانقوا نكمل نوم**».

ولاحقًا في هذا اليوم حين دبت الحياة في المُخيم من جديد قرر سليم الذهاب مع زوجته إلى الخيمة التي تقيم بها تلك المرأة وزوجها حتى يعتذر عما بدر منه، وقبل الرحيل مر على خيمة صديقه ليخبره بأنه ذاهب إلى هناك الآن، فابتسم له طارق وقال له:

- ما تتعصبش على الناس وانت هناك بس.

ضحكت ليلى ونظرت إلى سليم وهي تقول بسخرية:

- هو دا اللي ناقص! نروح لحد عندهم نهزأهم ونرجع.

وقفت فريدة ووضعت صغيرها الذي نام على كتفها على الفراش وهي تعدل من هيئتها وتقول لطارق:

- أنا هاروح مع ليلى، عايزة أشوف ناس وأتكلم معاهم، هاخد كريم معايا ونام إنت جمب ابنك لحد ما نرجع بقى.

تحركت باتجاه ليلى وقال طارق بصوتٍ مسموع:

- حقيقي فكرة رائعة، إنتِ عرفتِ إزاي إني محتاج أنام؟

خرجوا سويًّا وتوجهوا نحو الخيمة التي أشارت إليها ليلى على حسب ذاكرتها، وتقدمت ليلى قبلهم وطرقت بيدها على طرف الخيمة ثلاث مرات، فأخرج رجلٌ رأسه من باب الخيمة وتطلع بهم قليلًا ثم سأل:

- أقدر أساعدكم بإيه؟

ابتسمت ليلى وسألت بعفويةٍ:

- دعاء موجودة؟

- آه أكيد، ثانية واحدة.

عاد إلى الداخل ثم أخرجت دعاء رأسها وابتسمت لهم ودعتهم للدخول.

- إحنا كنا جايين علشان نعتذر لك عن اللي حصل، هو بس سليم بيخاف علينا زيادة شوية.

ابتسمت دعاء وهي تلتقط نغم من يد ليلى وتقول مداعبةً:

- علشان خاطر السكرة دي بس أنا مش زعلانة.

ابتسمت ليلى ونظرت إلى سليم وهي تشير إليه:

- دا سليم جوزي، ودي فريدة صاحبتي، ودا كريم ابنها الكبير.

رحبت بهم دعاء كثيرًا وأشارت إلى زوجها وعرفتهم به قائلةً: «**ودا عادل جوزي**»، ثم جلس الجميع سويًّا واعتذر سليم بهدوءٍ عما بدر منه سابقًا، واستيقظت حليمة من النوم وجلست فريدة تداعبها

هي وكريم حتى سمعا صوتًا ينادي من خارج الخيمة، وقد كان أحد الجنود يستأذن للدخول لإعطائهم نصيبهم اليومي من الطعام، ثم أخرج محفظة جيبٍ صغيرة وشفافة مليئة بأقراص الدواء البيضاء، وأخرج منهم اثنين على قطعة منديلٍ وقال بهدوء:

- دي فيتامينات ضروريةٍ لجسمكم محتاجين تواظبوا عليها.

التقطت منه دعاء الأقراص وناولتها لعادل ليضعها بجوار حقيبة الطعام، ولكن الجندي أصر على ضرورة تناولها الآن، ثم أخبر سليم وليلى وفريدة بضرورة تواجدهم في خيمتهم في وقت التوزيع، وأنه هنالك بعض الكشوفات الطبية الخاصة بالتأثيرات النووية وما قد تُحدثه الحروب في أجسادهم، وكل فرد عليه التواجد في خيمته لسهولة الترتيب والانتهاء، فوقف الجميع واستعدوا للرحيل واستأذنوا من دعاء وزوجها، وأكدت دعاء على ضرورة توطيد علاقتهم حتى يتعارف الأطفال سويًّا ويشعرون بوجود أسرة وما شابه.

سعدت كل من ليلى وفريدة بالفكرة جدًّا لرغبتهما في حصول الأطفال على حياة طبيعية بشدة، ولكن لم ينتبه سليم لكلمة واحدة مما قيل، فقد كان يشغل باله أمر الأقراص، لن يتناول أقراص لا يعرف مصدرها ولا يرى لها اسمًا في مكانٍ لا يعلم عنه شيئًا ولا يفهم طبيعة نواياهم.. خرجوا من الخيمة وكان الجندي يسجل اسم كلٍّ من دعاء وعادل في دفتر أسود منمق.

- ما حدش فينا هياخد الأقراص العجيبة دي، وحقيقي مش عايز حد يعارضني.

قالها سليم فور خروجهم من الخيمة، فانتبهت إليه كل منهما وهما تحاولان الاستيعاب، ولكنه كان يسير بهم مسرعًا للعودة إلى طارق الذي ينام في سلام الآن. دخل سليم خيمة طارق وفريدة فورًا ونادى على صديقه حتى يفيق من نومته قائلًا:

ـ اصحى يا طارق عايزك.

فتح طارق عينيه بصعوبةٍ وهو ينظر حوله ليجدهم جميعًا ينظرون إليه، فانتفض يتفحص كلًّا من أبنائه ليرى إن كانا بصحة جيدة، ثم التفت ليرى نغم على كتف أمها، فتعجب من سبب التجمع المفاجئ:

ـ في إيه يا سليم؟!

ـ في إنهم بيوزعوا حبوب دوا بيضا كدا وبيقولوا إنها فيتامينات مهمة للجسم مع الأكل.

ـ دوا؟ شرايط يعني؟

ـ يا ريتها شرايط! الراجل معاه محفظة شفافة كدا مليانة حبوب بيضا وبيوزعها مع الأكل!!

ـ إيه الهبل دا؟!

ـ ما حدش هياخد منهم يا طارق، إنت معايا صح؟

وقف طارق وكان على وشك الحديث حين استأذن جندي من الخارج بالدخول وسلم فريدة في يدها نصيب الأسرتين، ثم سأل بهدوء:

ـ ما فيش حد ناقص كدا صح؟

ـ ناقص أكل البنت الصغيرة.

أجابته ليلى بهدوءٍ فخرج من الخيمة لحظات وعاد ومعه طعام الصغيرة، ثم أخرج من جيبه المحفظة الشفافة فشد سليم على يد صديقه وهو يشير بعينيه إليها، وضع الجندي خمسة أقراص في منديلٍ نظيف، وسلمهم لفريدة التي كانت تقف على مقربةٍ منه وقال:

- دي أقراص فيتامين مهمة لجسمكم، يا ريت تاخدوهم دلوقتي على ما أسجل أسماءكم.

وضعت فريدة كل ما بيدها على الطاولة التي تتوسط الخيمة، فأشار الجندي إلى أهمية تناول الأقراص الآن:

- لازم تاخدوهم دلوقتي علشان بيتاخدوا كل يوم في نفس الميعاد، فنكون مطمئنين إن الحبوب بتتاخد مظبوط.

أخرج دفتر أسود منمق يشبه الآخر تمامًا، فبادره طارق يسأل:

- معلش هو اسمه إيه الفيتامين دا؟ أنا كنت بشتغل في صيدلية وأعرفه لو قلت لي عليه.

ابتسم الجندي وقال بهدوء:

- ما فيش أدوية من المتعارف عليها قبل كدا، دا فيتامين مخصوص من المقر الرئيسي متصنع هناك وبنحاول نوفر تكلفة التغليف وكل حاجة مش أساسية.
- أنا آسف إحنا مش هنقدر ناخد حاجة ما نعرفهاش.
- بس دا مهم جدًّا لصحتكم.
- إحنا صحتنا كويسة وبناكل وكويسين الحمد لله.
- صدقني مهم ليكم وخصوصًا بعد الظروف اللي كنتم فيها.

ـ أنا آسف، مرة تانية مش هاقدر لا آخد ولا أسيب حد من أهلي ياخد حاجة ما نعرفهاش.

تطلع إليهم الجندي وسأل موجهًا سؤاله للجميع وخاصةً فريدة وليلى:

ـ الكل موافق على نفس الكلام؟

أومأ الجميع برؤوسهم موافقين، والتزم سليم الصمت طوال تلك الفترة حتى يمنع نفسه من الغضب في وجه الجندي كما هو حاله هذه الأيام:

ـ باعتذر لك مرة تانية وشكرًا على اهتمامكم بينا.

ابتسم الجندي إلى طارق مرة أخرى واستعاد نصيبهم من الأقراص وأعادهم إلى المحفظة، ثم قال بهدوء:

ـ اللي يريح حضرتك أكيد.

ثم خرج من الخيمة في هدوء وجلس الجميع عدا ليلى التي وقفت تسأل بتعجب:

ـ هو مش هيكتب أسامينا معاه؟!

مر أسبوعان ولم تحدثه من يومها ولم تقرأ الكتاب، بكل ما بداخلها من قوة حاربت لتتفادى التفكير في الرسائل، وقررت أن تذهب لتبحث عن عمل، أي عمل بعيد كل البعد عن التاريخ وما يحمله من صدق أو خداع. ذهبت لإدارة التوظيف لتتفقد الوظائف المتاحة فوجدت المعتاد من معلمة وأعمال إدارية بالمبنى العظيم

وعادت إلى منزلها بلا قرار لتخوض نقاشات عديدة في المنزل. أيعقل أن تكون كل البيوت بهذا الإزعاج؟ أتتناقش كل العائلات بهذه الكثرة أم أسرتها فقط؟ لِمَ لا يتركها أحد لتقرر في هدوءٍ دون الضغط عليها؟

- مش عارفة، ما فيش حاجة شدتني خالص، مش عايزة أكون مدرسة ومش حاسة إني عايزة أشتغل في المبنى العظيم وأوراق وتسجيل وكدا.

كانت هذه الإجابة النهائية لجميع تساؤلاتهم، حتى حين اقترحت عليها حليمة من قبل أن تعمل معها في المدرسة ويكونا سويًا ويجتمعا يوميًا حتى بعد زواجها وكانت فكرة رائعة ومنطقية جدًّا بالنسبة للعائلة بأكملها إلا هي؛ لا تريد تدريس شيءٍ ولا تشكيل عقول، فيكفيها عبثية عقلها الآن والشكوك التي على وشك أن تنكشف في أيةِ لحظة.

- مش حاسة يا حلمية إني عايزة أشتغل مُدرسة.

تدخل والدها في الحديث وقال بفخرٍ وكأنه يعلم ما يدور بذهنها:

- تيماء مستنية مكان في المكتبة، مش عايزة تشتغل غير في المكان اللي بتحس فيه بالراحة وسط الكتب، مش كدا؟

قالها وهو ينظر إليها منتظرًا التأكيد على انتظارها لوظيفة في المكتبة، فأجابته بما يريد وهي تتذكر هذا الكتاب الملعون الذي أدى بها لهذا الحال.

- خلاص يبقى استني كمان شهر، ولو ما فضيش مكان أو ظهرت حاجة للمكتبة نبقى ناخد تاني أحسن حاجة، ودي بقى تفكري فيها من دلوقتي.

أومأتْ برأسها موافقةً وانتظرت موعد النوم بفارغ الصبر حتى ينتهي اليوم كبقية الأيام، فكل ما تريده هو انتهاء اليوم ولا تعلم ماذا سيحدث بعد.

استلقت على الفراش واستلقى معها شعورها بالخوف والقلق والثقل الذي يخيم على قلبها منذ أسبوعين، وتذكرت فجأة أنها لم تتناول جرعة اليوم من المصل، وبكل هدوءٍ وبدون تفكير أغمضت عينيها وتركت جسدها يغط في النوم الليلة بلا مصل.

وكما يعلم الجميع لا يوجد أصعب من الخطوة الأولى لكل شيء، ومن بعدها يُصبح كل شيءٍ ممكنًا سهلًا، وينساب وكأنه لم يكن صعبًا من قبل؛ منذ أن توقفت عن تناول المصل أول مرة بدا الأمر هينًا وقد فقد هيبته ولم تعد تتناوله، تذهب يوميًا لتُخبئه خلف ملابسها في الدولاب حتى لا يلاحظ أحد أنها لا تتناوله، ولم تعد تكلم عمر وتشعر تجاهه بشعور غريب مضطرب، ما بين ثقة وقلق من مصادقية الفكرة التي زرعها في رأسها. لقد توقفت بالفعل، كلما فكرت في هذا الأمر يتملكها الفزع وتلقي نفسها على فراشها وتغطي وجهها بالغطاء وكأنها تنسحب من مواجهة أفكارها، كيف له أن يكون أفضل من دون الدواء وهي تكاد تجن؟! مر أسبوعان كاملين بلا دواء، وأكثر منهما دون أن تحادثه ولكنها غير متزنة على الإطلاق!! أعليها الذهاب للمبنى العظيم وإخبارهم بكل

شيء؟ ستذهب لتستنجد بهم فيما فعله هذا الغريب بها، ولكن ماذا سيحدث إن صُنفت من مرضى المشاعر؟ أسيحتجزونها في مستشفى ويبدأ الأطباء بإجراء التجارب عليها، أم سيقتلونها ويتقبل والداها الأمر لأنه التصرف المنطقي؟! قتل! أحقًّا قتلت سديم مرضى المشاعر أم قتلوا أنفسهم؟ الورق!! الحكايات!! أهي أساطير وهمية أم مبنية على أحداث حقيقية مرعبة؟! تصاعدت أنفاسها وهي تحاول السيطرة على نفسها ولكنها لا تستطيع، أنفاسها تتصاعد وكأنها تختنق، جسدها يرتعش ولا تعلم ماذا يحدث، أهي تحتضر بسبب المشاعر؟ لعل دخول المشاعر لجسدها قد تملك من خلاياه وبدأ يقتلها تدريجيًا وقد سمحت له، لم تحصل على العلاج في الوقت المناسب والآن قد غمر جسدها الواهن المرض، وتملكت منها الأفكار لتقتلها ويعرف الجميع بأنها مريضة بالمشاعر والأفكار.

أمسكت الهاتف وهي ترتجف وضغطت زر الاتصال على اسمه:

- أنا باموت، المشاعر هتموتني.
- إنتِ بطلتِ المصل؟!
- أنا بقالي أسبوعين ما باخدش حاجة، نَفَسِي وجسمي.. أنا بموت.

بدأت أنفاسها تتعالى أكثر فأكثر وتفكر في الموت، العدم وما يليه، أهي مستعدة؟ أيعتبر ما فعلته قتل نفس؟ حتى سمعته يتحدث بنبرة مختلفة هادئة جدًّا:

- ما تقلقيش يا تيماء، إنتِ عندك حالة ذعر مش أكتر.
- دا بيموّت؟

- لأ، دي حالة قلق زايدة وخوف بتحصل لك لما تفكري كتير وتسيبي عقلك يلعب بيكِ.
- يعني أعمل إيه؟ آخد لها دوا إيه؟
- اتنفسي، اتنفسي براحة وفكري معايا في حاجة بتحبيها.

لم تجد مفرًا سوى الاستماع إليه، فبدأت تتنفس كما يخبرها، تعد ثلاثة في الشهيق وتخرجهم في ثلاثة، ثم بدأت تفكر في فرح حليمة وأشكال الفساتين التي من الممكن أن ترتديها في هذا اليوم، وبدأ هو يسألها عن التفاصيل الهامة بالنسبة لها في أي فستان، وبدون أن تنتبه بدأت أنفاسها تنتظم وعقلها يشرد عن أهوال المشاعر والموت بسببها، وبدأت تُفكر حقًّا في فستانها في هذا اليوم وتفاصيل الزواج واللحظات التي تنتظرها بفارغ الصبر.

- أنا بقيت أحسن!!
- الحمد لله.
- هي إيه علاقة الفساتين بحالة الذعر دي؟

ضحك بصوتٍ خفيف جدًّا وهو يجيبها:

- الفساتين ما لهاش علاقة، مش كل مرة الفستان هو اللي هيخليكِ أحسن.
- هو أنا حصل لي كدا ليه؟
- فيه أسباب كتير، بس هو عامة علشان إنتِ خايفة أو قلقانة زيادة، يمكن علشان مش فاهمة وحاسة إنك مش قادرة تسيطري على الوضع.

سكت فجأة ثم قال معاتبًا بحدة:

ـ ولما إنتِ هتوقفي المصل قطعتِ معايا ليه كل دا؟

ـ أنا ما قطعتش معاك.

ارتبكت قليلًا ثم أكملت:

ـ أنا كنت خايفة ومش عارفة من إيه، بس حاسة إني مش واثقة فيك بس عايزة أسمع كلامك أو عايزة أثق فيك بس ما فيش سبب يخليني أثق فيك.

بدأت الابتسامة تتسلل إلى وجهه وهو يسمعها، فهي أخيرًا تعاصر تخبط المشاعر وتختبرها بحقٍ لأول مرة.

ـ طب قولي لي إنتِ حاسة بإيه دلوقتي؟

ـ حاسة إني عايزة أسمع كلامك وأصدقك بس عارفة إنه غلط ومش منطقي.. مش المفروض أثق فيك.

ـ عمري ما هاطلب منك تثقي فيّا طول ما إنتِ ما شُفتيش دليل على دا.

ـ يعني إنت كمان شايف إنه غلط أصدقك؟

ـ غلط إنك تصدقي أي حد غير نفسك ولا تمشي ورا أي حاجة غير إحساسك.

لم تجد ردًا مناسبًا لتجيبه به، ولم تكن متأكدة من فهمها لما قاله توًا.

ـ لما بنقابل حد أول مرة طبيعي نكوّن عنه انطباع أولي، مش صح نصدقه بس لازم نكوّنه، بيبان من طريقة كلامه أو شكله، بنعرف هو شبهنا؟ طيب بيتكلم زينا؟ طيب عينيه باين عليها الخبث؟

استلقت على الفراش وهي تستمع إليه بإنصات.

ـ الطبيعي إننا ما نعرفوش، بس هنشوف هنحس إيه تجاهه، لو مرتاحين هنثق فيه تدريجيًا بس مش في كل حاجة، في الحاجات اللي إحنا عايزين نعملها بس أو مقتنعين برأيه فيها أو قدر إنه يقنعنا علشان إحنا شايفين إنه صح، وهنخوّنه حتى يثبت العكس، بس ما نتعاملش معاه إنه كذاب بس ما نصدقوش مية في المية.

ـ أنا حاسة إنه كلام حلو بس مش فاهمة أعمل إيه يعني؟ يعني أنا أكذبك، ولّا أصدقك لحد ما تكذب؟ أمشي وراك ولا أمشي ورا نفسي؟

ـ في كل الأحوال هو اختيارك، أول مرة شُفتيني حسيتِ إيه ناحيتي، إنك مش مرتاحة لي؟

ـ لأ، حسيت إنه عادي.

طيب بطلتِ الدوا علشان أنا قلت لك كدا؟

سكتت كثيرًا ولم يشأ أن يقطع حبل أفكارها واستيعابها لأفكارها ولسبب توقفها عن المصل.

ـ لأ، أنا الورق والقصص والحاجات اللي سمعتها ورأيي في مشكلة طنط سميرة وخوفي إني أطلع زي أهلي هم اللي خلوني أكون عايزة أفهم.

ـ يعني دا كان قرارك؟

ـ آه.

ـ لو طلع غلط مين الغلطان؟

ـ إنت، إنت اللي جبت الورق ولخبطتني.

قالتها باندفاعٍ وكأنها تسبقه قبل أن يحكم عليها بالغباء أو التهور، ولكنه بكلٍ هدوءٍ قال لها:

ـ إنتِ عايزة تبطلي المصل وعايزة تعرفي أكتر عن أهلك وعن اللي حصل مِن قبل ما تشوفيني أصلًا، لو ما كانش عندك فضول ما كُنتيش هتروحي المكتبة وتقرأي عن كل دا.

ـ قصدك إن أنا الغلطانة؟

ـ اللي ما بيغلطش ما بيتعلمش، بيعيش ما يعرفش الغلط من الصح.

ـ الغلط والصح واضحين.

ـ لأ، الحلال والحرام بس اللي واضحين.

ـ أنا حاسة إني...

ـ حلو إنك بتقولي إنك حاسة، جديدة صح؟

توقفت فجأة وبدأت تُتمتم كلمة: «**أنا حاسة**» بدون صوت وهي تتطلع بشفتيها أمام المرآة وترى شكلها.

ـ أنا عمري ما قلت إني حاسة وكنت حاسة فعًلا.

ـ ممكن أقابلك؟

جلست حليمة في فناء المدرسة وبيدها كتبها الدراسية وأمامها قرار اختيار المادة المطلوبة. كل شيءٍ مشوش بعقلها ولا يبدو صائبًا، تعلم إنه من المنطقي أن تعمل بوظيفة مطلوبة لخدمة هذا المجتمع المُنظم الذي تعيش به، ولكنها ما زالت تشعر بأنها تريد إحداث فرقٍ عظيم وتمحو خوف كل المتبنين. هل المشاعر مرضٌ معدي؟ وهل لهم أن يجدوا دواءً بدل هذا المصل الوقائي؟ وهل هو مرض معرض له المعتدلين أيضًا. يوميًا تضيع منها ساعات المذاكرة في البحث عن إجابات هذه الأسئلة الكثيرة التي تملأ رأسها بلا إجابات. رأتها مِهاد وهي تجلس وحيدة فركضت نحوها ببراءة الأطفال وابتسمت لها وقالت بهدوء:

- بتعملي إيه؟
- بذاكر للشغل.
- هو الشغل كمان فيه مذاكرة؟

امتعضت ملامح الصغيرة وهي تطرح سؤالها باستنكار، فأجابتها حليمة بابتسامة:

- كل حاجة في الدنيا فيها مذاكرة، علشان نعرف أكتر لازم نذاكر.
- بس أنا مش عايزة أذاكر تاني بعد المدرسة.
- وعايزة تشتغلي إيه؟
- شغل ما فيهوش مذاكرة.

- اللي بيبطل مذاكرة دا بيبطل يتعلم، واللي بيبطل يتعلم بيفقد جزء كبير من عقله وذكائه وتطوره. تفتكري ليه تيماء دايمًا بتقرأ حتى بعد المدرسة وقبل ما تشتغل؟

- علشان عايزة تقرأ، بس القراءة مش مذاكرة.

- مين قال؟ المذاكرة أنواع كتير، مش كل مذاكرة آخرها امتحان ودرجات، وأحلى مذاكرة اللي بتقرري تعمليها إنتِ بنفسك لحاجة إنتِ بتحبيها.. يعني تيماء بتذاكر تاريخ المدينة علشان هي بتحبه.

- بس ما إحنا عايشين هنا، ليه نقرأ عنه ما إحنا عارفين.

- إنت عارفة اللي سألتِ عنه واللي اتقال لك بس، يعني لو عملوا امتحان عن المدينة تيماء هتتفوق عليا وعليكِ علشان هي سألت أكتر فعرفت أكتر. فيه حاجات كتير ما تعرفيهاش، ولو ما سألتيش ما حدش هيقول لك إجابتها.

رفعت عينيها للسماء وكلماتها تتردد في أذنيها مرة أخرى: «**لو ما سألتيش ما حدش هيقول لك إجابتها!**»، لماذا لا تسأل عما يدور بذهنها وتعرف أكثر، نظرت إلى عيني شقيقتها وسألتها مداعبةً:

- هو الهانم ما عندهاش حصة؟

- لأ كنت باشرب ولقيتك جيت أتكلم معاكِ.

- يللا على الفصل علشان تطلعي شاطرة لأختك الكبيرة.

كانت مِهاد على وشك أن تسأل سؤالًا مراوغًا فبادرتها حليمة قائلة:

ـ أكبر واحدة اللي هي أنا.

تطلعت حليمة في الكتب فور رحيل شقيقتها وبدأت تسأل وترتب أفكارها فليس منطقيًا ألا تعرف من أين تبدأ أو كيف تبدأ. فتحت صفحة بيضاء بلا سطور ترتبها وبدأت تكتب كل ما يدرو بذهنها:

هل المشاعر مرض معدي؟

هل المعتدلون معرضون للإصابة به؟

هل يمكن اختراع دواء لعلاج مرض المشاعر؟

هل لا يعرف المُبالغون المنطق؟

كيف يمكن لشخص أن يشعر بشدة حتى المرض؟

هل علينا تقبل المُبالغ أم الخوف منه؟

هل حقًّا المتبنون أكثر عرضة للإصابة به من غيرهم؟

هل ظهرت أيةُ حالات في المدينة من قبل؟

كيف يتم التعامل مع هؤلاء المرضى؟

ما هو الشعور المُفرط وكيف يصفه المُبالغ؟ بماذا يشعر؟

هل أصبحت طنط سميرة من المُبالغين؟

توقف القلم عن الكتابة فجأة وتوقفت عيناها على اسم سميرة، إذا كان هناك خلل ما في شعور طنط سميرة حتى رأى الجميع حتى العاملين بالمبنى العظيم أنه من المنطقي أن تنفصل عن زوجها وتنعزل في منزلها مع جرعات زائدة من المصل، أهذا يعني أن جرعة مكثفة من المصل قد تعالج المُبالغ؟ «**أيوة، طب ما سديم وعدت**

المُبالغين ترجع لهم لما تقدر توفر كميات أكبر علشان المشاعر في جسمهم تعتدل، طب ليه الناس خايفة؟».

وضعت الكتب جانبًا، ثم وقفت لتكمل حديثها مع نفسها وهي تحاول استيعاب المنطق في هذا الأمر العجيب، أيعقل أن تكون الإجابة بهذا الوضوح؟ «**همَّا موتوا بعض علشان ما صدقوش أو مشاعرهم موتتهم، بس إحنا اللي عندنا بيحس زيادة بنظبط الشعور بالمصل عادي**»، أمسكت هاتفها وضغطت زر الاتصال:

ـ ألو، إزيك يا طنط سميرة عاملة إيه؟

جلست في الحديقة العامة تفحص هاتفها هروبًا من مواجهة كل المحيطين بها لعلهم يستشعرون قلقها وارتباكها، فهي تشعر وكأن الكل يعلم أنها تركت المصل وتوقفت عن تناوله، وكأن أفكارها مسموعة للجميع.

رأته يقترب من بعيد فشعرت ببعض الاطمئنان وكأنه قد أتى بالدواء لكل هذه المعاناة النفسية التي تخوضها ولا تعلم عنها شيئًا.

ـ مستنية بقالك كتير؟

ـ لأ.

ـ شكلك متوتر.

ـ هم ممكن يعرفوا إني بطلت المصل؟

ـ مين دول؟

ـ الناس اللي حولينا دول!

تفحص بنظرة سريعة المحيطين بهما ليجد كل فرد مشغولًا فيما يفعله ولا يلتفت إليهم أحد من الأساس، فعلم فورًا أن القلق قد تمكن منها.

- تعالي نروح مكان أهدى شوية، مكان مقفول.
- بيتك؟
- بيتي؟ هو إيه حكايتك معِ بيتي؟
-

ضحكت كثيرًا وهو يتطلع بوجهها وهو يحمر خجلًا وتبتعد بنظراتها عنه وتحاول التبرير:

- مش قصدي، ما كانش قصدي.
- عارف، بس لأ مش بيتي.
- ما كانش قصدي حقيقي.
- أنا عارف، إنتِ متوترة ودا عادي.

سارا سويًّا حتى وصلا شارع من الشوارع الجانبية الهادئة، تطلعت إليه وقبل أن تسأل أجابها موضحًا أن لديه الأوراق والرسائل التي علمته كل شيء ولا يريد لهما أن يلفتا انتباه الناس من حولهما بما يقرآنه. أخرج الأوراق من جيبه ثم جلس على الرصيف بالأرض وأشار لها أن تشاركه، فجلست بجواره وقلبها يخفق بشدة، ما زالت تشعر أنها مراقبة.

- مستعدة تقدّري مشاعرك وتتحكمي فيها؟
- أنا خلاص كدا عندي مشاعر؟
- إنتِ طول عمرك عندك مشاعر.

ـ لأ، المصل كـ...

رفع نصب عينيها أول أوراقه، فقرأت ما كُتب عليها بالخط العريض: «**يمكنك كبت المشاعر ولا يمكنك التخلص منها، وحين يقدر لها الظهور ستكون أشرس مما تتحمله**».

ـ أول قاعدة، ما فيش حد ما عندوش مشاعر، ما فيش حد معتدل، فيه شخص قادر يواجه مشاعره وشخص بيكبتها لحد ما تهلكه.

أخذت تتفحص ما يُكتب عن أهمية المشاعر وأهمية التعرف عليها وحبها. لا يمكن لك أن تتخلص من كل ما تشعر به، يمكنك كبت بعضهم وتجاهل البعض الآخر، قد تخجل من بعض ما تشعر به فترفض الاعتراف للناس، ولكن عليك الاعتراف لنفسك. المشاعر هي أقوى ما نملك، وإن قررنا التخلص منها تدمر هي كل ما تبقى فينا.

ـ إحنا كنا عايشين كويسين؟

ابتسم ابتسامة ساخرة وقال لها بكل هدوء:

ـ حتى وانتِ بتاخدي المصل يا تيماء أول ما اتعرضتِ لحاجة مختلفة عن المعتاد بدأتِ تحسي بمعدل زيادة عن الطبيعي بالنسبة لك، اللي هو الطبيعي بالنسة لأي حد بيتعرض لصدمة في معتقداته.

ـ يعني إيه؟ إحنا المُبالغين؟

ـ كان نفسي، للأسف إحنا المُغيبين.

ـ مُغيبين عن إيه؟

- عن الحياة يا تيماء، إحنا قررنا نوصم المشاعر والشخص اللي بيحس يبقى عيان ومحتاج مساعدة، وفي الحقيقة إحنا اللي محتاجين مساعدة.
- بس مش هو الأحسن إننا ما نحسش زيادة؟
- ما فيش مقياس ثابت للمشاعر، الحياة الحقيقية مش البلاستيك اللي هنا، دي مليانة مواقف كتيرة وفقد وخوف وأحداث تخليكِ شوية تطمني وشوية تخافي وتحبي وتزعلي وتكرهي، المشاعر هي توابل حياتنا، ومن غيرها كل شيء بيكون باهت وشبه بعضه.
- شكلك بتحب تحس.
- أنا باحب فعلًا.

أطال النظر في عينيها وهي تبتسم بهدوء وتستقصي نبضات قلبها المتزايدة من نظراته المُحيرة.

- يعني مثلًا يا تيماء قولي لي كدا إنتِ حاسة بإيه دلوقتي؟

ارتبكت ونظرت بعيدًا، فابتسم وهو يتطلع بها مجددًا:

- أهو فيه حاجة غريبة إنتِ حسيتيها دلوقتي ما لهاش أي دليل ملموس، وأنا نظرتي كانت عادية على فكرة.

أشاحت بوجهها عنه وخطفت من يده ورقة جديدة وقرأتها بصوتٍ عالٍ: «**كل شيء يبدأ من الداخل، فإذا تصالحت مع ذاتك يكون العالم من حولك سلامًا وإن كان في واقعه حطامًا**».

أخفضت صوتها وهي تقرأ ما يلي العنوان الرئيسي لتعرف لأول مرة أنه على الإنسان أن يسعى في التعرف على نفسه، لا يولد الإنسان

بخريطة توضح ما يحب وما يكره، صفاته الطبيعية والمكتسبة! لم يخبرنا أحد عما سنشتهي من الطعام وما نرفض، أخفضت الورقة قليلًا ثم سألت بتعجب:

- هو الواحد ممكن يكون مش عارف نفسه؟!
- ما حدش بيعرف نفسه إلا لما يقرر يتعرف عليها.

ضحكت بسخريةٍ وهي تعيد إليه الورقة:

- عارف كان ممكن أقتنع ونكمل، بس الورقة دي جت أكدت لي إن كل الكلام دا مجرد نظريات ما لهاش أي أساس من الصحة واحنا اتنين عيال لقوا حاجة جديدة وصدقوها زي العبط.

أسند ذراعيه على قدمه وجلس يتطلع إليها وهي تكمل حديثها:

- ودي بقى بتتعمل إزاي؟ بقف قدام المراية وأسلم عليا وأقول لي اسمي وأسألني بتحبي ألوان إيه يا تيماء؟
- بتحبي ألوان إيه يا تيماء؟
- إنت بتهزر؟
- لأ أنا بسأل بجد.
- الأزق، والأحمر.
- والأسود؟
- ما حدش ما بيحبش الأسود.
- إنتِ مش كل الناس وكل الناس مش إنتِ.
- كل الناس متفقة على حاجة والحاجة دي صح، ليه أخالف القاعدة؟

- وهو مين أصلًا حط قاعدة لحب اللون الأسود.
- الناس.
- ناس مين؟
- كل الناس بتحب الأسود ولذلك أصبح قاعدة.
- وهو إحنا فعلًا محتاجين قاعدة للألوان؟
-
- فيه فرق بين القاعدة اللي هي قانون بلد أو تعاليم دين وبين الرأي العام أو الفكر السائد.
- يعني إيه؟
- يعني فيه فرق بين الحاجة اللي كله أجمع عليها بدون اتفاق فـ مش شرط تتفقي معاهم ولا تمشي وراهم، وبين القوانين اللي مفروضة عليكِ فبتعمليها حتى لو مش مقتنعة للمنفعة العامة أو بتكسريها في السر.
- بس أنا عارفة أنا باحب ألوان إيه؟
- إنتِ بتحبي الأسود؟
- ما حدش ما بيحبش الأسود.
- إنتِ بتحبيه؟

صمتت للحظات وهي تتخيل اللون في ذهنها ولا ترى اعتراضًا عليه:

- آه باحبه، بس مش في كل حاجة يعني، فيه حاجات ما بتبقاش حلوة في الأسود، مش فاهمة برضه، إيه علاقتي باللون الأسود.

- الفكر السائد من وإنتِ صغيرة بيقنعك بحاجات كتير بتعتقدي إنك مؤمنة بيها أو بتحبيها أو هي رأيك، ولكن في الحقيقة إنتِ حبيتيها لأن ما لقتيش حد ما بيحبهاش، ف قررتِ تتفقي مع الجماعة.
- طب ودي فيها إيه؟
- ولا أي حاجة، كل الحكاية إنك عمرك ما هتعرفي أنهي صفات بتحبيها وإيه بتكرهيها، ولا الألوان اللي بتفرحك حقيقي لارتباطها بيكِ مش بحد تاني إلا لما تقرري تتعرفي على نفسك.
-
- مش بس الألوان، دا مثال بسيط، بس لما بتقرري تتعرفي على نفسك دا بيسهل عليكِ حاجات كتير أوي.
- زي إيه؟
- زي مثلًا القرارات، القرارات بتكون أسهل لما نكون عارفين نفسنا ومقدرتها وطاقتها وتقبلها للوضع، بنقدر نقيم الوضع أسرع وناخد قرار صح بالنسبة لنا.
- أنا باعرف آخد قرار منطقي.
- وإنك تبطلي المصل دا قرار منطقي؟
صمتت للحظات وهي تُحملق به مصدومة تفكر:
- لأ طبعًا.. لأ، مش عارفة.

- لو إنتِ عارفة نفسك كنتِ هتعرفي تجاوبي أو على الأقل كان هيكون عندك بعض الحقايق اللي تخليكِ قريبة من اليقين في الرد على السؤال.
- يعني أنا غلط؟
- غلط أو صح دا قرارك، ولما أخدتيه كنتِ مدركة عواقبه واللي جاي بعده، لكن لو كنتِ تعرفي نفسك كان القرار هيكون أسهل لإنك كنتِ هتبقي عارفة إنتِ مبسوطة وانتِ معتدلة وكل حاجة عندك زي بعض ولّا عايزة تحسي وتعرفي.
- إنت اتعرفت على نفسك؟
- بعد مجهود طويل وغلطات أكتر.

تطلعت أمامها تُفكر ثم التفتت إليه فجأة تتساءل:

- طب ولو اتعرفت عليّا وما حبتنيش؟
- دا موضوع مهم جدًّا ومختلف تمامًا، وقد يكون السبب إننا بنتعرف على نفسنا أصلًا.

أبدت اهتمامها الكبير بما يقوله، وكان واضحًا عليها الرغبة في معرفة المزيد.

- بس دا هقوله لك مرة تانيه لأن الوقت اتأخر ولازم تروّحي دلوقتي.

وقفت وهي تبتسم وتُتمتم: «**مش عارفة إيه نظام الإثارة والغموض دا!**»، استعد هو الآخر للرحيل فأخذت منه الورقتين

وأخبرته برغبتها في الاحتفاظ بهما معها بداخل الكتاب حتى تقرأهما مجددًا.

- الورق دا دلوقتي بتاعي، وهاخد منك كل اللي هنتكلم فيه.
- موافق، بس مش دا الورق المهم.

وضع يده في جيبه وأخرج ورقة صغيرة مطوية وسلمها إليها في محاولةٍ منه لملامسة كف يدها، فسحبت كفها فور شعورها بدفء كفه عليها. ابتسم وأنهى الارتباك قائلًا:

- لما تروحي البيت بالليل كدا افتحيها واعملي المكتوب جواها.

جلس الجميع في خيمة طارق وفريدة يفكرون في أمر هذه الأقراص، ترى ليلى أنها من الممكن أن تكون مقويات بالفعل، ولكن طارق وسليم لا يستبشران خيرًا، ولكن ماذا إن كانت مقويات بالفعل وقد رفضوها، ذهبت ليلى لتجلس بجوار فريدة وقالت بهدوء:

- هو إحنا ليه بنعمل مشاكل على الفاضي؟

نظر إليها الجميع مستفهمًا:

- يعني ليه بنرفض ناخد أدوية وبنفكر إن فيه مؤامرة علينا؟ ما يمكن عادي.. يمكن همَّا بيقولوا الحقيقة عامة.

ضحك سليم ضحكة سخرية، وأجاب تساؤلاتها بسؤال:

- ولو كانت البشرية بيغلب عليها الطيبة وحب الغير كان زمانا في الخراب دا أصلًا يا ليلى؟

- ما اعرفش، بس نص البشرية ماتت، ما اتبقاش من اللي حارب أصلًا، واللي رجع رجع مهزوم لا له أهل ولا حد زي ما سامي دا قال، يعني كله اتعظ من الخراب والكذب والحرب.

كانت فريدة تشارك الرجلين بعض ظنونهما ولا تتفق كليًّا مع نظرية ليلى في الأمان المُطلق لكل البشر، فنظرت إلى صديقتها وقالت:

- يعني لو حد فيهم قال لك هاتي نغم نطعّمها هتديها له؟
- لأ طبعًا، ياخدها إزاي؟!

ابتسمت فريدة وهي تنظر إلى أبنائها وقالت بهدوء:

- نفس الفكرة يا ليلى، الأقراص دي كنا كلنا هناخدها ومعانا كريم، وأنا ما كُنتش هدخل جسم ابني حاجة ما أعرفهاش.. لازم نخوّن علشان سلامة ولادنا، وهمّ لازم يخوّنوا علشان سلامتنا، كلنا لازم ناخد بالنا ونعيش زي ما كنا عايشين.

احتضنت ليلى صغيرتها وهي تتخيل الفكرة وتصدق فريدة بكل قلبها، فهي لن تسمح أبدًا أن يصيبها أي مكروه، لعله شعور سليم الدائم طوال الوقت، لعله يخشى عليهما من الأذى من كل شيءٍ حوله.

قاطع حبل أفكارها جندي يطرق باب الخيمة لينبههم بضرورة الاتجاه معه الآن للخضوع للفحوصات الطبية الخاصة بالإشعاعات النووية وما شابه، وقد كان أمرًا جيدًا جدًّا في رأي الجميع. يريد

الجميع الاطمئنان على أنفسهم، فقد فقدوا قدرتهم على تتبع آخر أخبار الحرب منذ أن اختبأوا وفُصلت إشارات التلفاز والراديو فأصبحوا معزولين بالكامل. اتجهوا سويًّا ليقفوا بطابور ليس بكبير، من الواضح أنهم يأخذون سكان المُخيم في تجمعات بالترتيب.

دخل سليم أولًا، سأله الطبيب بالداخل عن بعض المعلومات كالاسم والسن وإن كان لديه أي أمراض مزمنة، ثم أجرى بعض الفحوصات الطبية وقياس الضغط والسكر وما شابه، ثم بدأ يطرح عليه العديد من الأسئلة والاقتراحات والاختبارات التي تبدو نفسية بعض الشيء، وكان بالنسبة له شيئًا عاديًا، فمن الطبيعي أن يطمئن الناس على سلامتهم النفسية بعد أهوال الحرب وما تم. أجاب سليم عن كل الأسئلة بشفافية مطلقة، وأوضح وجهات نظره في رفض بعض التعليمات والتفكير فيها جيدًا. كان الطبيب يطرح الأسئلة وكأنه يحمل ملفًا يحتوي على كل تحركاته وكل ما فعله منذ أن جاء إلى هنا، كان يطرح مواقف بعينها وتفاصيل دقيقة جدًّا. اقترب منه الطبيب وأشار إلى رأسه بجهاز غريب لم يره من قبل ولكنه صغير الحجم، وطلب منه أن يغلق عينيه ومن ثمّ أصدر الجهاز صوتًا بسيطًا، ثم أطلق وميضًا أخضر متواصل، فابتسم الطبيب وقال له:

- تقدر ترجع للخيمة بتاعتك وإنت مطّمن.

ابتسم سليم وقد تفهم من حديثه أنه خالٍ من أي إشعاعات نووية، ولم يُصِبه منها ضرر، وخرج لهم وعلى وجهه بعض الارتياح، ولكن الشك ما زال يغمر قلبه ولن يختفي. دخل الجميع بالتتابع يسألهم الطبيب نفس الأسئلة ويجيب كل منهم برأيه في المكان من

حوله وتبريرات تصرفاته في المُخيم ورفضه وقبوله لكل ما يُقال، انتظر الجميع حتى انتهوا وتم فحص الأطفال بالخارج بجانب أمهاتهم من خلال هذا الجهاز فقط، وعاد الجميع إلى خيمتهم هانئين بمرور الفحوصات على خير، جميعهم بصحة جيدة.

تحركت حليمة من المدرسة مباشرةً إلى منزل سميرة لتزورها لعلها تجد بعض الإجابات التي تبحث عنها. طرقت الباب لتجد سميرة تقف من خلفه ترتدي عباءة فضفاضة قد سُكب عليها بعض قطرات بنية اللون ربما قهوة، وأسفل عينيها بدأ يميل للسواد كثيرًا.

- فيه إيه؟

وجهت سؤالها إلى حليمة التي لا زالت في مرحلة استيعاب الموقف، وقبل أن تجيبها أكملت سميرة كلامها قائلة:

- مش خايفة تتعدي مني ولا حاجة؟

تلعثمت حليمة وهي تحاول تفهم الموقف ولم تسأل عن العدوى، هل أخبروها بأن تمنع الزيارات؟

- هو حضرتك ممنوع عنك الزيارة؟

- باين كدا.

قالتها وهي تتحرك للداخل تاركة حليمة تقف على الباب بمفردها ولم تكترث حتى بدعوتها للدخول. تلفتت حليمة حولها تتفقد ما يوجد على مدى نظرها قبل أن تدخل خلفها وهي تحاول ألا تلمس أي شيءٍ أو تقترب كثيرًا منها حتى تتفهم أمر هذه العدوى التي تتحدث عنها.

- طنط هو حضرتك كويسة؟

تنهدت سميرة بثقلٍ وبدأت عيناها تلمعان من الدموع وهي تقول بهدوءٍ تام:

- مش عارفة، ما فيش حاجة حلوة وما فيش حد معايا.

جلست خليمة أمامها وملامحها تميل للشفقة كثيرًا وسألت بهدوء:

- ليه ما فيش حد معاكِ؟

مسحت عينيها بقليلٍ من العنف ورشفت من كوبٍ قد أمسكته من على الطاولة المقابلة لها وهي تقول ونَفَسُها مضطربٌ:

- ما حدش بيجي يزورني ولا ممدوح ولا العيال، ما حدش بيجي خالص.. كانوا بيكلموني بس ولما زعقت لهم بطلوا حتى يكلموني.

بحركة خفيفة فتحت حلمية هاتفها وبدأت تسجل الزيارة حتى تعود إلى كلماتها فيما بعد، فقد شعرت بأن ذهولها من الموقف قد شل تفكيرها فلا تستطيع سوى بذل أكبر مجهودٍ ممكن في استعياب الموقف:

- حضرتك بتزعقي لهم ليه؟

- علشان ما حدش بيسأل عليا، وكلهم شايفين إن العادي والمنطقي إن ممدوح يسيبني لحد ما أبقى كويسة، طب ما يخليه معايا لحد ما أبقى كويسة.

رفعت عينيها بهدوءٍ وقالت بكل تلقائية:

- بس هو دا المنطقي فعلًا يا طنط، يعني ما حدش يعرف لخبطة المصل دي ممكن تعمل معاكِ إيه، فالأفضل تنعزلي لحد ما ترجعي أحسن.
- وهابقى أحسن إزاي من غير الناس اللي بيحبوني؟ من غير ما حد يساعدني!

كانت حليمة على وشك أن تُجيب، ولكنها أكلمت حديثها كما أن ضيفتها لا وجود لها من الأساس:

- لو هيعزلوني علشان ما يتعدوش يبقى يعزلوا نور كمان، مش هي اللي بدلت مكان المصل؟ وممدوح كمان يتعزل علشان هو ما أخدش باله زيي إن المصل اتبدل، وبنتي علشان ما أخدتش بالها من بنتها وقالت لها إن دا غلط.
- نور دي طفلة يعني مش مدركة، مش قصدها أصلًا.
- وأنا ما غلطتش في حاجة علشان أتعاقب.
- حضرتك مش بتتعاقبي إنتِ بتتعافي بس ولفترة مؤقتة كإنك محجوزة في المستشفى.
- بس أنا مش في المستشفى والزيارة مش ممنوعة، ليه ما حدش يجي يزورني؟ وليه يبطلوا يكلموني علشان بزعق؟

تعجبت حليمة من سؤالها وكأن هناك شخصًا قد يتحمل صراخًا بوجهه بلا داعي ولا منطق؟ فما الداعي للصراخ على أي حال؟! فكل شيءٍ قد يُطرح بالنقاش الهادئ المنطقي.

- وهو فيها إيه لو كانوا استحملوني شوية حتى لو بزعق وبعمل تصرفات بيقولوا إنها مش منطقية؟

- ما حدش مضطر إنه يستحمل تصرفات مش منطقية لأي سبب.

وضعت الكوب من يدها بحدة على الطاولة ونظرت إلى حليمة باستياءٍ وقالت بعصبية:

- وأنا مش مضطرة أستقبلك في بيتي، اطلعي برة.

اتسعت عينا حليمة وهي تحاول استشعار الدعابة فيما قيل، أحقًّا تطردها من المنزل؟ ولماذا؟ وقفت سميرة وهي لا تزال تحملق بعيني حليمة بحدة، فوقفت حليمة هي الأخرى وتحركت ببطءٍ نحو باب المنزل لتسمع صوت سميرة من خلفها تكمل حديثها قائلةً:

- وأنا ما كنتش مضطرة أستحمل عياط بنتي وابني وهمَّا صغيرين ولا أصحى على عياط ولا أعمل لها حاجة.

صُدمت حليمة واستدارت لتقول بهدوءٍ ممزوج بالتعجب:

- بنتك دي مسؤوليتك، وكانت طفلة ما عندهاش القدرة تشيل نفسها، كان منطقي حد يساعدها لحد ما تتعلم تكون إنسان مكتفي ذاتيًا قادر يخدم نفسه ويلبي احتياجاته الأساسية، هي مش مسؤوليتك دلوقتي ماشي؟!

- وأنا مش مسؤوليتها؟!!

- إنتِ شخص كبير ولسا قادر ياكل ويشرب ويتعامل لوحده، ما عندكيش إعاقة أو مرض مانع حركتك، ساعتها بس تكوني مسؤوليتها.
- أنا تعبانة.
- إنتِ كويسة، وهمَّا ما عملوش حاجة غلط، بطلي تزعقي لهم يمكن يجوا يزوروكي.

تنهدت حليمة وهي تتطلع بمظرهها البالي وتكمل قائلة:

- زعلانة إن ما حدش بيزورك وأول حد يجي يزورك بتطرديه! بطلي تزعقي للناس وعامليهم كويس وهم هيجوا.

استدرات حليمة وخرجت من باب المنزل وفي خلفيتها صوت سميرة وهي تقول صائحة: «**إنتِ فكراني ببقى عايزة أزعق؟ أنا بحاول.. أنا ما حدش قادر يحسسني إني كويسة، أنا بحاول ما أزعقش بس بزعق**»، لم تتوقف لاستيضاح معنى الكلام وكأنها لا تكترث سوى لأمرٍ واحد فقط، لقد جاءت للبحث عن إجابات ورحلت تحمل أسئلةً جديدة لتضيفهم إلى لائحة المجهول في رحلة بحثها التي ستكون طويلة جدًّا على ما يبدو.

عادت الشقيقتان إلى المنزل في نفس التوقيت، فابتسمت إحداهما للأخرى على باب المنزل دون التفوه بكلمة، ولم تكن عادتهما لكن كانت كل منهما يشغل بالها شيء كبير، فلم تلحظ أحدهما تغير السلوك المفاجئ. دخلت تيماء إلى غرفتها وهي

تتفحص الورقة بيدها متشوقةً لمعرفة المزيد عما هي مقدمة عليه. استلقت على الفراش في الظلام وأنارت إضاءة خافتة بجانب فراشها، وفتحت الورقة لتجد سؤالًا:

لماذا يقدم الإنسان ما يحتاجه للآخرين؟

سؤال يتوسط أعلى الورقة ومن بعده جمل كثيرة وكأنه خطاب.

«يظن الإنسان أن تصرفاته هي صفاته ولكن كيف له أن يعرف؟ عندما يخوض الإنسان تجربة التعرف على نفسه يبدأ بالأشياء البسيطة كلونه المفضل أو ذوقه الخاص بالملابس، ولكن هناك ما هو أهم بكثير، وهي صفاته أي أفعاله التي تصفه وتحدد شخصيته وطباعه وما يطلبه من الآخرين. هل ظننت يومًا بأنك تقدم للغير ما تحتاجه رغبةً منك في الحصول عليه؟ أو إنك تريد إشباع احتياجك من خلاله؟ لعلك تستشعر في ردة فعله سعادة تريك معنى الحصول على هذا الشيء الجميل.

يجب علينا أن نسأل أنفسنا ما الذي نقدمه لنحصل عليه؟ ما المُقدم منا كهدية بلا مردود؟ فكم بؤس هذا الذي يقدم الحب ظنًا منه بأنه محبٌ للآخرين وفي حقيقة الأمر هو أكثر الناس حرمانًا منه! فيُثني الجميع على طبعه المُحِب وما هو إلا احتياج للحب في المقام الأول.

لعلك تسأل نفسك لماذا لا نطلب ما نريد الشعور به بكل وضوح؟ لأن بعض المشاعر يجب أن تأتي بلا طلب، فإن وجدت علمت قدرك عندهم، وإن غابت فقد تحدد موعد الرحيل».

قرأت الورقة أكثر من مرة فمضمون الرسائل يبدو من خارج عالمهم، فيحتاج منها وقتًا طويلًا لاستيعابه أو تخيله. أغلقت الورقة ثم جلست في هدوء الظلام تفكر فيما قرأته، من هي؟ وما الذي تقدمه احتياجًا؟

انتفضت فزعًا من دخول حليمة عليها دون حتى أن تطرق باب الغرفة ولكنها دخلت مندفعة وهي تسأل:

ـ هو إنتِ لو عايزة الناس تحبك وتزورك هتعملي إيه؟

ارتبكت تيماء وشعرت بالتهديد وكأن حليمة قد علمت شيئًا، فبدأت تبحث عن الورقة بجانبها في ظلام الغرفة وتخفيها أسفل وسادتها، فتعجبت حليمة من جلوسها في الظلام وحدها وسألت:

ـ ليه الضلمة؟

ساد الصمت ولم تجب تيماء، فتعجبت حليمة أكثر ومدت يدها لتفتح نور الغرفة فوجدت تيماء تُحملق بها دون أن تنبث بكلمة.

ـ يا تيماء أنا سألت سؤال؟

ـ ليه؟

ـ يعني إيه ليه؟

ـ ليه السؤال دا؟

ـ سؤال شاغل بالي، لو إنتِ عايزة الناس تزورك وتحبك هتزعقي لهم؟

ـ أزعق لهم! لأ طبعًا ليه كدا؟

ـ منطقي، اللي عايز الناس تحبه يعاملهم حلو ويحبهم.

انتظرت تيماء قليلًا ثم سألت بكل هدوء:

- هو إنتِ لما بتحبي حد، بتحبيه علشان إنتِ عايزاه يحبك ولا علشان إنتِ بتحبيه؟

ظهرت علامات الدهشة على وجه حليمة بوضوح وسألت بترقب:

- وليه أحبه علشان يحبني؟ وهو أنا أصلًا هاحب حد ما بيحبنيش ليه؟
- مش كدا، يعني بتحبي الناس أو بتدعمي الناس علشان إنتِ عايزة تحسي إنك محبوبة فبتطلبي دا من خلال تصرفاتك؟
- وليه ما أطلبش دا بكلامي؟
- علشان ما ينفعش نطلب من حد يحبنا، هو يا يحبنا يا ما يحبناش.

ألقت حليمة برأسها على الوسادة بجانب تيماء وهي تُتمتم: «**ما ينفعش نطلب من حد يجي يقف جمبنا ولا يساندنا حتى لو كان أقرب حد لينا**»، أخذت حليمة تفكر فيما دار بينها وبين سميرة بمنظورٍ مختلف قليلًا لعلها أرادت أن ترى المساندة دون أن تطلبها. تصرف غريب بعض الشيء ولكنه يبدو منطقيًّا؛ إذا تعرض أحد لما تعرضت له لعله يشعر هكذا، يريد المساندة والحب من أسرته، ربما هو شيء منطقي، من حقها أن ترى في أعين أسرتها الحب والاهتمام، لعلها طبيعية!

التفتت إلى تيماء وقالت لها بهدوء: «**أنا هنام هنا جمبك شوية لحد ما ماما تخلص الأكل**»، ابتسمت تيماء بوجه شقيقتها وهي تفكر في شيءٍ واحد، الورقة أسفل الوسادة.

مرت أسابيع والحال كما هو للجميع، قد يعاني البعض من القلق المُفرط تجاه كل شيء، وكان هذا رأي ليلى من موقف سليم الغريب تجاه هذا المخيم البسيط، فكانت ليلى تجد هذا المكان مثاليًا للحياة، فمن منهم كان يحلم بوجود مأوى لأسرته بلا خوف ولا قلق من نفاد الطعام أو هجوم أي مسلحين عليهم في أيةِ لحظة؟ قد أعطاها هذا المكان أملًا جديدًا غير الذي سُلب منها بالقوة في الماضي. تتساءل دائمًا لمَ شك سليم المستمر في نوايا الجنود؟ ولمَ يسأل دائمًا لماذا يفعلون هذا؟ ألا يمكن أن يفعل المرء خيرًا دون مقابل؟ يفعله فقط من أجل البشرية والحياة الكريمة؟

غفت ليلى لبعض الوقت خلال النهار وكانت بالنسبة إليها رفاهية مطلقة أن تغمض عينيها وهي تشعر بالأمان وقد كانت اعتادت هذا المكان وهي بطبعها اجتماعية بعض الشيء، ولكن قد حدت الحرب واختفاء البشر من حولها من هذه الصفة، فمن الصعب أن تكون اجتماعيًا حين تكون الناجي الوحيد!

كانت تقضي أيامها تبتسم وتُلقي التحية على كل المجاورين لها وجميع المقيمين بالمخيم حتى أصحاب الشك والظنون المظلمة كزوجها، ولكنها لا تبالي ما دامت آمنة في حضن صغيرتها. كان سليم يجلس خارج خيمتهم على ذراعيه نغم كعادته حين تنام

ليلى، يجلس ليتابع المكان في صمت، ويعد الجنود مرات متعددة، ويحصي الخيم من حوله يوميًا ليرى كم زاد عليهم، وهل نقص منهم فرد أم لا! يعلم من داخله أن طارق يبادله الشعور بالخوف، ولكنه أفضل منه في إخفاء هذا الأمر على زوجته وأطفاله أو لعله أيضًا يستمتع بشعور الأمان حتى وإن لم يدُم، ولكن كيف له أن يتمتع بسعادة لحظية علمًا منه بأنها لن تدوم؟

وهو غارقٌ في محيط أفكاره بدأ يسمع شيئًا غير معتادٍ من حوله وكأنه إعلان لشيءٍ ما في مكبر صوت ويقترب منهم شيئًا فشيئًا. خرج طارق من خيمته وبجانبه فريدة ليستوضحا الأمر أيضًا، **«الكل يجمع أفراد الخيمة الخاصة به وينتظر عربات الإخلاء»**، **«الكل يجمع أفراد الخيمة الخاصة به وينتظر عربات الإخلاء»**، أخذ الصوت يقترب وتتكرر الجملة مرارًا. التفت سليم حوله ليجد كل الأفراد يجمعون كل ما يخصهم من أفراد أو أشياء. انسحب بهدوء ودخل إلى خيمته وهمس في أذن ليلى حتى تستيقظ بهدوء.

- ليلى.
- فيه إيه؟

انتبهت شيئًا فشيئًا لتستوضح صوتًا مرتفعًا يجوب الأرجاء من حولها.

- إيه اللي بيحصل يا سليم؟
- ما تقلقيش.
- بيقولوا إيه؟
- عايزينا نجمّع بعض علشان فيه عربات إخلاء.

مسحت على عينيها بلطفٍ ثم نظرت إليه وعلى وجهها الكثير من الأسئلة، فأجابها دون أن تسأل:

- ما اعرفش، بس قومي نشوف محتاجين ناخد معانا إيه؟

تطلعت إلى صغيرتها على كتف والدها وقالت له بهدوء:

- مش محتاجين حاجة غير بعض، إنت ونغم وأي حاجة تانية تتعوض.

ابتسم بمرارة وهو يحاول إخفاء شعوره بالاستياء من عدم قدرته على إيجاد أي إجابات أو الشعور بالطمئنينة. التقط بعض بقايا الطعام على الطاولة وخرج هو وليلى ليجدا صدقيهما بانتظارهما خارج خيمتهما، ووقفوا جميعًا منتظرين عربة الإخلاء، حتى مر من جانبهم جندي فصاح الصديقان في نفس الوقت عليه متسائلين: «**هو إحنا هنروح فين؟**»، ابتسم الجندي واقترب منهم وقال بهدوء:

- هنتحرك على مكان فيه لاجئين أكتر ومؤمن أكتر.

ابتسم طارق هو الآخر وسأل بلطفٍ:

- أيوة المكان دا فين بقى؟

تراجع الجندي بضع خطوات وهو يقول على عجلة من أمره:

- ما أقدرش أصرّح بموقع المخيم التاني.

تقدم نحوه سليم وقال متعجبًا:

- ليه ما تقدرش تصرح؟ إحنا هنبلغ مين يعني؟

- ما عنديش إذن بالتصريح للأسف.

- يعني هتاخدونا مكان ما نعرفوش؟

- هو حضرتك كنت تعرف المكان دا؟!

ابتسمت ليلى وهي تجذب سليم من ذراعه ليتراجع، وهدّأت فريدة الأجواء متسائلة:

- أنا بس حابة أعرف هو بعيد عن هنا ولا قريب علشان الأولاد والأكل ودخول الحمام.. مش بيكون سهل التحرك بأطفال.

- كل حاجة مترتبه يا افندم، حتى استراحات الطريق للأطفال، وهنتوجه لهناك متقسمين على مجموعتين بناءً على الأرقام اللي هتستلموها.

- إحنا عايزين نكون المجموعة التانية.

أجابه طارق مسرعًا، فأجابه الجندي بحزم وهو يتحرك بعيدًا:

- فيه نظام وما حدش يقدر يختار المجموعة بتاعته، وإنتم لازم تمشوا تبع النظام.

تحرك بعيدًا عنهم وقالت ليلى بقلق:

- أنا ليه مش مرتاحة من نبرة صوته؟

نظر إليها سليم وهو يتنهد لشعورها بالقلق مرة منذ قدومهم إلى هنا.

- أخيرًا! يللا نمشي من هنا بلاش نروح معاهم في حتة.

نظر إليه طارق داعمًا اقتراحه وقد لاحظت فريدة نظرتهما وتعلم جيدًا معنى اتفاقهما سويًّا على شيء، فقالت بحدة:

- ونهرب نروح فين بقى؟ نرجع للضياع اللي كنا فيه؟

تطلع طارق إليها وكان على وشك أن يتحدث، فأكملت حديثها غير مكترثةٍ لما قد يقوله:

- ما حدش فينا مطّمن، بس إحنا هنا بناكل وبنشرب وعارفين ننام بالليل، حتى لو هياخدونا فران تجارب ولّا هيأسرونا تبع بلد أنا هارتاح لما أنام وأنا عارفة إن ولادي هياكلوا بكرة، سواء هنا أو برة السور دا إحنا آخرتنا مش مُبشرة بالمرة، هنهرب ونموت من الجوع أو الخوف أو نروح معاهم ونشوف هيحصل إيه؟

ظهرت علامات الغضب على وجه سليم وقال بحدةٍ تزيد عن حدتها بمراحل:

- يعني نروح مع ناس ما نعرفهاش ولا نعرف تبع مين ولا عايزين إيه علشان بيأكلونا؟! إحنا بقينا حيوانات بقى!
- متفقة معاك مليون في المية، بس إحنا قبل كدا كنا عايشين حياة الحيوانات البرية بنقتل ونتقتل علشان نعيش، خلينا بقى نجرب نبقى حيوانات أليفة أصحابها بيأكلوها علشان يتفرجوا عليها بتلعب مع بعض.

وقبل أن يجيبها سليم بوجهه الحانق وذراع ليلى الذي يتشبث به لعله يهدأ قليلًا لأنها كانت تساند صديقتها كليًا، قالت فريدة حُجة الختام وهي تشير إلى الأطفال:

- إحنا مش بطولنا علشان نعمل فيها أبطال، جربنا إننا نعيش لوحدنا برة وهنجرب نعيش هنا وسط ناس اللي هيحصل لهم هيحصل لنا معاهم علشان إحنا ما عندناش اختيارات تانية، سواء كنا هنموت أو هنعيش معاهم، أهو نبقى عملنا اللي علينا وأخدنا الاختيار الآمن لولادنا

وجربنا كل الاحتمالات اللي قدامنا، مكان ما الأكل والناس موجودين إحنا هنروح.

حاول طارق وضع ابتسامة خفيفة على وجهه وهو يسألها:

- إحنا خايفين عليكم يا فريدة، إحنا مش فاهمين إيه دا؟!

- ومش خايفين علينا يا طارق لما نروح مع نفسنا وحد فيكم يحصل له حاجة ونبقى أنا وليلى بطولنا؟ تفتكر إحنا هنقدر نعيش كل يوم مش عارفين هنا كل إيه ولا هنام فين؟

تدخلت ليلى بهدوء:

- أنا مع فريدة في كل كلمة، أنا حقيقي كنت باعرف أنام هنا وأنا حاسة إن فيه أكل هيتوزع بكرة وفيه حركة حواليا، خلينا نجرب الحل التاني، خلينا نمشي وراهم لحد الآخر.

قاطع تجمعهم الصغير جندي يحمل ورقًا على هيئة دفتر متوسط الحجم وسألهم مستوضحًا عن أسمائهم، ثم بحث بين أوراقه وسلّم كلًّا منهم ورقة يُكتب عليها رقمه ورقم المجموعة التي سيتحرك معها. تفحص كل منهم ورقته وقال طارق بهدوء وهو ينظر في ورقة فريدة وسليم بجانبه ويقول:

- الحمد لله، كدا كدا طلعنا المجموعة التانية.

أشارات ليلى إلى رقم مجموعتها في الورقة دون التفوه بكلمة ليصيح سليم ثائرًا:

- إزاااااي؟!!

كاد سليم أن يركض خلف الجندي ولكن تشبثت ليلى بيده وترجته ألا يتسبب في مشهدٍ في هذا الوقت بالتحديد، فالمخيم كله يتأهب للرحيل والأجواء لا تساعد على الخلاف بالمرة، ثم جذبت طارق من يده بهدوءٍ وقالت:

- طارق هيجي معايا بهدوء عند القائد اللي قابلناه أول مرة ونحاول نصلّح الموضوع.

تحركت ليلى بعيدًا عن سليم وذهبت هي وطارق إلى القائد الذي يجلس وأمامه عدد كبير من الناس في انتظار مخاطبته لعل هذا الخطأ شائع بين الجميع، لعله ليس خطأً!

وقفا في طابور طويل وكانا بعيدين جدًّا عن مكتب القائد فلا يسمعان ولا يريان شيئًا على الإطلاق، وكلما رحل فرد من الصف اقتربا أكثر واسترقا السمع جيدًا، هناك العديد من الأفراد تفرقا، الأب والأطفال في المجموعة الأولى والأم في الثانية، والجميع يحاول إعادة لم شمل أسرته، لسوء الحظ لم تكن إجابات القائد واضحة لهم، فلا يسمعان رده على كل هذه المشكلات من حولهما، حتى عاد رجل يحتضن طفلاته وزوجته وأمسك طارق بيد الرجل وسأله عما حدث هناك وكان رد الرجل في غاية الوضوح:

- اللي فيكم في المجموعة الأولى يطلب يتنقل المجموعة التانية مع أهله، العكس مش هيحصل خالص.

وخطى بعيدًا عنهما بكل هدوءٍ دون أن يفسر ما قاله، طال الانتظار حتى وصلا أخيرًا إلى القائد، وبكل هدوءٍ سلمته ليلى الورقة وطلبت منه أن ينقلها إلى المجموعة الثانية مع زوجها وطفلتها.

- بس إنتِ بنتك معاكِ في المجموعة الأولى.

- طيب ممكن تحولني أنا وبنتي المجموعة التانية مع جوزي وأهلنا؟!

- دي مجرد إجراءات، خليكِ أفضل في المجموعة الأولى.

ابتسمت ليلى بهدوءٍ وهي تعتذر له بكل أسف، وتصمم على تحويلها إلى المجموعة الثانية.

- خلاص ما فيش مشكلة، هنحولكم المجموعة التانية.

هنا تدخل طارق بسؤالٍ بسيط:

- هو ليه التحويل من الأولى للتانية ممكن والعكس مش بيحصل؟

ابتسم القائد ابتسامة باردة وقال وهو ينظر في الأوراق أمامه:

- علشان المجموعة التانية لسا فيها مكان والأولى مكتملة.

- بس فيه ناس كتير بتحول من الأولى، يعني بقى فيها مكان فاضي أكيد.

- ما فيش وقت للخبطة دي، المجموعة التانية تستوعب عدد أكبر، المجموعة الأولى اكتملت.

سحبت ليلى الورقة الجديدة التي تضع اسمها ضمن المجموعة الثانية وتحركت هي وطارق بعيدًا عن مكتب القائد والقلق يرسم نفسه واضحًا على وجهيهما.

ـ طارق، ما تقولش لسليم اللي حصل.

ـ إنتِ حاسة إن فيه حاجة غلط زيي صح؟

ـ فيه حاجة غريبة في طريقة كلامه ونظراته، فيه حاجة غريبة وكإن المجموعة الأولى هم الصفوة والمجموعة التانية للباقين.

ابتسم طارق بمرارة وقال:

ـ أتمنى يكون الموضوع بس صفوة الناس وعامة الشعب، ما عنديش مشكلة أعيش من الفقرا بس أعيش.

تجمدت حركة ليلى حيت فكرت في الأمر، أيمكن أن يكون الموت هو القدر المكتوب لهم جميعًا في نهاية تلك الرحلة؟!
تنهدت واستعادت قوتها ونظرت إلى طارق وقالت بحزم:

ـ نموت كلنا أو نعيش كلنا، اوعدني اللي حصل يفضل بينا، يا ريت نسيبهم قاعدين مطمنين شوية، سليم أصلًا مش ناقص وفريدة هادية حاليًا، حقهم علينا نخبي عنهم.

أومأ برأسه موافقًا وأخفى كل منهما القلق من عينيه وأكملا الطريق عائدين إلى الخيمة مرة أخرى.

قد نتشارك سويًا أشياء عديدة، ولكن يبقى العقل ملكية خاصة جدًا لا يمكن تخيل ما يدور برأس أحدهم حتى وإن كنت تشاركه نفس الوسادة، كان هذا حال الشقيقتين، فبرغم أنهما سويًا على نفس الفراش إلا أن كلًّا منهما في عالمٍ مختلف تمامًا. تنهدت

حليمة ثم اعتدلت وتأهبت لترك الغرفة دون كلمة واحدة وعينا تيماء ثابتتين على وسادتها حتى تأكدت بأنها وحدها مجددًا، فأخذت الورقة وخبأتها في كتاب معجزة سديم، ثم وضعت الكتاب في خزانة ملابسها وسط الملابس حتى لا يصل له أحد، ذهبت بعدها للفراش لتعيد التفكير مرة أخرى فيما قرأته، ما الذي قد تفعله لتطلبه؟ وما هو الشعور المفقود لديها؟ فأنارت في عقلها كلمة واحدة دون سابق إنذار: «**الأمان**»، لقد عانت طيلة حياتها من عدم الشعور بالأمان وترقب إصابتها بالمشاعر في أيةِ لحظة، ولذلك هي أكثر أهل بيتها إدراكًا للخوف أو القلق المُفرط من قبل حتى أن تتوقف عن تناول المصل.

جلست تفكر في كل تصرفاتها في الفترة السابقة لتجد نفسها بالفعل كانت تسعى أكثر من الجميع لبث روح الأمان حولها ليس للآخرين ولكن لنفسها، وتستشعر كلمات الطمأنينة من حليمة كلما تحدثا حتى أصبحت حليمة على دراية تامة بخوفها الزائد، فحرصت على طمأنتها باستمرار في كل مرة. مهلًا، أحقًّا تحاول حليمة كل هذا بدافع الحب فقط، أم أنها تحاول أن ترسل رسالة غامضة عن احتياج يكمن داخلها ولم تستطع تيماء فك رمزه بعد؟ اعتدلت على فراشها وتطلعت إلى صورتها مع والديها المعلقة على جدارها وقد نبهتها هذه الصورة بشيءٍ مهم جدًّا لم يمضِ يوم إلا وقد كانت حليمة تحاول بجهدٍ كبير جدًّا، يوميًا تفعل الكثير بلا ملل ولا تعب من أجل ماذا؟ ما الذي يدفعها للبحث عن سر المشاعر وحياة المُبالغين وهي ليست منهم ولن تكون أبدًا؟! لماذا تفعل كل هذا المجهود؟

أيمكن أن يكون هذا من أجل أن يلاحظها والديها؟! فقد حصلت هي على وسام التميز بكونها الفرد الجديد بالعائلة الذي يحرص الجميع على شعوره بالانتماء والراحة، فأهملا ابنتهما الحقيقية لتمضي بقية حياتها تحاول بكل قوتها أن تجذب اهتمامهما إليها.

وقفت تيماء فجأة وخرجت من غرفتها لتبحث بغرفتيّ مِهاد وحليمة عن صورة كبيرة تجمعهما بوالديهما على الجدران ولكنها لم تجد أيةَ صورة تُشبه تلك التي في غرفتها، ولكنها وجدت حليمة قد وضعت واحدة تجمع الأسرة كلها بجانب فراشها، لقد وجدت دليلها بأن كلمات الأوراق بالفعل صحيحة؛ قد نفعل الكثير من أجل أن نحصل على شعورٍ واحد فقط لم نكن حتى نعلم بأننا نفتقده وقد لا يلاحظه الآخرون مما يدفعنا للعمل بجدٍ أكثر حتى يلاحظنا أحد، ولكن هل نلاحظ؟!

أسرعت إلى غرفتها مرة أخرى وأحضرت ورقة وقلم وبدأت تفكر في كل مشاعرها، نعم هي تتحدث الآن عن المشاعر وكأنها شيء لا يدعو للخوف، فهي الآن تعلم أن على الإنسان أن يعلم الدافع وراء أفعاله وإلا سيعيش ما تبقى من عمره غريبًا مع نفسه.

أما في الغرفةِ المجاورة كانت حليمة تجلس وحدها تعيد سماع تسجيلها لكلمات سميرة مرارًا وتكرارًا، فهي لا تفهم هذا المرض الغريب الذي يجعلك تستشعر الضعف في طلب ما تريده.. لماذا تجعلنا المشاعر بهذه اللامنطقية؟ ولماذا لا يمكنك فقط أن تطلب ما تريد أو تكون أكثر وضوحًا حتى يستطيع الجميع مساعدتك؟ ولكن إن كان الأمر بهذه السهولة لما أصبح مرضًا ولا دمر البشرية

من قبل. كان صعبًا عليها أن تواجه ولأول مرة مريضَ مشاعر لا يعلم عنه أحد، الجميع يظن بأن سميرة في فترة نقاهة قصيرة وستعود كما كانت منطقية، ولكنها لا يبدو عليها التحسن مطلقًا، أمسكت بورقة وأخذت تحسب معدل ما تتناوله من مصلٍ يوميًا والجرعة التي أخبرتهم سميرة في زيارتها لهم الأخيرة بأنها كانت تنقصها بسبب تبديل المصل مع زوجها.

بدأت تتقصى الحقائق والحسابات بشكلٍ أوضح، فقد شغل تفكيرها أمر المصل وبشدة، وكيف عليهم أن يتخذوا حذرهم حتى لا يحدث لهم هذا، سميرة ليست متبناه ولم تكن عرضة في بداية الأمر للإصابة به. رفعت عينيها لترى انعكاسها في المرآة وهي مُنكبة على الورقة في قلقٍ شديد، يا إلهي لقد أصبحت أكثر خوفًا من تيماء بالإصابة بهذا المرض اللعين! بدأت ترتب أفكارها بكل هدوءٍ أو ما كانت تتصنّعه من هدوءٍ حتى لا تثير الذعر في نفسها من فرط حركاتها وسرعة تفكيرها، عليها أن تصل إلى مكونات هذا المصل والجرعات اللازمة والضرورية وكيفية التأكد من أن الفحص كل ستة أشهر هو الحل الصحيح، وما هو مثلث الخطر؟ ولم سُميَ بهذا الاسم؟ وما جعله خطرًا عليهم من الأساس؟!!

اجتمعت العائلة على طاولة الطعام ليتشاركوا روتينهم اليومي المعتاد بالاجتماع وتبادل أطراف الحديث بهدوء. انتظرت حليمة قليلًا ثم وجهت نظرها إلى والدتها وقالت:

- أنا محتاجة أروح المكتبة الأم بعد الأكل علشان محتاجة أبص على شوية كتب للتدريب بتاعي.

- استقريتِ على تخصص خلاص؟

لأقل من ثوانٍ كان عقلها يحسب ما عليها قوله، ولكنها لا تريد أن تلفت الأنظار إلى أمر المصل أو التطرق له على الإطلاق، فقالت وهي تنظر إلى طعامها دون مواجهة أعين الجميع المُسلطة عليها:

- آه، غالبًا هاختار أحياء خلاص.

ابتسم والدها بفخرٍ وقال:

- هتبقي شاطرة فيها جدًّا، إنتِ أصلًا عندك حضور جميل جدًّا وهتبقي مدرسة شاطرة.

أومأت برأسها مع ابتسامة لطيفه وكانت تيماء تتطلع إليها هي الأخرى وتُفكر بداخلها؛ كم هي محظوظة حليمة بعدم معرفتها لكل هذه الأمور التي قلبت حياتها رأسًا على عقب! فقد كانت تيماء تتمنى أن تكون حياتها بهذا الاستقرار، ولكن قليلًا ما نعرفه عن الناس وكثيرًا ما نحكم عليهم. انتهت مسرحية الغداء التي أتقنت بها الفتاتان ادعاء البهجة والمنطقية، ولم تكن أيةُ نسبة من هذا الادعاء حقيقية، فمن منا يمكنه الابتهاج حتى يزيح القلق من عقله؟ اتجهت حليمة إلى المكتبة وأخبرتهم تيماء بأنها ستذهب للتجول قليلًا.

عاد طارق وليلى إلى الخيمة، وأشارت ليلى إلى سليم بالورقة الجديدة التي تحمل نفس رقم مجموعته وهي تُطمئنه وبداخلها تصارع الخوف الذي يتسلل إلى صدرها شيئًا فشيئًا، أما طارق فقد احتضن ابنه الأصغر الذي كان يلعب على الأرض بجورا قدمه وهو

يخفي حملًا يثقل صدره، أليس الجهل شيئًا جميلًا؟ لمَ يريد البشر معرفة كل شيء؟ إن إدمان المعرفة قاتل، ومع ذلك يسعى كل البشر إليه وكأنه الخلاص، أهي طريقة البشر في الانتحار الجماعي كما تفعل الحيتان على الشواطئ كل عام؟! أنسعى للانقراض أم نسعى لعقاب أنفسنا على شيءٍ ما لا نعلمه؟ إن أكبر مفارقات البشرية سخريةً هو أننا نسعى إلى ما لا نعرفه حتى يجعلنا نشك فيما كان يومًا علم اليقين لنبدأ من جديد.

- ما كانش فيه مشكلة في نقلك؟

اقترب منها سليم وهو يسأل باهتمام، فابتسمت وهي تحضر الطعام لصغيرتها:

- لأ خالص، كان فيه طابور طويل لناس كتير عايزة تبدل علشان كدا اتأخرناأتأتخرنا.

- مش كدا أحسن؟ أنا مش بعمل كدا علشان أنا غاوي مشاكل، بس أنا حابب أطمن عليكِ وعلى نغم.

وقفت أمامه وأسندت رأسها على صدره وهي تقول بهدوء:

- أنا عارفة، إحنا ما لناش غير بعض، وأيًا كان اللي جاي إيه المفروض نكون فيه مع بعض.

ابتسم سليم وضمها أكثر إلى صدره هي وصغيرته التي تحملها، ثم جمعا أشياءهما وتأهبا للرحيل فور أن نادى جندي منهم على اجتماع المجموعة الثانية للتحرك، وركبوا جميعًا السيارات ليبدأوا طريقهم. كانت عربات كبيرة مكشوفة فلا تحميهم من الأتربة ولا حرارة الشمس، يضلل كل منهم على طفلٍ حتى لا تؤذي الشمس

عينيه، وتتابع أعينهم الطريق من حولهم، في وضح النهار كانوا يرون الخراب المحيط بهم جيدًا، وليلًا كانت العتمة شديدة فلا يمكنهم حتى رؤية أصابعهم، ورغم كل هذه التغيرات في حياتهم جميعًا إلا أن السماء ما زالت كما هي ليلًا، فالنجوم هي الشيء الوحيد الباقي على حاله كما تركوه، تُضيئ بشدة في الأماكن شديدة السواد وكأنك تجلس على شاطئ البحر ليلًا، لا توجد أي أنوار إضافية سوى مشاهدة النجوم وهي تتلألأ في السماء وبجانبهم القمر على هيئة هلال. تنهدت فريدة وهي تقول بهمس لزوجها:

- آدينا على الأقل عرفنا إننا في بداية شهر هجري، إيه هو الله أعلم.

سمعت أنفاسه وهو يضحك ويقترب منها ليكمل حديثهما سائلًا:

- عمرك تخيلتِ من سبع سنين مثلًا إننا هنرجع بدائيين بنحسب الشهر بهلال جديد أو نصوم نص الشهر لما نلاقيه بدر؟
- عمري ما تخيلت أصلًا إني هاعلم ابني الدفاع عن نفسه بالقتل ويروح يدوّر على أكل، أنا كان أقصى طموحي إني أعلمه السباحة في نادي جمبنا.

تخللت أصابعها شعر صغيرها النائم على صدرها وسألت بقلق:

- هو إحنا هنحميهم إزاي؟
- ما حدش فينا في إيده يعمل حاجة، إحنا بننسى كتير أوي إن كلنا في حماية ربنا يا فريدة.

حرك جسده كله بالقرب منها دون أن يوقظ كريم النائم على كتفه الأيسر، وهمس في أذنها قائلًا:

- اسندي راسك على كتفي يا فريدة وأنا هامسك إيدك.

نظرت إليه بتعجبٍ فأكمل قائلًا:

- دي اللحظة الوحيدة اللي هنقدر نبين فيها إننا أضعف مما نتخيل علشان مجرد ما ننزل من هنا هتبقى عنينا في وسط راسنا العمر كله.

أسندت رأسها على كتفه وبدأت دموعها في الانهمار بصمت، الخوف من القادم يقتلك ببطء، والتظاهر بالصلابة أمر مرهق، ولكنها سنة الحياة وعلينا الادعاء يوميًا على كل حال.

- مستنية بقالك كتير؟

ابتسمت حين سمعت صوته قادمًا من خلفها، فقد كانت بانتظراه كالمعتاد.

- بقالي ربع ساعة.

- حقك عليا.

- جبت معاك بقية الورق؟

ابتسم وقال وهو يتطلع إلى عينيها:

- هو أنا ما بوحشكيش؟

أشاحت نظرها عنه بسرعة وهي تحاول تجاهل تعليقه من فرط ارتباكها.

ـ يعني تعرفيني علشان مصلحتك! أنا خايف الورق يخلص ما أشوفكيش تاني.

ـ لأ إحنا هنفضل أصحاب دايمًا.

ـ أصحاب!!

ـ أصحاب دي حاجة حلوة على فكرة.

ـ لأ من ناحية حاجة حلوة فهي أكيد أحلى من اخوات.

ابتسم ثم سألها بفضول:

ـ إيه رأيك في الورقة؟

وقفت وهي تتطلع إليه وتخرج الورقة من جيبها وتتحدث بشغفٍ لاحظه في لمعة عينيها وكأنها أخيرًا قد اقتنعت فعليًا بما يقوله:

ـ إنت مش مُتخيل الورقة دي خلتني أفكر في كام حاجة.

جلست أمامه ونظرت إلى عينيه مباشرةً، ثم استرسلت في الحديث:

ـ اكتشفت إني باعمل كدا فعلًا، ومش أنا بس، دي حليمة استجابت لدا ومن غير ما تُدرك بدأت تحاول تديني الإحساس اللي ناقصني.

أمسكت الورقة وبدأت تشير إلى جزءٍ منها قائلة:

ـ أنا دايمًا بحاول أطمن كل الناس اللي حواليا لإني أكتر حد محتاج يطمن، وحليمة دايمًا كانت عايزة تشتغل في المبنى العظيم علشان تلاقي علاج للمشاعر، عارف ليه؟

أسند ذقنه على كفة يده اليمنى وهو يستمع بإنصاتٍ سائلًا:

- ليه؟

- علشان تطمّني إنه لو جالي مرض المشاعر هاكون كويسة، بس الأهم، حليمة بقى ليه بتعمل كل دا؟ علشان هي بتحاول تلفت انتباه بابا وماما اللي اهتموا بيا زيادة عن حليمة ومهاد علشان يحسسوني بالانتماء أكتر.

- يعني تفتكري حليمة فعليًا مش عايزة تعمل كدا؟

- دا سؤال صدمني، تفتكر حليمة بتعمل كل دا وهي مش عارفة إن مش هو دا اللي هي حقيقي من جواها عايزة تعمله؟

- يمكن، احتمال كبير كمان.

- بس دا حرام، لازم حد يحذرها.

- ودا يوجهنا لدرس النهاردا.

أمسك بورقةٍ كبيرة بيده وبدأ يقرأ بصوتٍ مسموع:

«**إنت غير مسؤول عن إصلاح من حولك، فإن مواجهة الناس أسهل مما تتوقع، ولكن ماذا عن مواجهة نفسك؟**».

تطلعت إليه بعينين تملؤهما التعجب وهي تسأل:

- يعني أشوف واحدة بتضيّع عمرها كله على حاجة هي مش فهماها واسكت علشان أركز مع نفسي؟!

أزاح الورقة بعيدًا عن ناظريها ثم سألها:

- هو لو إنتِ رُحتِ دلوقتي قلتِ لحليمة: إنتِ بتضيعي عمرك في حاجة إنتِ ما بتحبيهاش، الحقي نفسك واتأكدي إنتِ عايزة إيه حقيقي.. هتسمعك؟

- أكيد، بس لازم أشرح لها الأول وتفهم وتعرف عنك وعني.

- لا لا مش دي مشكلتي خالص دلوقتي، حتى لو حليمة تعرفني وتعرف اللي إحنا بنعمله وما عندهاش مشكلة هل من حقك تدخلي بينها وبين نفسها؟

- دي أختي، أنا من حقي أخاف عليها.

- تخافي عليها آه، تنصحيها أكيد، تدخلي بينها وبين نفسها! لأ، تحكمي على حياتها بناء على تخمين شخصي! لأ وألف لأ.

بدأت عيناها تضيقان قليلًا في محاولةٍ منها للاستيعاب وهو يكمل حديثه:

- عارفة ليه نصيحة الناس ومواجهتهم أسهل من مواجهة نفسك؟

- ليه أصلًا مواجهة نفسي صعبة؟

- علشان مواجهة النفس محتاجة شجاعة إننا نستعد للي هنكتشفه عن نفسنا ونعترف لنفسنا قبل الناس إننا كنا غلط أو فينا عيب، ولما هنعترف بغلطة يبقى لازم نصلحها، ولو لقينا فينا عيب لازم نحاول نغيره أو نقلله، فمواجهة النفس بتحتاج أربع أضعاف المجهود

اللي هتعمليه لما ترمي لحليمة كلمتين بناءً على تخمين شخصي ما لوش أي أساس من الصحة.

- بس إنت قلت إن دا احتمال كبير.

- وهل الاحتمالية دي تخليكِ تستعدي إنك تتهميها بإنها بتضيع وقتها؟ مش يمكن إنتِ اللي مش حاسة بالانتماء فقررتِ تعتبري اللي أهلك بيعملوه مجهود زيادة؟ مش يمكن هي مش حاسة أصلًا إنهم مهتمين بيكِ أكتر، ويمكن كمان هي بتشجعهم يهتموا بيكِ علشان هي كمان عايزاكِ تكوني مرتاحة؟

- أنا اتلخبطت، يعني إيه؟

- فاكرة لما سألتيني هيحصل إيه لو اتعرفت على نفسي وما حبتهاش؟

تذكرت سؤالها المرة السابقة وتنهدت وهي تخشى بقية الحديث، وأمأت برأسها نعم.

- ما حدش بيحب نفسه لما يتعرف عليها، بس بنتعلم نتقبلها ونسامحها.

- يعني كلنا وحشين؟

- أنا ما قلتش كدا.

- طب ليه ما بنحبش نفسنا؟

- علشان إحنا عايشين جوانا وما فيش سبيل للأعذار، لو حد قدامك غلط فيكِ أو زعق أو قصر معاكِ مهما كان الشخص دا قريب منك وتعرفيه كويس جدًّا لدرجة إن

المستخبي عنك منه عشرين في المية بس، دا بيديكِ مساحة تسامحيه أو تعذريه.

ـ طب ما أنا كدا الأحسن ما أتعرفش على نفسي وأسيب مساحة كاملة للأعذار علشان أحبني.

ـ غلط، لإنك هتتحولي لشخص صعب مع الوقت، وبيظهر عيوبه لأنه مش عارفها بس شايف إن الأحسن أغلط وأعتذر بدل ما أطور من نفسي أصلًا.

ـ وإيه الصح؟

ـ الصح إني أتعرف على نفسي أولًا وأفهمها وأفهم عيوبها واللي منهم محتاج يتغير واللي أنا كويس بيه كدا، وأبدأ أتعلم أعذرها وأتقبلها وأبص لنفسي على إني إنسان يستحق الراحة والحب والأعذار زيي زي أي حد.

ـ بس دا هياخد وقت طويل أوي.

ـ الوقت اللي مش هتستثمريه في نفسك هيستثمر نفسه في غيرك وهيبقى مجهود وعمر ضايعين في الهوا.

مد يده بالورقة تجاهها وسلمها إليها لتقرأها:

«أنت غير مسؤول عن إصلاح من حولك، فإن مواجهة الناس أسهل مما تتوقع، ولكن ماذا عن مواجهة نفسك؟

لا يمكن البدء في مساعدة الناس إلا إذا ساعدت نفسك أولًا، فإما أن تبدأ بنفسك أو يحل الخراب متى وطأت قدميك ظنًا منك بأنك تساعد الجميع وأنت لا تضيف إلى حياتهم سوى الأذى. لا خطر على الإنسان أكبر من شخصٍ لا يفهم نفسه، فيُسقط عليك أخطاءه ويلومك على عيوبه.

إن مواجهة نفسك ستكون من أصعب ما اضطررت يومًا إلى فعله، فاعترافك لنفسك بأنك لا تعلم هذا الشخص الذي قضيت في جسده عمرًا كاملًا أمرٌ صعبٌ جدًّا، ولذلك فإن وجدت الشجاعة للاعتراف لذاتك بأنك لا تعرفها قد بدأت أول الطريق.

سامح نفسك على أخطائها من قبل، فقد يتغير الكثير بداخلك في ليلةٍ وضحاها.

تقبل عيبوك التي لا يمكنك التخلص منها، وحد من ظهورها، واعترف بوجودها، فإن ظهرت علنًا اعتذرت عنها بصدرٍ رحب.

لا تقسُ على من يتعلم، ولذلك لا تقسُ على نفسك.

علمك بأنك تحاول يكفي لتحب نفسك، فإن كنت لا تحبها فلن تحاول من أجلها.

في بداية الرحلة عليك أن تصب تركيزك معك أولًا.. وتذكر دائمًا.. لا يمكنك إنقاذ من لا يعلم بأنه يغرق، يكفيك تنبيهه بوجود قارب نجاة، فإن أنقذ نفسه خيرًا له وإن حاولت إنقاذه أغرقك معه.

لا تحاول فهم حياة الآخرين إن كنت غير مستعدٍ لتقبلهم.

لن تفهم شخصًا أكثر من نفسه، فلا تحاول إرغامه على تقبل تحليلك الشخصي.

وأخيرًا إن شغلت نفسك بها شغلتك عن العالم كله، وفي تطورك المستمر نجاحٌ لا حدود له».

وضعت الورقة بجانبها وتنهدت بهدوء، الكثير من المعلومات والوصايا دفعة واحدة، تشعر بأنها بدأت ولكنها لا تعلم أي شيءٍ علم

اليقين، فكل هذه الأشياء جديدة عليها جدًّا، تريد التأكد ولذلك نظرت له بهدوءٍ وقالت:

- أنا اعترفت لنفسي إني ما أعرفهاش.
- إنتِ بدأتِ تغيري من نفسك من أول مرة واجهتِ فيها أفكارك.

ابتسمت وهي تتطلع بالورقة مرة أخرى وتفكر كيف تبدأ، إن طريق التعرف على الذات ممتع ولكنه غامض فلا تعلم كيف تبدأ؟ ومن أين؟

نظرت إليه سريعًا وقالت بابتسامة كبيرة:

- على فكرة أنا باحب اللون الأحمر، وباحب الأزرق علشان بابا بيحبه، وبالنسبة للأسود هو حلو عليا بس أنا ما باحبش الغوامق.
- وأنا باحب واحدة بتحب اللون الأحمر، وباباها بيحب اللون الأزرق، وهي حلوة في الفواتح.

ارتبكت وبدأت وجنتاها في الاحمرار قليلًا، فأكمل قائلًا وهو يشير إلى وجهها:

- لأ اللون الأحمر حلو عليكِ فعلًا.
- إنت بتقول الحاجات دي إزاي؟
- أنا بقول اللي باحسه.
- أنا مش باعرف أقول اللي باحسه.

جلس بجانبها وأمسك يدها وقال بهدوء:

- كله بالمحاولة والتعود.

تركت يدها بيده وهي تشعر بالخوف، ولكنها لا تريد أن تترك يده، لعله غير منطقي ولكنها تعلم أنها تريد أن تستمر به الآن. جلسا في صمتٍ لبعض الوقت، وقبل أن ترحل أخرج ورقة أخرى من جيبه وقال مبتسمًا:

- دا بقى الواجب بتاع النهاردا.

مدت يدها لتلتقط منه الورقة ولامست كف يده عن قصد، فسحب يده بعيدًا ونظر إليها بعينين ثاقبتين قائلًا:

- لأ أنا بتكسف.

شيءٌ ما بداخلها كان يدفعها للتصرف بحذر وهي تسأل بالمكتبة عن الكتب التي قد تحتوي على معلومات دقيقة عن المصل والجرعات المطلوبة وما يجب أن يحذر منه الشخص. لم تتحدث بشغف ولا اهتمام وهي تسأل عما تريد، فقط كتبت أسئلة عامة جدًّا وبديهية في قطعة ورقة وأعطتها لعاملة المكتبة وهي تسأل بكل هدوء: «**إيه الكتب اللي ممكن ألاقي فيها معلومات عن الأسئلة دي؟**».

التقطت منها العاملة الورقة وبدأت تتفحصها، فقالت حليمة بنفس النبرة والهدوء: «**ولو عندك حاجة تنصحيني بيها للتدريب بتاع مدرسين التاريخ كمان يا ريت**». وكأنها تبرر السبب وراء كل هذا البحث، أمسكت العاملة قلمها وبدأت بكتابة أرقام أرفف وملفات يمكن أن تجد بها كل ما تريد.

- تقدري تدوري على الكتاب نفسه في أرقام الأرفف دي، ولو حابة بحث إلكتروني دي أرقام الملفات.

التقطت منها الورقة وهي تذهب إلى الأرفف بلا تفكير وتبحث عن أول كتاب في قائمة أسئلتها «**مثلث الخطر**»، وجدت كتابًا يتحدث عن أهمية التخلص من المشاعر والبعد عنها، وقصص بعض السكان الجدد لمدينتهم حين قدموا من المخيمات بعد الحروب وهم يقصون رحلتهم في البعد عن القلق والخوف والتفكير بلا سبب وما كان يفعله البشر في بعضهم البعض قديمًا؛ جعلتها القصص تكره المشاعر أكثر وأكثر وتريد أن تفهم أكثر.

«**كان بيننا العديد من الناس يعانون بشكلٍ ملحوظ من فرط الافتراضات الغير منطقية، وكانوا سببًا في بث الكراهية من حولنا. كان الجميع يبرر تصرفاته البشعة والأنانية بمشاعره، وكانت جميع العقول مذبذبة إلا من رحم ربي**».

استوقفها هذا المقال عن لسان إحدى ناجيات الحرب من عمر والديها وهي تقص قصتها مع زوجها السابق الذي صُنف من المُبالغين وتم فصلهم في مجموعتين مختلفتين حين تم نقلهم من المخيم: «**حين علمت بأننا سيتم نقلنا على حدة في مجموعتين مختلفتين لم أشأ تغيير الأمر مطلقًا، ورغم إلحاحه الشديد بلا مبرر بأنه وجب عليّ تغيير مجموعتي إلى مجموعته إلا أنني رفضت؛ فقد كنت أتطوق لقضاء بعض الوقت بعيدًا عن عصبيته المفرطة وصوته الحاد وكلماته الجارحة بلا هدف، من منا لم يكن خائفًا؟ ولكن لم عليه التصرف هكذا؟! وحين وصلت إلى مجموعتي شعرت بالانتماء فورًا، لقد وجدت من يشبهونني وقد كنت بدأت أشعر بأنني الغريبة من قبل**».

جلست تقرأ جميع الرسائل حتى استوقفها وصف الكاتب لما يصاب به الإنسان من المرض القبيح!! اتصنفت المشاعر بأنها أقبح الأمراض الآن، ورغم استرسال الجميع في الشكوى من المشاعر وتأثيرها على حياتهم قبلًا إلا أنه لا يوجد سطر واحد يفسر سبب إصابتك به من الأساس. جلست تتفحص وتقرأ هنا وهناك حتى وصلت إلى كتابها الرابع ولكنها ما زالت لا تفهم، بداخلها شيء ما لم يكتفِ وكأنه لا توجد إجابات في هذه الكتب، فقط أشياء ومعلومات تضيف إلى حيرتك حيرة. تركت الكتاب من يدها وذهبت لتجلب هذا الذي يتحدث عن مثلث الخطر فهي لم تصل له من الأساس، يبدو أن هذا البحث سيكون أطول مما توقعت.

أحضرت هذا الكتاب الذي يُدعى «**نظم الزواج المتكامل**» لترى كيف تم تنسيق الزواج منذ بداية المدينة، لقد فاز بعض الأزواج بالبقاء معًا مثل والديها وقد تفرق البعض الآخر، وللحفاظ على نظام زواجي متكامل وصحي يفضل أن تختبر ثلاث مشاعر رئيسية حتى لا تزيد إحداهن عن الطبيعي، الحب والأمان والاحتياج، فإن أحببت أحدهم أكثر مما يحبك ستفعل له ما لن يفعله لك، مما سيجعلك تبذل جهدًا أكثر فتحصل على أقل مما تعطي، فتبدأ الخلافات بينكما على ما هو واضح وضوح الشمس لك ولكنه محض خرافات له، وإن شعرت بالأمان أصبحت على سجيتك المطلقة، فتكف عن المحاولة لتطور من نفسك، فتصبح الحياة اعتيادية مملة مما يدفعكما للبحث عن شيءٍ جديد يبهركما للمحاولة من جديد، وأخيرًا إن أفرطت في الاحتياج أكثرت من الاعتماد عليه في كل شيءٍ؛ فتجرد نفسك من

كونك فردًا كاملًا يمكنه العيش وحده سعيدًا دون أحد، وأصبحت لا تسعد في نشاطاتك الفردية مما يدفعك لإثقال العبء على الطرف الآخر، فتحمله ما لا يخصه وتجعله يحيا لشخصين، ولهذا قد صممت المدينة اختبارًا محكمًا ليقيس درجة منطقية هؤلاء المشاعر حتى تحظى بعلاقة صحية متكاملة.

كان الحديث منطقيًا ولكنه كان عبارة عن بعض التعليمات الصارمة بلا توضيح عن ماهية الاختبار وكيف يتم الفحص وكيف لشخص أن يحدد درجة مشاعره، كل الإجابات ما هي إلا تعليمات محكمة بلا تفسيرات أو توضيح لما يحدث بداخل المبنى العظيم، لا يوجد كتاب واحد يفسر لنا مكونات المصل ولا الجرعات المناسبة، يخبرك العاملون بالمبنى بتعليمات ولا تشكك أبدًا في مصداقيتها، ولكن أين الإجابات الواضحة؟ لماذا نصاب بالمشاعر؟ وما هي الواقية النهائية منها دون أن نحظى بتعليمات عما لا يجب أن نفعله؟

مرت عليهم سبعة أيام في الطريق على جانبيهم بقايا العالم المُدمر، فلم تعد تستطيع تمييز ما تبقى منه، الوضع الحالي لا يُبشر بالخير وقد يجعلك هذا الخراب تظن بأن البشرية لن تنجو أبدًا. تسير العربات خلف بعضها البعض، واجهوا بعض الصعاب وبعض الحيوانات الجائعة التي تبحث عن فرصة للبقاء مثلهم تمامًا، فلم يعد بإمكانهم لومها على غريزتها، بعد رحلة مرت وكأنها سنوات رأى طارق على مرمى البصر خيمًا كثيرة متلاصقة، وبعض الأشجار وملامح الحياة، نظر الجميع صوب العمار الماثل في وسط اللاشيء

يتطلعون للاسترخاء أخيرًا. وقف الجميع صفوفًا بانتظار أرقامهم وتوزيع الخيم على أصحابها، وتتناثر الأحاديث حولهم بأنه مكان مؤقت، والبعض الآخر يكاد يجزم أنه مكانهم الأخير وسوف يبدأون حياة جديدة هنا. سار الأصدقاء سويًّا نحو مستقبلٍ مجهول تمامًا وأعين ليلى وطارق تتفحص المكان خوفًا حتى سمعا رجلًا يسأل بهدوء: «**هي عربات المجموعة الأولى اتحركت قبلنا ولسا ما وصلتش ليه؟**» تلاقت أعينهما سويًّا واشتدت قبضة طارق على يد صغيره في قلق.. أين ذهبت المجموعة الأولى؟

سكن الجميع إلى خيامهم وعادت الحياة كما كانت في المعسكر السابق، وبدأ الارتياح يتسلل إلى سليم نوعًا ما، أما ليلى فقد تملكها الذعر وهي تحاول بكل قوتها استراق السمع من أي شخصٍ يتحدث عما حدث للمجموعة الأولى ولكن بلا جدوى.

- يمكن هم اللي ماتوا؟

قطع طارق تركيزها حين سألها هذ السؤال وهي تجلس أمام الخيمة وحدها وصغيرتها على يدها نائمة.

- وإيه يمنعهم إنهم يضمونا على اللي هيموتوا؟ المنطق بيقول لو فيه ناس هيخلصوا منهم يزودوهم مش يشيلوا منهم؟
- مش عايز أفكر بتشاؤم.
- تشاؤم!! لو المجموعة الأولى هي اللي هتموت يبقى أنا كان مكتوب لي أموت معاهم، كانوا عايزين يموتوني وعايزنكم عايشين ليه؟ ولو العكس ليه برضه؟ بناءً على إيه؟!

- ليلى أنا خايف زيي زيك، تعالي نهرب من المعسكر دا ونرجع زي الأول!
- يا ريت يا طارق، أنا غلطانة إني رفضت الفكرة دي من الأول.. بس برضه أنا حاسة إننا كدا كدا هنموت، بس الأهون لو يبقى دلوقتي!! أنا بموت كل يوم حرفيًا.
- خلاص، تعالي نقول لهم اللي سمعناه ونقرر سوا.
- مش قادرة أواجهم.
- ما فيش وقت نخاف.

تحركت ليلى إلى داخل الخيمة لتضع صغيرتها وتطلب من سليم الانضمام إليهم في الخيمة الأخرى. وقف سليم متعجبًا من نبرة ليلى وهي تطلب منه الذهاب إلى خيمة طارق وكأن صديقه قد أصابه مكروه. سبقها بخطوات وفتح الخيمة دون استئذان ليعتذر فور إدراكه أن كل شيءٍ على ما يرام وأن ما فعله لم يكن صحيحًا، ولكن قلبه قد هدأ قليلًا حين وجد أربعتهم بخير.

- فيه إيه يا ليلى؟ ليه جينا هنا؟
- اقعد بس، فيه حاجة أنا وطارق عايزين نقول لكم عليها.

جلس سليم بجوراها وأمامه صديقه وزوجته وبدأ الاثنان يقصان عليهما ما سمعاه حين ذهبا لتغيير رقم مجموعة ليلى، وما سمعاه من حديثٍ يتناقل في المخيم عن عدم وصول المجموعة الأولى حتى الآن. أثار ما قالاه غضب فريدة وبشدة وهي تلومهما على إخفاء أمر بهذه الأهمية عنهما، فكيف لهما أن يتخذا القرار بالنيابة عنهما؟! أليسوا جميعًا بهذا الموقف سويًّا؟!

ـ أنا بس ما كُنتش حابب أقلقك.

قالها طارق وهو ينظر للأرض فلا مبرر لما أخفاه هو وليلى ولكنه ما حدث، هنا تحدث سليم قائلًا:

ـ استني يا فريدة، اللي حصل حصل، أنا بقى عايز أفهم بتقولوا ليه دلوقتي؟!

أبعدت ليلى عينيها عن عيني زوجها حتى لا ترى نظرة اللوم في عينيه، فقال طارق موضحًا:

ـ دلوقتي فيه مجموعة من الاتنين هيحصل لها حاجة، أنهي مجموعة وإيه هي الحاجة ما حدش يعرف.

ـ وبعدين؟ ما دا اللي إنتم كنتوا عارفينه من البداية يا طارق!

ـ لأ يا سليم، إحنا كنا شاكين إن فيه حاجة هتحصل والأحسن نكون سوا، بس دلوقتي إحنا اتأكدنا إن فيه حاجة حصلت ليهم أو هتحصل لينا.

ـ والمطلوب؟

ـ نشوف هنعمل إيه.

وقفت فريدة وهي تصيح بهما:

ـ لأ ونشوف ليه؟ خد ليلى واطلعوا حددوا مصيرنا كلنا برة مع بعض.

وقف طارق ليلحق بها ويمسك ذراعها وهو يعتذر بشدة، وقد كان الندم واضحًا على عينيه، ولكنه فعل ما كان يظنه صوابًا.

- لأ، مش مسمحاك يا طارق ولا إنتِ يا ليلى، لو كان ولادي ماتوا؟! لو كان حد حصل له حاجة!!
- ما حدش حصل له حاجة يا حبيبتي والحمد لله.
- وعايزنا نعمل إيه دلوقتي؟!
- نهرب.

وضعت يدها على رأسها وهي تقول غير مصدقة.

- طب ما كان من الأول من ساعة ما كنا هناك، كان منطقي أكتر.

هنا تدخل سليم وقال بعتابٍ واضح:

- لو كان لينا مشاركة في الرأي كنا هربنا ساعة ما كانوا هيمشوا ومش هيعرفوا يجيبونا، إنما بعد ما جينا جمبهم نهرب؟

نظر إلى عيني صديقه وأكمل مستفهمًا:

- نهرب إزاي بتلت عيال صغيرين ونلحق نبعد مسافة كافية عن مكان ما هم مستقرين؟ مش كان أنسب نهرب من العربية أو من المخيم القديم؟
- أنا آسفة.

قالتها ليلى وهي تدرك المنطق في حديث زوجها وما أفسداه هي وطارق عليهم من فرص.

- الناس دي أكيد بتاخد أوامر أو بيوصل لها كلام من العالمة المجنونة بتاعتهم دي.

تطلع الجميع إلى سليم وهي يتحدث، ولكن لم يفهم أي منهم قصده، فسأل طارق:

- قصدك إيه؟

- لازم حد فينا يدخل يعرف الناس دي مين؟ وعايزين إيه؟ ومصيرنا هنا إيه؟

اتسعت عينا فريدة وهي تسأل بذعر:

- وسط كل الظباط ولا العساكر دول! في خيمة القائد اللي ما بيقولش كلمة من غير حساب!

- أومال هنعرف إزاي إحنا اللي علينا الدور فنهرب ولا إحنا في أمان فنكمل؟

حركت ليلى رأسها رافضةً رفضًا قطعيًا لما يقترحه زوجها وهي تقول:

- دي مجازفة كبيرة جدًّا، كبيرة أوي يا سليم لأ.

- كدا كدا هنجازف.

أسندت فريدة رأسها على يدها وهي تسأل:

- ومين فينا اللي هيروح؟!

- كلنا كنا عارفين إنها مسألة وقت وأنا وسليم هنعرض حياتنا كلها للخطر علشان إنتم تكملوا.

قالها طارق وكأن القرار قد تم اتخاذه بالفعل، فأجابت ليلى مسرعة:

- لأ وألف لأ، ما إنتم لو حصل لكم حاجة إحنا مش هنكمل.

أسكتهم سليم بكل هدوءٍ وقال مستفهمًا:

- وليه لازم ندخل بغشومية معاهم؟! ليه ما نلعبهاش بذكاء؟

نظر إليه طارق متعجبًا وسأل:

- يعني إيه؟!

- لو أنا أو إنت هيتشك فينا وهنتمسك وهمّ هياخدوا في الرجلين، طب ليه ما نفكرش في خطة بذكاء نعرف بيها أي حاجة من غير ما نتكشف، ولو اتكشفنا ما يتمسكش علينا حاجة.

- إزاي؟

أشار سليم باتجاه كريم ليكون هو الإجابة عن سؤال طارق، فصاحت فريدة دون وعي:

- ابني!! يعني ما أبعتش جوزي الكبير اللي بيفهم فأبعت العيل اللي عنده ١٢ سنة!!

- اسمعوني، ممكن؟

جلس الجميع لينصت إلى خطة سليم بتركيز، لم تنل الخطة رضاهم التام، ولكنها كانت الحل الأسلم بكل الأحوال.

- يعني متفقين؟

سألهم سليم بعدما تناقشوا كثيرًا، فأجاب الجميع بالموافقة، ثم انفض اجتماعهم ليستعدوا للتنفيذ.

جلست في غرفتها تستعيد كل ما حدث بينهما، لا تعلم لم تستمتع إلى هذا الحد رغم توقفها عن المصل منذ فترة ليست بقليلة الآن؟ تجد نفسها متشوقة دائمًا لمعرفة المزيد عن نفسها والغوص في أعماقها حتى تعرف كل ما ظنت يومًا بأنها تعرفه، جلست على مكتبها وهي تعيد قراءة الورقة وتحاول إبعاد عقلها عن مساعدة حليمة بأي شكل. جلست تتمتم الكلمات في ذهنها: «**أنت غير مسؤول عن إصلاح من حولك**»، «**لا يمكن البدء في مساعدة الناس إلا إذا ساعدت نفسك أولًا**».

عليها أن تبدأ بنفسها ثم تحاول فيما بعد مساعدة من يريد المساعدة. جمعت الأوراق بداخل كتاب «**معجزة سديم**» ثم أمسكت بالفرض المنزلي الذي سلمها إياه وابتسمت بخجل حين تذكرت نفسها وهي تحاول لمس كف يده كما يفعل. كيف لشخص واحد أن يملك كل هذا التأثير عليك؟! فتحت الورقة لتتبين أمرها فوجدتها على هيئة أسئلة وقد ترك لها مكانًا للإجابات أسفل كل سؤال؛ سؤال يطلب منها أن تحدد عيوبها من وجهة نظرها، ويليه سؤال يطلب منها أن تختار عيبًا واحدًا منهم تود تغييره: «**إذا كان بإمكانك تغيير عيبٍ واحد من عيوبك ما الذي ستختارين؟**».

كانت على وشك البدء في الإجابة ولكن فضولها دفعها لإكمال الأسئلة أولًا لتجده يسألها عن مميزاتها ثم مخاوفها، ومن بعدهما يسألها هل حقًّا تحب نفسها؟ تابعت القراءة حتى وصلت لسؤاله الأخير: «**من هو الشخص الذي تتمنين أن تصبحي مثله؟ ولماذا؟**»، تطلعت بالورقة قليلًا ثم أمسكت بقلمها الرصاص وبدأت

بكتابة عيوبها: تفرط في القلق دائمًا، منعدمة الثقة بالذات، تفكر كثيرًا، تخشى التحدث بطلاقة، تخفي طبيعتها عن الناس دائمًا خوفًا من ألا يحبوها، منعزلة بعض الشيء، وأضافت أكثر مما طُلب منها لفرحتها بأنها تستطيع الإجابة وتجد الكثير بعقلها حاضرًا للإجابة عن هذا السؤال، ثم انتقلت إلى السؤال التالي وتطلعت إلى عيوبها الكثيرة جدًّا لتختار منهن واحدًا ودت فعلًا لو اختفى، فاختارت أن تتخلص من خوفها للظهور بطبيعتها الحقيقية والتحدث عما يدور بذهنها دون الخوف من أحد.

بدأ الحماس يتسلل إلى جسدها وهي تسترسل في الإجابة وتجد أنها تحرز تقدمًا، ثم ذهبت للسؤال التالي: «**ما هي مميزاتك؟**»، فكرت قليلًا ثم أجابت: صادقة، تتحلى بالصبر على الآخرين، وبدأت تجد صعوبة في تحديد أي صفات جيدة أخرى تتمتع بها وكأنها لا تملك أيًّا منهن. لقد أضافت خانات للإجابة فوق الخانات المتروكة لها في سؤال العيوب ولكن لماذا يعد إيجاد مميزات لنفسها أمرًا بهذه الصعوبة؟ ألا تملك مميزات؟ ألهذا لا تثق بنفسها ولا تتعامل بطبيعتها مع الناس لأنهم لن يحبوها بالفعل؟! فهي لا تملك من المميزات قدر ما يملكه أي شخص آخر.

بدأت تتنفس بصعوبة وتتذكر حديثه معها عن أننا قد نكره أنفسنا أو نجد أنها لا تستحق الحب في طريق التعرف عليها، ولكن ليس لدرجة أن تكتشف أنك لا تملك أي مميزات وتملك العديد والعديد من العيوب وأن تعترف أنت بهذا!! بدأ الاستياء يتملكها، فأمسكت هاتفها وضغطت زر الاتصال على رقمه.

ـ بالسرعة دي؟
ـ ممكن أعرف الواجب السخيف دا سببه إيه؟
ـ لحقتِ تتضايقي؟
ـ ممكن ترد!
ـ ما لقيتيش في نفسك مميزات؟
ـ
ـ دا اللي زعلك؟

حاولت التحكم في أنفاسها لكن القلق قد تملك منها كليًا:

ـ أيوة، ما لقيتش غير اتنين، هو للدرجة دي ما فيش فيَّا ولا ميزة؟
ـ ليه ولا ميزة؟ ما إنتِ عندك اتنين أهو.
ـ يا سلام! ميزتين وتسع عيوب!
ـ أنا كنت طالب ست عيوب بس.

ارتبكت قليلًا وهي تعاتب نفسها على غبائها في إضافةِ عيوبٍ لم تكن مطلوبة من الأساس، وكأنها فرحة بوجود كل هذه الصفاتٌ السيئة بها.

ـ عامةً أنا كنت عارف إن دا هيحصل.
ـ يعني إنت عارف إن مميزاتي أقل كتير من عيوبي؟
ـ لأ أنا عارف إن طبيعي إنك تكتبي عيوب كتير ومميزات قليلة، إنتِ كدا طبيعية بس مش أوي يعني، محتاجة تحبي نفسك أكتر.

- يعني إيه؟
- بصي يا تيماء الإنسان بيستسهل ينتقد نفسه ويطلّع فيها العيوب كلها اللي فيه واللي مش فيه، واللي هو فاكر إنها موجودة عنده واللي أي حد قال له عليها مرة صدفة قبل كدا، بس بيجي عند المميزات وبيحس إنه مش كدا، فيبدأ يشوف مميزات قليلة جدًّا في نفسه، وفيه مميزات هو شايفها فعلًا بس بيحس إن لأ مش حقيقي، يمكن أنا بس اللي شايف كدا، ودا أحسن ما تكتبي مميزات أكتر، دي مشكلة تانية.
- يعني أنا عندي مميزات؟
- مش عارف، تعالي نشوف إنتِ كتبتِ إيه؟
- كتبت إني صادقة مع الناس وعندي صبر.
- إنتِ مش شجاعة؟

أجابت بالنفي دون تفكير، فتعجّب من ردها سائلًا:

- إنتِ شايفة إنتِ بتعملي إيه أو عملتِ إيه؟
- إيه؟
- إنتِ خالفتِ قواعد وحياة كاملة كنتِ متربية عليها في سبيل إنك تعرفي بنفسك إيه الصح وإيه الغلط، دا مش بيحتاج إنك تكوني شجاعة جدًّا علشان تاخدي الخطوة دي؟

ابتسمت وهي تُفكر في كلامه فأكمل حديثه سائلًا:

- إنتِ مش حنينة؟ مش بتفضّلي الناس على نفسك؟ مش بتخافي تزعلي حد؟ مش بتراعي مشاعر الناس؟!

- كل دا؟
- آه كل دا، حنينة جدًّا على أخواتك وأهلك وبتفضليهم على نفسك لدرجة إنك أول حاجة لاحظتيها في نفسك فكرتِ لحليمة معاكِ وزعلتِ جدًّا من جواكِ إنها ممكن تكون حاسة إنها مش باينة في وجودك بالنسبة لأهلك، وكل دي تُعتبر مراعاة لمشاعر الناس، حتى اللي مش عارف منهم إنه عنده مشاعر أصلًا.
- هو إنت ليه بتخليني أعمل الواجب دا لوحدي لو أنا هحتاج لك وأنا بعمله؟

سكت قليلًا ثم قال مداعبًا:

- أولًا علشان تكلميني في التليفون علشان بتوحشيني، ثانيًا لأن السؤال لازم يجي من جواكِ علشان إجابته تفرق معاكِ وما تنسيهاش.

ابتسمت كما تفعل كلما غازلها وهي تشعر من داخلها بشيءٍ مختلف تمامًا وتود لو تقوى على مغازلته هي الأخرى، ولكن كما قال فكل شيءٍ يأتي بالاعتياد عليه. أكملت محادثته للمزيد من الوقت ثم ذهبت لفراشها لتنام، لقد كان يومًا مليئًا بالتفكير والمشاعر.

أكملت واجبها في اليوم التالي بكل تركيزٍ وهي تحاول فهم ما وراء كل سؤال.

ما هي أكبر مخاوفك وهل تحبين نفسك؟ للمرء مخاوف عديدة تبدأ من فراق شخص عزيز عليه أو مستقبل مجهول قادم

ولا يعلم عنه شيئًا، ولكن ما الذي نخاف منه بداخلنا؟ هذا هو السؤال الأهم، ما الذي تخاف منه في نفسك؟ أما عنها فقد كانت تخشى أن يقضي قلقها الدائم على استمتاعها بالحياة، منذ اللحظةِ الأولى وهنالك ما تخشاه وتفكر فيه كثيرًا ولم يحدث مرة أن ثبتت مخاوفها، وحتى حين يحدث ما هو مشابه لما توقعته يكون أقل وطأً مما رسمته لها مخيلتها، فلماذا تقلق دائمًا؟ كتبت بجانب السؤال إجابتها وكرهها الكبير للقلق الدائم بلا سبب وكأنه ليس من حقها أن تتمتع بالحياة كبقية البشر، أما عن حبها لنفسها فقد ترددت قليلًا ولكنها أجابت بالتأكيد فهي لا تجدها شخصًا سيئًا أو شريرًا فلماذا تكرهها؟! وأخيرًا وصلت إلى الشخص الذي تتمنى لو كانت مثله، فكتبت بلا تردد: حليمة.

في هذه الأثناء عادت حليمة لليوم الثاني على التوالي من المكتبة وقلبها مُثقل بالهموم من زيادة أسئلتها كلما بحثت عن إجابات وبيدها تحمل ثلاثة كتب استعارتهم من المكتبة، اثنان لا دخل لهما بالأمر، والآخر هو ما تريد إكماله وكأنها تُخفي آثار بحثها دون وعي منها، ولكن قلة الإجابات جعلتها تخشى المجازفة.

جلست على المكتب في غرفتها تتطلع إلى الكتب وهي تضيف إلى ورقتها الأسئلة الجديدة ليزيد البحث تعقيدًا.. أمسكت هاتفها لتجد مكالمات فائته من ياسر خطيبها، لقد انشغلت عنه كثيرًا مؤخرًا دون إبداء أسباب:

- ألو.

- ياه، أخيرًا فضيتِ!

ـ معلش، الشغل والتدريب دول مضيعين نص وقتي في المذاكرة.

ـ ولا يهمك، أنا بس كنت عايز أطمن عليكِ وكنا عايزين ننزل سوا.

ـ أكيد، قريب.

ـ إنتِ مشغولة ولّا حاجة أكلمك وقت تاني؟

لم تكن في مزاجها المعتاد، ولكن سؤاله قد أثار بداخلها فضولًا غريبًا:

ـ هو إنت هتعمل إيه لو كنت مكان جوز طنط سميرة؟

ـ إيه؟

استجمعت قواها وسألت مرةً أخرى وهي تخشى الإجابة وبشدة:

ـ هتعمل إيه لو كنت مكان عمو ممدوح لما عرف إن طنط سميرة حصل لها خلل في توازن مشاعرها؟

ـ هاوديها المبنى العظيم يزودوا لها الجرعة علشان التوازن يرجع.

ـ طب ولو كان الخلل كبير شوية زي حالتها!

ـ أكيد له حل عندهم، همّ يعرفوا أكتر.

ـ وهتكمل لحد ما تخف؟

ـ على حسب التعليمات، هاعرف إيه اتقال ساعتها وأعمله.

بدأت تتوتر قليلًا من إجاباته المنطقية رغم أنها تعلم أنه لم يُخطئ في إجابة واحدة، ولكنها لم تكن الإجابة المرغوبة.

- يعني لو قالوا لك تسيبني في عزل في بيتنا وإنه هيطوّل والأفضل ننفصل.
- هاعمل زي ما همّ شايفين، أكيد دا هيكون أحسن ليا وليكِ.

توقفت عن الكلام وهي ترى صورة سميرة أمام عينيها وحيدة في منزلها تتملك منها المشاعر شيئًا فشيئًا وقلبها مثقل بأسئلة مثلها تمامًا، هل وجود العديد من الأسئلة يعني إصابتك بالمشاعر؟ صمتت وبعقلها تفكر: لم تكن إجابتك مرضية بشكلٍ كافٍ يا ياسر، كانت منطقية ولكنها ليست عادلة.

- حاجة تزعل حقيقي، بس دا الأحسن.

أجابته وهي تحاول التظاهر بالمنطقية مثله.

- ليه بتسألي؟
- لأ ما فيش، كنت بس بأفكر في طنط سميرة وصعبت عليا أوي إنها قاعدة لوحدها خالص كدا.
- كلها كلم يوم وهتخف وتبقى زي الفل، ما فيش حاجة تقلق طول ما إنتِ مواظبة على المصل.

رفعت عينيها تلقائيًا لتتأمل المصل الخاص بها الماثل أمامها بجانب المرآة:

- هو المصل دا بيتكون من إيه ولا مين بيعمله؟
- المصل بيتكون من إيه؟

- آه.
- من علاج للمشاعر ومواد بتسيطر على ظهور أي مشاعر جوانا.
- يعني العلاج من المشاعر إننا نزود المصل بس؟
- ما فيش علاج للمشاعر.
- إزاي؟ لو المصل بيسيطر على المشاعر وإحنا جالنا المرض بتاعها وأخدنا جرعات زيادة من المصل كدا هنخف؟
- ما حدش هنا جاله مرض المشاعر قبل كدا يا حليمة.
- مين قال؟
- مالك يا حليمة؟ ليه كل التفكير اللا منطقي دا؟
- ليه بتقول عليه لا منطقي؟
- علشان ليه بندور على إجابات الأسئلة الواضحة والمعروف إجابتها بالنسبة لنا؟

صعقتها الإجابة وكأنها لم تلحظ من قبل، يتعامل معهم العالم على أنهم نسخ مكررة من بعضهم البعض، نفس الإجابات لكل الأسئلة ونفس نمط الحياة للجميع، ولكن لم تكن يومًا تشبه أحدًا حتى شقيقتها تيماء، لقد كانت تيماء دائمًا ترغب بقدرٍ أكبر من الإجابات، لم تكتفِ حين علمت بأمر المدينة وتاريخها، ولم تكتفِ بكل ما يعرفه الجميع، وأرادات المزيد في حال أن أمر المدينة والمشاعر لم يشغل هذا القدر الكبير من تفكيرها هي. لم نكن أبدًا نسخًا مكررة ولا نبحث عن الإجابات بنفس الشغف،

حتى في اختيار شركاء حياتنا لا نبحث عن نفس الصفات وإن بدت للجميع متشابهة، فكيف لنا أن نعيش في مجتمع يجعلنا نسخًا مكررة متشابهة ويزعم بمعرفة حقيقتنا ونحن لا صلة بيننا على الإطلاق؟!

- ياسر أنا لازم أقوم أكمل مذاكرة علشان عندي تدريب بكرة، نتكلم بكرة بالليل؟

- خلاص تمام، أكيد المذاكرة الكتير هي اللي ملخبطاكِ كدا.

- أكيد.

أغلقت معه الهاتف وهي تُفكر في منطقية حديثه بالنسبة له، ولكن ماذا عن منطقها الجديد ونظرتها للأمور؟! أيعقل أن يصبح لكل فردٍ منا منطقه الخاص أم أن المنطق عام؟! وهل كل الإجابات مقنعة؟ وكيف لنا أن نقتنع بما لا نعرفه ونتبع نظام لا يتماشى مع طبيعتنا البشرية؟ ما هي طبيعتنا البشرية بخلاف التفكير المنطقي؟ لماذا لا نستغل عقولنا في التفكير والتطور والتميز؟ لماذا كرهت سديم التميز لهذه الدرجة حتى أرادتنا آلات تتحرك بنفس النمط لإنتاج نفس الشيء كل مرة؟! أين هي سديم الآن؟!

طرقت عليها تيماء باب الغرفة وهي تطمئن عليها قبل أن تذهب لمقابلة عمر لتفهم ما وراء الإجابات التي قضت بها ساعات من يومها وقد أخذت معها كل الأوراق السابقة لتعيد عليه الأسئلة التي لم تشعر بالرضا عن إجاباتها. ابتسمت لها حليمة وهي تحاول إخفاء قلقها وأمامها كتاب عن واجبات المعلم وطرق التدريس المطلوبة.

ـ شكلك مستمتعة بالتدريب وشغل المدرسين لايق عليكِ.

رفعت حليمة عينيها إلى شقيقتها وهي تحاول تصنع الابتسامة بعينيها وجال بخاطرها أن تسأل تيماء لعلها تعرف:

ـ هي سديم عايشة فين؟

ـ سديم!! سديم بتاعتنا؟

ـ هو فيه سديم غيرها؟

ـ نص البلد بتسمي سديم دلوقتي تيمنًا بالعالمة العظيمة جدًّا.

أخفت تيماء بعض سخريتها الواضحة في وصفها لسديم، فأجابت حليمة بهدوء:

ـ وأنا هاسأل عن عيال نص البلد ليه؟

ـ معاكِ حق، آخر حاجة كنت عرفتها لما سألت إنها عايشة في بيت في مكان ما بتابع من بعيد لبعيد الأحوال مع الأبحاث الجديدة ودورها يعتبر شرفي يعني.

ـ هي عندها كام سنة دلوقتي؟

ـ لأ كتير، سديم كبيرة أوي أكيد.

جلست تيماء على الفراش بجانبها، ثم قالت وبنبرة من يستعد ليقص حكاية مشوقة:

ـ ما حدش يعرف سن سديم بالظبط كام، وهي عمرها ما طلعت بنفسها تتكلم عن إنجازاتها، ودا خلى سيرتها فيها غموض أكتر، يعني مثلًا عندك أسطورة إن سديم لما أنقذت البشرية أخدت من عمر كل واحد أنقذته

جزء فعمرها بقى طويل، وأسطورة تانية بتقول إن من عظمة اللي سديم عملته هنا ربنا كتب لها إنها تعيش علشان تشوفه وهو بينجح وبيتطور قدامها، وطبعًا كل دا لا منطقي وهي مجرد واحدة ربنا كاتب لها تعيش كتير، وممكن يكون سنها طبيعي أصلًا بس ما حدش يعرف.

- ما حستيش قبل كدا إنك نفسك تسأليها عن حاجة؟
- أكيد حسيت، هو مين مش عايز يقابل سديم ويعرف منها الحكاية كلها؟
- على رأيك.
- عايزة مني حاجة بقى؟ أنا هاقوم أقابل عمر.

ابتسمت حليمة وهي تُغلق الكتاب الذي تصنعت قراءته حين دخلت عليها تيماء وقالت بهدوء:

- لأ عايزاكِ تتبسطي وتسلمي لي عليه.
- حاضر هاسلم لك عليه.
- عرفتِ المعلومات عن مكان سديم أو الحاجات دي منين؟
- كانوا في نهاية السيرة بتاعتها، بتاعة معجزة سديم.

لم تكن فريدة موافقة كليًا على هذه الخطة، ولكن ما باليد حيلة، فأولادها هم الأنسب لهذا الدور. خرج كريم وبيده أخيه الصغير وابتعدا عن خيمتهما في طريقهما لخيمة القائد، وعند اقترابهما انتظر الجميع بداخل خيمهم إلا فريدة؛ كانت بالخارج تجلس أمام خيمتها تنتظر، وفي اللحظة المُتفق عليها بدأت تركض

بعيدًا عن الخيمة وهي تصيح بأعلى صوتها بحثًا عن صغيرها، وبدأت تستجدي بعض الدموع في عينيها لتخرج، وهنا جاءت ليلى خلفها لتشاركها المشهد وهي تحمل نغم التي تبكي بشدة وهي تسأل بذعرٍ مُتقن:

- فيه إيه يا فريدة؟! فيه إيه؟؟

- مش لاقية ابني يا ليلى!

بدأت ليلى في الصراخ معها وتجمع الناس حولهما وهم يحاولون فهم الأمر، وبالطبع خرج طارق مفزوعًا وكأنه حقًّا لا يعلم أين صغيراه، وبدأ يصيح في فريدة كعادة الرجال:

- يعني إيه مش لاقياه؟ وفين كريم؟!!

جلست فريدة على الأرض وهي تبكي وتضرب على الرمال وتقول بذعر:

- كريم راح يدور على أخوه، كنت فكراهم بيلعبوا سوا، طلع كريم كان لوحده!! أنا عايزة ابني يا طارق.

هنا هرع سليم بخطواتٍ مسرحية من جانب الخيمة وهو يقول جملته في هذا العرض:

- أكيد ما خرجش برة المخيم يا فريدة، إحنا بس ندور عليه كلنا.

وقفت فريدة وهي تزداد مصداقية مع زيادة عدد الجمهور وبدأت في الضرب على رأسها وهي تقول بفزع:

- يا لهوي! هو ممكن يكون خرج؟! ابني راح!!

ثم بدأت تركض باتجاه الجنود الذين يقتربون منها وهي تسأل عن صغيرها ويتجمع الناس أكثر، حتى ركض سليم بعيدًا وكأنه يبحث عنه، وصاحت ليلى بطارق أن يذهب هو الآخر حتى تزيد فرصتهم في إيجاده سريعًا، وبدأت تصرخ في الجنود سائلة عن قائد المُخيم وكيف لها أن تجد الطفل، وهل يمكن أن يخرج فعلًا! جاء القائد ليستكشف أمر هذا التجمع والمشادات في المخيم ليجد ليلى وفريدة تقفان ويتجمع الناس حولهما، فأمر الجنود بإبعاد الناس وفض هذا التجمع ليستفهم منهما عن الأمر.

- فيه إيه؟

تصنعت فريدة محاولة التقاط أنفاسها وهي تقول:

- مش لاقية ابني، مش عارفة راح فين وبندور عليه مش لاقيينه!!
- شكله إيه وعنده كام سنة؟

تدخلت ليلى لتتحدث ليتقنا دور عدم قدرة فريدة على الحديث:

- عنده أربع سنين وشعره بني فاتح، دايمًا بيمشي مع أخوه الكبير.
- واسمه إيه؟ هاخلّي الرجالة تمشي تنده عليه في كل حتة، ما تقلقيش، هو أكيد ما خرجش.. ما حدش يعرف يخرج من هنا بسهولة.

وقعت هذه الجمله على سمعهما وقع الصخر: «**ما حدش يعرف يخرج من هنا بسهولة**»، نظرت إليه فريدة وكانت على وشك الإجابة حين فاجأها طارق وهو يركض إليهم:

- حد يدور برة المكان دا علشان نلحقه لو بعد.

انتبه الجميع إليه وهو يحاول تجميع الناس مرة أخرى ويطلب منهم البحث بالخارج، فأشار القائد للجميع بالهدوء وهو يقول لطارق:

- ما ينفعش يكون خرج صدقني، هنلاقيه في أسرع وقت، يا ريت بس تهدوا كلكم.
- عيل صغير بقاله فوق الساعة لواحده ومش لاقيينه تفتكر هيكون لسا ما حدش لاقاه من اللي واقفين أو حتى شافه؟!!
- ما تقلقش، استريحوا وأنا هاخلّي كل الجنود في المخيم يدوروا عليه.

دار حوار بينهم كبير وفريدة ما زالت تبكي وتضرب على رأسها وليلى بجانبها تحاول تهدِئة صغيرتها التي تبكي وكأنها تشاركهم المشهد الكبير، وسليم غائب عن الأنظار وكريم الآن في خيمة القائد بجانب المكتب هو وأخوه منتظرين سليم حتى يأتي إليهما ويجدهما هناك. كانت خطتهم تتضمن اختلاق عذر قوي لوجود سليم بداخل الخيمة وخلق حالة تضليل للجنود، وقد كان الحظ حليفهم فقد دخل سليم الخيمة حين كان جنود المراقبة يتابعون الصياح والتجمع بأعينهم من بعيد، وعند الخروج كان الجو هدأ كثيرًا، فأرسل كريم

أخاه الصغير من باب الخيمة الرئيسي ليصيح أحد الجنود به سائلًا عما يفعله هنا فيبدأ بالبكاء حين يجد نفسه وحده دون أخيه ولا يعرف أحد منهم. ركض إليه بعض الجنود من بعيد صائحين:

ـ هو دا الولد اللي بيدوروا عليه؟

فيجيب الآخر بأنه لا يعلم، وفي وسط الحوار يتسلل سليم للخارج بهدوء ويبدأ في الركض مبتعدًا وكأنه قادم من بعيد ويأتي مسرعًا ليصيح:

ـ الحمد لله، الحمد لله.

فيبدأ كريم بالانحناء والتسلل هو بدوره خارجًا ويأتي خلف سليم ليحتضن أخاه وهو يمسكه من يده راكضًا نحو خيمتهم وخلفه سليم والجندي الذي وجد الطفل صائحًا:

ـ لاقيناه يا قائد.

ليوضّح مجهوده المُثمر في إيجاد الطفل، ومن خلفه يأتي سليم وأمامه الشقيقين يركضان نحو أمهما. ركضت فريدة باتجاههما وقد دب الذعر في نفس الصغير حقًّا من تجمع الناس ومراقبتهم له، وصياح الجنود من حوله، فبدأ بالبكاء في حضن أمه وهي تربط على رأسه وتقبله:

ـ الحمد لله يا رب!

قالتها فريدة وهي تحتضن صغيرها، ثم وقفت وذهبت باتجاه الجندي الذي حصل على دور البطولة في مشهدهم المتواضع وهي تقبض على يديه بشدة وتشكره، فجاء طارق من خلفها وسحب كفها من كف الجندي ثم همس في أذنها:

ـ خلاص خصلنا، ما ترتجليش مشاهد تجيب لك الخناق.

أخفت فريدة ابتسامة كادت أن تتسلل إليها وهي تنظر إليه، ثم عادت وهي تعدل من هيئتها وسحبت طفليها إلى الخيمة وتبعتها ليلى وهي تبتسم في الخفاء وتحاول حمل نغم على التوقف عن البكاء، وفي خلفية المشهد كان سليم يقف مذهولًا، لا ينطق ولا يتحرك ويتابع حركة قائد المخيم مبتعدًا، عيناه ثابتتان، وقدماه لا تتقدمان خطوة واحدة، اقترب طارق نحوه بقلق وهو يسأل:

ـ سليم، إنت عرفت إيه؟

وصلت إلى مكانهما المعتاد، وجلست على الرصيف، وفرشت أمامها كل الأوراق لتتذكر أسئلتها ليكون ذهنها حاضرًا فور بدأ حديثهما. جاء عمر من خلفها يتطلع لشغفها الواضح لاستكشاف نفسها.

ـ ذاكرتِ كويس؟ هسأل.

ابتسمت وهي ترفع وجهها نحوه وقالت بهدوء وعيناها تتابعانه وهو يجلس بجانبها:

ـ الأسئلة بقت حاجة تخوف أوي.

ـ اشمعنى؟

ـ بحس إني ما عنديش الإجابة حتى لو عرفاها.

ـ طبيعي إنك كل ما تفهمي وتكبري وعقلك ينضج تاخدي وقت أكبر قبل ما تجاوبي على أي حاجة.

أعاد ترتيب الأورق من أمامها فوق بعضهم البعض وهو يكمل حديثه:

ـ لو سألتِ طفل عن الأرقام وقال لك واحد، اتنين، أربعة، تمانية هتضحكِ له وهتحسي قد إيه هو عسول وبريء كدا.

ضحكت وهي تتذكر مِهاد حين كانت تفعل شيئًا كهذا وهي طفلة وقالت:

ـ أكيد، بيبقوا سكر أوي.

ـ طب ولو سألتيني عن الأرقام وجاوبتك نفس الإجابة؟!

ـ هاقول عليك عبيط.

ـ ليه؟

ـ علشان فيه حد في سنك ما يعرفش ترتيب الأرقام!

ـ بالظبط، كل ما بتكبري غلطتك الجهل مش عذرك، ولو حد سألك سؤال واضح زي دا وقال لك الأرقام ترتيبها إيه يا تيماء هتفكري فيها في سرك الأول وبعدين تقوليها رغم إن الترتيب ما اتغيرش من زمان، بس عقلك هيفكر ويحاول يفهم أولًا المغزى من السؤال، ثانيًا يفتكر معاكِ إنك عرفاهم علشان شكلك ما يطلعش عبيط.

ـ أنا بافكر في كل حاجة حاليًا بجد، كل حاجة حتى سؤال تاكلي دلوقتي ولا كمان شوية؟

اعتدلت في جلستها لتكون أمامه وأكملت:

- زمان كنت بشوف عايزة آكل ولا لأ، دلوقتي بفكر آكل دلوقتي ولا أستنى شوية؟ لو استنيت ممكن نجمع الوجبتين في واجبة واحدة فما أتخنش، لو أكلت دلوقتي هنام كمان شوية ودا مش أحسن حاجة، وأحيانًا بتعب.. بس أنا جعانة دلوقتي، طب آكل ومش مهم أتعب ولا أستنى؟ خلاص هاستنى علشان ورايا حاجات محتاجة أخلصها، ولو أكلت ونمت وتعبت مش هكمل! ليه كل دا؟

- لأ إنتِ كبرتِ الموضوع أوي، كل دا علشان تاكلي يا تيماء؟!

اتسعت عيناها وهي تنظر إليه، فانتبه بأنها قد صدقته بالفعل:

- بهزر معاكِ.
- خضتني بجد، افتكرت فيَّا حاجة غلط.
- لا غلط ولا حاجة، في الأول ترتيب نمط التفكير الجديد بياخد وقت، لكن بعد كدا عقلك هيتعود إنه يعمله في وقت أقل بكتير.
- بجد؟
- بجد، زي أي حد بيتعلم حاجة جديدة، بناخد وقت على ما نفتكر نعملها كل مرة وبعدها بتتحول عادة، فبتحصل بمنتهى السهولة.

شعرت بالارتياح حين علمت أنه أمر طبيعي أن تُفكر كثيرًا وأن تُعطي نفسك وقتًا لاتخاذ القرار المناسب حتى لو كان أمرًا بسيطًا.

ـ فين الورقة الجديدة؟

ـ فين إجابات الواجب؟

ـ آه صحيح.

أخذت من يديه الورق وأخرجت إجاباتها وبدأت تفهم منه المعنى الخفي وراء كل سؤال، السؤال الأول عن العيوب ليجعلك تستشعر ما تريد تغييره بداخلك وكل ما تراه سيئًا من وجهة نظرك.

ـ ولكن هل هي فعلًا وجهة نظرك إنتِ؟

تطلعت به تيماء قليلًا وهي تفكر:

ـ أومال هتكون وجهة نظر مين؟ أنا اللي جاوبت.

ـ أنا عارف، بس هل كل اللي مش بتحبيه في نفسك مش بتحبيه علشان إنتِ مش مرتاحة ولّا فيه حد قال لك أو نبهك لحاجة؟

ـ مش فاهمة.

ـ بصي، رأي الشخص في نفسه مش نابع كليًّا من جواه.

أبدت اهتمامها المعتاد وهي تستمع إليه بإنصاتٍ شديد.

ـ فيه حاجات إحنا شايفينها عيوب علشان هي مصعّبة علينا حياتنا أو بتفقدنا جزء من الاستمتاع بيها، أو يمكن بتجيب لنا مشاكل كتير، وفيه عيوب الناس بتقول لنا إنها موجودة فينا أو بنحسها من انتقادهم لينا،

وفيه عيوب مش موجودة بس إحنا شايفينها في نفسنا لإننا حكمنا عليها إنها عيبونا من مرة واحدة.

ـ طب وبنعمل إيه؟

ـ في إيه؟

ـ إيه هي عيوبنا في الآخر؟

ـ عيوبنا هي الحاجة اللي إحنا شايفينها عيب فينا، لو مش شايف الغلط مش هتعرف تصلحه، فـ أولًا بنكتب عيوبنا كلها، وبعدين نشوف أنهي فيهم بتوعنا وأنهي فيهم الناس قالته، وإيه في اللي الناس قالته إحنا شايفينه فعلًا فينا، وإيه مش شايفينه.

ـ ونحاول نشوفه علشان نعرف نصلحه، صح؟

ـ نتأكد الأول منه هو فعًلا موجود فينا ولّا هو حكم غلط منهم علينا؟

ـ يعني لازم أتأكد من رأي الناس فيّا الأول؟

ـ طبعًا.

ـ طب وليه سألت بعدها عن أكتر عيب نفسي أتخلص منه؟!

ـ لأن دا بيعرفنا نقطة البداية، لو عندنا خمس عيوب نعرف منين نبدأ بإيه؟

ـ بأكتر واحد مضايقنا.

ـ ليه؟

ـ علشان هو أكتر واحد إحنا شايفينه ف هنعرف نصلحه.

- لأ دا إحنا بقينا شطار جدًّا، دا أنا اللي هاخد منك الواجب بعد كدا.

ابتسمت وتطلعت بورقة عيوبها وشعرت بقليلٍ من الارتياح بأنه قد يتضح أن بعض هذه العيوب غير موجودة علىٰ الإطلاق، ثم انتقلا إلى السؤال التالي المميزات، وقد تناقشا في هذا الأمر عبر الهاتف؛ عليها أن تبحث عن مميزاتها أكثر وأكثر مما تفعله مع الناس ومما يرونه بها، وقد أخبرها بأنها عليها أن تفعل مثلما تفعل بالعيوب، ولكن هذه المرة عليها اكتساب صفات أكثر وأفضل وتطوير الصفات الموجودة بالفعل.

- طب وأطورها ليه أو إزاي؟

- تطوير الصفة يعني إنك تحافظي عليها، تحافظي على وجودها معاكِ.

- هي ممكن تروح؟

- كل حاجة ممكن تروح، الصفة الحلوة اللي ما بنستخدمهاش كتير بتختفي من عندنا، والصفة الوحشة اللي بنستخدمها كتير بتكبر أكتر وبيكون صعب نسيطر عليها.

وهنا بدأ يشرح لها أهمية تطوير نفسها باستمرار، فلا يوجد شيء ثابت أو مسلم به في الحياة، حتى بشرتنا وشعرنا وأجسامنا إن أهملناها فقدنا ما قد ظنناه باقيًا. بدأت تفهم منه أكثر كيف لها أن تنمي الميزة.

- في البداية تبدئي تعودي عقلك إنه يعملها على الأقل مرة في الأسبوع، وكل فترة تتابعي، أنا لسا لطيفة مع الناس؟ أنا لسا بهتم؟

- طب والوحش؟

- تتابعي إنك بتتحكمي فيه شوية بشوية، ونقلل بقى فترات ظهوره لحد ما يختفي تدريجيًا، وخليكِ فاكرة ما حدش بيتخلص من عيوبه كلها، ما فيش حد ما عندوش عيوب.

- يعني أسيب شوية؟

ضحك بشدة وقال لها:

- تسيبي شوية إيه؟ هتبصي على عيبوك وتشوفي إيه موجود فيكِ مش مضايقك ومش مؤذي للناس وسيبيه في حاله عادي.

- طيب وأكبر مخاوفي؟

- أكبر مخاوفك هي نقطة ضعفك، والحاجة اللي بتخليكِ ترددي كل مرة.

نظرت إلى الورقة لتجد قلقها الزائد هو نقطة ضعفها وقد أصاب، فهي تتردد كل مرة بسبب القلق وأول ما تفكر به في كل شيءٍ هي الاحتمالات وما قد يحدث وأضراره وعواقبه، نظرت إلى السؤال التالي ولم تنطق بكلمة.

- حاسة إنك بتحبي نفسك أكتر وانتِ بتتعرفي عليها ولّا؟

نظرت إليه بترددٍ وقالت:

- مش عارفة.

- بتحبي إيه في اللي بنعمله؟

- باحب إني بفهم، باحب إني أخيرًا حسيت بانتماء أو إني طبيعية.

صمتت للحظات ثم قالت وهي تنظر إليه بهدوء:

- عمر أنا كنت عايشة حاسة إني مش طبيعية ومش زيهم، حتى لما كنت باخد المصل وبافكر زيهم وبقول كلامهم كنت حاسة إني بمثل، ما كنتش لاقية نفسي.

- ولقيتيها؟

- حاسة إني بلاقيها، يمكن لسا مش كليًا بس حاسة إني باعمل حاجة نفسي تستحقها مني، بتعرّف عليها، تخيل صدمتي لما عرفت إني كل دا ما أعرفنيش، كل دا ما اعرفش بجد أنا باحب إيه وبكره إيه وبخاف من إيه؟ ما اعرفش نقطة قوتي ولا إيه اللي ممكن أستغله في شخصيتي لمصلحتي، فاكرة الناس كلها شايفة ترددي وخوفي وما حدش أصلًا شايف دا.

تطلع إليها وهي تشاركه ما هو خاص جدًّا لكل إنسان وهي لحظاته مع نفسه.

- عمر أنا نفسي أوي أمسك ماما وحليمة وكلهم وأقول لهم تعالوا اتعرفوا عليًّا وعلى نفسكم، تعالوا اعملوا زيي.

- أنا فاهم إحساسك.

- ما حدش فيهم هيفهمني ولا هيعرفني كويس، ماما مش هتصدق إن فيه حاجة اسمها كدا علشان هي مصدقة جدًّا في نظام المدينة وسديم وكل دا. الناس كلها من حوالينا مقتنعين إنهم عارفين الصح أو إنهم القاعدة بس همّ غلط.
- ما فيش حاجة بتيجي مرة واحدة، كل إنسان بيجي عليه لحظة لازم يبدأ يعرف فيها نفسه ويحبها ويصلحها، الجبان بس اللي بيهرب من نفسه.

الجبناء هم من يهربون من التعرف على حقيقتهم ويُلقبون كل من يسلك هذا الطريق بالمجنون أو التافه أو لعله مريض بالمشاعر ولكنها الحقيقة المؤلمة، المعتدلون ليسوا معتدلين كما يظنون، بل هم مغيبون عن واقعٍ جميل قد يجعلهم يحبون حياتهم ويحبون بعضهم البعض أكثر منَ هذا، من يحب نفسه ويقدرها لا يظلمها ولا يكلفها بما لا تستطيع، من يفهم مشاعره يراعي مشاعر الآخرين، لا يجرحهم ولا يرضى لهم الأذى، فمن يعيش في سلام مع نفسه يسلم العالم منه.

- طب وآخر سؤال؟

سألته بفضولٍ كبير وهي ترى اسم حليمة في إجابتها.

- السؤال دا بقى بيعرفك إيه أكتر صفة كان نفسك تكون موجودة فيكِ علشان نبدأ بيها في المميزات اللي هنكتسبها ونطورها.

- منطقي، أنا إزاي ما ركزتش إن أكيد فيه مقابل لسؤال المخاوف؟!
- مستواكِ قل.
- مش لسا كنت شاطرة من شوية.
- الدنيا بتتغير في ثانية.

ابتسمت وهي تنظر بعيدًا وتُقرب كف يدها منه ليبادر هو بإمساكها، فاستجاب ووضع كفه فوق كفها. لم تشعر يومًا بهذا السلام الداخلي والرضا، أسندت رأسها على كتفه ونظرت أمامها وهي تقول:

- تعالى نهرب من سديم، تعالى نروح مكان بعيد ونبدأ حياة الناس فيها كلها بتحس.

دخلت حليمة إلى غرفة شقيقتها وبدأت تبحث عن كتاب معجزة سديم لعلها تجد أي معلومة تجعلها تصل إليها، تريد التحدث معها وجهًا لوجه حتى تتخلص من حيرتها. أخذت الكتاب ثم توجهت إلى غرفتها لتتفحص صفحاته سريعًا بداية من النص الشهير لملحمة المعتدلين حتى اقتربت من نصف الكتاب وكل ما هو مكتوب يثير فضولها أكثر فأكثر لمعرفة الإجابات التي تبحث عنها والتي لا مكان لها في كتب المدينة كلها، وكأن المدينة قد خضعت لنظام رقابة صارم جدًّا يمنع عنهم كل الأجوبة، أو لعلهم لا يعرفون أي إجابات.

انتقلت فورًا إلى آخر جزءٍ من الكتاب وهو المعلومات الحالية عن المدينة وعن سديم، فوجدت أنها قد تجد بعض المعلومات الحقيقية عن سديم في المبنى العظيم وأنها قد تصل إلى عمل حوارٍ معها إن كان الأمر متعلقًا بالتدوين أو التأريخ، عليها أن تصل إليها بشكلٍ ما. أعادت الكتاب إلى مكانه وتحركت فورًا إلى المبنى العظيم، طوال الطريق تفكر فيما ستقوله لها، وما الذي سيجعل سديم تجيب أسئلتها بشيءٍ مختلف عما كتب من قبل؟ عليها أن تصيغ كل الأسئلة بشكلٍ مُحكم لتصل إلى إجابات، سديم هي آخر محطاتها فلا يجب أن تُفسد هذه الفرصة إن أُتيحت لها.

ذهبت مباشرةً إلى مكتب الاستعلامات لتسأل عن المدير لقسم الأبحاث شخصيًّا وقد تعجب العامل من سؤالها، ولكنه أجابها. اتجهت بخطواتها نحو مكتبه وهي تتحدث مع عشرات الموظفين قبله وتردد إجابة واحدة: «**عايزاه بخصوص بحث مهم خاص بمنهج ابتدائي في المدرسة**». تقمصت دور المعلمة التي تريد بعض التوضيحات والإرشادات في تشكيل عقول صغارها، فمن أهم من نشء المستقبل للمدينة الجديدة؟

بعد خمس وأربعين دقيقة متواصلة من الانتظار أشار لها الموظف الماثل أمام المكتب أخيرًا بالدخول، وجدته رجلًا كبيرًا في السن بشكلٍ ملحوظ، ومن الغريب أنه ما زال يعمل لم يترك العمل للاستقرارٍ بمنزله في هذه الأيام الأخيرة. اقتربت من مكتبه قليلًا ثم قالت على استحياء:

ـ مساء الخير.

ـ مساء النور.

قالها وهو يرمقها بنظرة تعجب من فوق عدسات نظارته السميكة ويشير إليها بالجلوس.

ـ أنا حليمة عادل مدرسة ابتدائي جديدة، وكنت حابة إني أعرف بعض التوضيحات عن حاجات كتير ما لهاش إجابات في الكتب سألوني عنها الأطفال وما عرفتش أجاوب.

لم ينظر إليها وأجابها وهو يتفحص أوراقًا بيده:

ـ المكتبة الأم فيها كل الكتب اللي ممكن تحتاجيها، والتدريب بتاع المدرسين بيغطي كل المواضيع اللي ممكن يكون الأطفال عايزين يسألوا فيها.

ساد الصمت للحظات.

ـ الأطفال مبهورين كالعادة بالمدينة وتاريخنا وكل اللي سديم العظيمة عملته، كنت بافكّر لو نعمل ندوة كبيرة في المدرسة تحضر فيها سديم تتكلم مع الطلاب، هيكون شيء محفز جدًّا ليهم لسنين طويلة قدام.

أغلق الملف الذي كان يتفحصه وبدأ في تفحص هيئتها وينظر إليها ثم سأل:

ـ عايزة سديم تنزل المدرسة؟!

ـ آه، أصل هي أسطورة المدينة كلها، دي المدينة متسمية على اسمها، ليه ما تظهرش وتحمس الأطفال وتشرح بنفسها النظام اللي عملته.

- العالمة سديم مش هتسيب بيتها وتروح تقابل حد، يكفي كل اللي هي عملته علشانا.

- فيها إيه لما تتكلم مع الناس كإنه كتاب تاريخ ومحتاجينها علشان نكتب أحداثه؟

وضع يده على المكتب ليلتقط ملفًا آخر وقال بحزم:

- سيبي رقمك مع الموظف اللي برة وأول ما نتواصل معاها هنعرض عليها الموضوع وهنرجع لك بالرفض أو بالموافقة.

لم يكن حتى ينظر إليها، لعلها محاولة فاشلة من قبل أن تبدأ. خرجت وسلمت الموظف ورقة بها اسمها ورقمها وتحركت وخيبة الأمل تتحرك خلفها بخطوات ثابتة. تجوّلت في الشوارع وهي تتأمل المباني والناس ونظام الحياة المُتقن وطريقة حياتهم المُنظمة، لا تعلم حقًّا ماذا تشعر وكيف تتوقف عن البحث عن أسئلة لن تفارقها طوال عمرها. شعرت بشيءٍ غريب يحدث وكل من حولها، هنالك عربات غريبة تتحرك في الشوارع، اقتربت قليلًا من مصدر الصوت وتحركت نحو العربات لتجدها سيارة كبيرة تحتوي على خمسة رجال يرتدون ملابس متشابهة وكأنه زي رسمي لشيءٍ ما ولكنها لم ترَه من قبل، وخلفها سيارة أخرى تعرفها جيدًا، هي سيارة إسعاف لنقل مريض إلى المستشفى، ولكن ما هذه السيارة الأولى؟! ومن هم هؤلاء الرجال؟ أخرجت هاتفها والتقطت صورة لهم، ثم تحركت خلف السيارة بهدوءٍ لتتابع ما يحدث، شيئًا فشيئًا والجميع من حولها يتحرك بنمطه الطبيعي ولا يثيره الفضول.

لاحظت أنها تعلم هذا المبنى، إنه مبنى سميرة، هل جاء هؤلاء الرجال لقتل سميرة لأنها مريضة مشاعر؟ ازدادت نبضات قلبها بشكلٍ ملحوظ وهي تتابع حركتهم لتجد سكان المبنى جميعًا قد تم إخلائهم، ولكنها لا ترى سميرة من بينهم. ركضت نحو المبنى لتسأل السكان:

- هو فيه إيه؟

- فيه ريحة بشعة جوًا المبنى مش عارفين مصدرها.

نظرت إلى السيدة التي أجابتها بتعجب. تم إخلاء المبنى من أجل رائحة كريهة؟! فليفتح كل منهم نافذته أو يتم تهوية كل شقة على حدة بشكلٍ جيد، ولكن أين سميرة؟! ذهبت لداخل المبنى بحذرٍ لتسمع صوت طرقاتٍ عالية على بابٍ ما، اقتربت أكثر لتجدهم يطرقون باب منزل سميرة ووجوههم ملثمةً بالكامل فلا تعرف ملامح أي منهم. اقتربت أكثر لتجد رائحة بالفعل تستدعي إخلاء المبنى بأكمله، ولكن ما علاقة شقة سميرة بالأمر؟ لم يجد الرجال جدوى من طرق الباب، فدفعوه معًا حتى كُسر ودخلوا جميعًا. تحركت خلفهم من باب المنزل حتى الصالة لتجد ما لم يشهده سكان سديم من قبل، سميرة معلقة من رقبتها في سقف الصالة وعيناها متسعتان بشكلٍ مخيف، ولونها ليس طبيعيًا، لقد مال جلدها كله إلى اللون الأزرق. لقد كانت سميرة هي الرائحة الكريهة، لقد قتلت سميرة نفسها!

لاحظ رجل منهم عيني حليمة المتعلقتين بالجثة، فركض نحوها وهو يصيح بها سائلًا عن سب قدومها، لم تتحرك عيناها من على سميرة، كيف حدث لها هذا؟ ومن وضعها بهذه الوضعية

البشعة؟ وماذا حدث؟ ظل الرجل يتحدث معها وهي لا تبالي، حتى سحبها أحدهم إلى الخارج وهي تتابع محاولة رجال الإسعاف لإنزال جثة سميرة من مكانها.

- بتعملي إيه هنا؟
- أنا أعرفها.
- تعرفي صاحبة الشقة؟
- أنا أعرفها.
- تعرفي إيه عنها؟
- طنط سميرة.
- إحنا عارفين اسمها وعارفين سبب عزلها.
-
- إنتِ جيتِ زرتيها قريب؟

أجابت بالنفي دون تفكير.

- طيب ممكن تتفضلي معانا على المستشفى!

سحبت يدها من يديه وهي تنظر إلى هذه الحقيبة السوداء التي تخرج من باب المنزل على يد رجال الإسعاف، ذهبت مع الرجل خلفهم لتسمع أحد الرجال يبرر للسكان بأنها قد توفت منذ أيام ولم يلحظ أحد، فنتجت هذه الرائحة عن ترك جسدها الميت كل هذه المدة.

لم يذكر شيئًا عن الجسد المُعلق ولا العينين المتسعتين بذعر، ولم يذكر شيئًا عن عدم موتها بشكلٍ طبيعي، ولكنها لم تكن تقوى على الحركة بأي شكلٍ من الأشكالٍ، تحركت معهم إلى المستشفى، وفور وصولها وجدتٍ الجميع ينتظر؛ زوجها وأولادها حتى والديها هي كانا بانتظارها هناك.

في هذه الأثناء قاطعت والدتهن درس تيماء هذا اليوم بمكالمة هاتف لم تحظَ بواحدة مثلها من قبل: «**تعالي على المستشفى بسرعة يا تيماء، سميرة توفّت من شوية**»، جلست تيماء على الأرض وهي تتذكر كل شيءٍ وكأنه يعرض أمامها، كلمات سميرة بأن جرعاتها قد بُدّلت، وأنها حصلت على المتابعة ثم وصفوا لها جرعات زائدة وعُزلت وحدها، الآن ماتت!

- طنط سميرة ماتت.
- إنتِ كويسة؟ تحبي نروح لهم؟
- همّ في المستشفى، مش عارفة.

وقف عمر بسرعة وأمسك بيدها وقال لها بهدوء:

- تعالي نروح سوا، مش هسيبك، هاجي معاكِ.

تحركا سويًّا إلى المستشفى وقد وصل الجميع، وجدت حليمة تجلس بلا حركة ولا تتابع حتى الموقف بعينيها. جلس الجميع بغرفة صغيرة بانتظار الطبيب، لاحظت حليمة هدوء عائلة سميرة وكأنّ شيئًا لم يكن، وكأنها ماتت بشكلٍ طبيعيّ جدًّا.

- هو إنتوا إزاي مش مستغربين اللي حصل؟

انتبه جميع من بالغرفة إلى حديثها، حتى عمر كان يقف في نهاية الغرفة ـ بعدما قدمته تيماء إليهم ـ انتبه لحديثها.

- إزاي ما حدش مستغرب إيه اللي عمل فيها كدا؟
- ماما ماتت، ما حدش عمل فيها حاجة.

قالتها هبة ابنتها وهي تضع لعبة صغيرة لابنتها نور على الأرض لتلعب بها، فرمقتها حليمة بنظرة غضبٍ وهي تقول بحدةٍ:

- ومين بيموت متعلق في السقف؟!

اتسعت أعين الجميع وخاصةً الكبار منهم، فإنهم يعلمون معنى هذا الحديث؛ لم يمر الكثير حتى تتلاشى ذاكرة المنتحرين من عقولهم، لقد قتلت سميرة نفسها.

- سميرة انتحرت؟

قالها ممدوح وهو ينظر إلى حليمة وأبنائه.

- أكيد لأ، ما حدش بينتحر دلوقتي، هي كانت بتاخد جرعات زيادة من المصل.

وقفت تيماء وهي ترمق عمر بنظرة ذعر:

- انتحرت يعني إيه؟ يعني موتت نفسها؟

خرج ابنها عن صمته وسأل بهدوءٍ تام:

- هي ماما كانت مريضة مشاعر؟

صُعق الجميع وكأنهم لم يفكروا في هذا الأمر من الأساس.

- أكيد لأ، ماما ما كانتش مريضة وما كانش فيها حاجة، دول كانوا شوية مشاكل في الجرعات وكانت بتتظبط.

سقطت دموع حليمة وهي تجيب على هبة قائلة:

- لأ هي ما كانتش كويسة، آخر مرة شفتها كانت بتشتكي إن ما حدش بيروح لها وإن ما حدش فيكم بيكلمها، وإنها لوحدها، وإن عمو ممدوح سابها وهي ما عملتش حاجة.

- أنا سبتها علشان تتحسن أسرع وتكون أفضل، المنطق والنظام كله بيقول كدا.

- وكان هيحصل إيه لو كنت فضلت معاها؟

- أنا من حقي أختار أعمل إيه؟ وأهي طلعت مريضة مشاعر وموتت نفسها يعني أنا عملت التصرف الصح.

كانت دعاء تجلس في صدمةٍ من أمرها، لا تعلم ماذا تقول وكيف عاد الجميع إلى هذه النقطة مجددًا؟ تذكرت لحظة دخولهم إلى المدينة لأول مرة، تذكرت حين احتفل الجميع بالنجاة، حين أخبرتهم سديم أنهم المُختارون، أخبرتهم أنهم المعتدلون، ما الذي أصابهم الآن؟ أكان من بينهم أناس يكذبون على أنفسهم أم أن الجميع ما زال يشعر كما كان حالهم دائمًا وتظاهر الكل بالاعتدال من أجل حياةٍ أفضل؟ كيف لسميرة أن تمرض هكذا وتصبح مريضة مشاعر فجأة؟ أكانت دائمًا هكذا؟

- إنتِ رُحتِ لماما إمتى يا حليمة؟

سألتها هبة وهي تبكي.

- مش فاكرة، بس كان من أسبوع وكام يوم، كانت بتقول إنها بتزعق وما حدش بيحبها، وكله بيقول إنها غلطت علشان الجرعة اتبدلت بس هي ما لهاش ذنب.

نظر الجميع إلى نور هذه الطفلة الصغيرة التي بدأت عن غير قصدٍ هذه المأساة.

- نور بنتي هي اللي بدلت جرعة ماما أنا فاكرة.. بس هي ماما كانت بتزعق كتير أوي وبتقول كلام بجد مش منطقي، أنا قلت هاستنى عليها كام يوم وأشوف الجرعات خلتها أحسن ولا لأ.

- الحمد لله إن ما حدش فيكم يا ولاد راح لها ولا شافها، كدا أحسن، المنطق أنقذكم من العدوى.

قالها ممدوح وكأنه ينفي الشعور عن نفسه، كان المصل يدعوهم للاعتدال لا التبلد، كيف له أن يتحدث عن زوجته هكذا؟! ولمَ كل هذا الاندفاع؟ كانت تيماء على وشك الانفجار في وجه هذا الرجل غليظ القلب، المشاعر ليست معدية ويجب أن يعلم هذا، ولكن أمسك عمر يدها ليُهدئ من روعها قليلًا، فلا ضرورة لكشف كل الأمور في وقتٍ واحد. اقتربت هبة من حليمة وهي تسأل:

- شفتِ إيه يا حليمة؟
- شفت طنط سميرة متعلقة في السقف ولونها أزرق وعنيها مبرقة جدًّا وكأنها مرعوبة، وكانت الريحة وحشة أوي أوي.

مسحت دموعها واقتربت منها تيماء لتحتضنها ثم أكملت:

- ما حدش كان بيزورها ولا بيكلمها علشان كدا ما حدش عرف إنها ماتت.

جلست هبة على الأرض وهي تتطلع إلى أبيها وأخيها وقالت:

- بابا اللي قال لي إني لازم أبعد عنها خالص الفترة دي.
- علشان مصلحتك يا هبة، شفتِ إني كان معايا حق؟
- يمكن لو كنا معاها ما كانتش عملت كدا.
- لأ، المشاعر مرض مش منطقي، ما ينفعش تتنبئي باللي هيحصل.

وقف ابنها وقال بهدوءٍ مرة أخرى:

- أنا لازم أرجع الشغل، أخدت إذن ساعة بس، هقابلكم في البيت بعد الشغل ونعرف إيه اللي هيتم.

تبعته هبة بعينين باكيتين وظلت تنظر إلى نور ابنتها وهي تبكي:

- نور هي اللي بدلت الجرعة، مش ماما اللي غلطانة.

جلست دعاء على الأرض بجانبها وضمتها إلى حضنها بهدوء، لقد فات الأوان على هذا الحديث ولا جدوى من الشجار، دخل إليهم دكتور من المستشفى وقد أعاد شقيق هبة معه من الخارج، وقال لهم:

- مدام سميرة ما كانتش بتاخد الجرعات بتاعة المصل بتاعتها، حتى لما بدلنا الجرعات ما اتاخدش غير حوالي أربعة أيام بس والباقي زي ما هو.

تطلع الجميع إليه بأعين ثابتة فأكمل:

- دا معناه طبعًا إنها كانت مريضة مشاعر وكانت عارفة ومخبية، ودا أدى إلى إنها قتلت نفسها، أنا حقيقي آسف إن أسرتكم مضطرة تمر بشيء زي دا، لكن حاليًا المقربين كلهم هيطلعوا على المبنى العظيم يتعمل لهم فحص شامل علشان نتأكد من سلامتكم وبعدها تقدروا تروّحوا والإجراءات الروتينية هتتم زي ما هي.

تقدم الجميع بخطوات ثقيلة وراء الطبيب إلا تيماء التي وقفت تتابع عيني عمر بذعر، هل ستخضع هي الأخرى للفحص؟! وقبل أن تنهار من القلق سأل والدها الطبيب بهدوء:

- إحنا كمان هنروح فحص ولا أسرتها فقط؟

- أسرتها والآنسة حليمة بما إنها اتعرضت لموقف صعب، حضراتكم تقدروا تتفضلوا.

هدأت نبضات قلب تيماء التي كاد أن ينفجر من فرط القلق، كانت ستفضح أمرهما، ابتسم عمر لها بهدوءٍ وتحرك الجميع إلى الخارج، وذهب عادل مع ابنته إلى المبنى العظيم وعاد البقية إلى منزلهم.

ما حدث لم يكن متوقعًا ولم يستوعِبه أحد منهم، لمَ تركت المصل طوال هذه المدة؟ تقف حليمة ومن حولها الجميع يتحدث عما حدث لسميرة، يتعجب ابنها من دافعها الغريب للتخلي عن السبيل الوحيد للنجاة، من داخلها كانت تشفق على سميرة ولا تغيب صورتها عن بالها، ولكن ما رأته جعلها تخشى المشاعر مرة أخرى، لم تتمكن سميرة من تحمل مشاعرها، لم تتمكن سميرة من النجاة من المشاعر، لم تتناول جرعاتها المكثفة فنال منها المرض، ولكن هل هو ذنبها أم ذنب أسرتها التي تخلت عنها في وقت مرضها؟ أليس من الضروري أن يرعاك الأقربون في مرضك؟ أليس من المنطقي أن يناولك أحد الدواء حين لا تقوى على الحركة؟ لعل كل ما أرادته هو شخص يحرص على تناولها جرعاتها بشكل منتظم!! لم تقتلها المشاعر لقد قتلتها أسرتها. قطع حبل أفكارها صوت ذكوري يتساءل:

- إزاي ماما تتجاهل المصل بالسهولة دي؟

لتجد أن ابنها يلوم على إهمال والدته الميتة.

- يمكن لو حد كان اهتم يديها المصل في ميعاده ما كانش دا حصل.

انتبه الجميع لها حتى والدها قال بتعجب:

- إنتم ليه عاملين مش واخدين بالكم إنها أكيد كان عندها مشاعر؟!

امتعضت ملامح ممدوح وهو يسأل باستنكار:

- وإيه علاقة المشاعر بإنها تهمل جرعات مكثفة من المصل؟ ما هي كان عندها خلل في المنطق بتاعها ومحتاجة جرعات زيادة، ما تاخد الجرعة وترجع طبيعية، إيه الصعب في كدا؟

قالت حليمة بحزنٍ:

- الصعب إن ما حدش فينا يعرف المشاعر بتعمل إيه ولا إيه أعراضها؟ الصعب إن ما حدش اهتم بيها ولا شاف هي فعلًا بتاخد المصل ولا لأ، الصعب إن ابنك بيلوم عليها إنها مهملة وهو شارك في موتها.

أمسكت هبة بيدها وقبضت عليها بشدة وهي تقول بحدة:

- ما حدش فينا موت ماما، ما حدش فينا عمل كدا.

- دا اللي حصل ولا اللي إنتِ عايزة تقولي إنه حصل؟

لاحظ عادل الموقف الغريب الذي يقف به الجميع الآن، لا يعلم لماذا تحتد حليمة هكذا على أسرة سميرة وما دخل أي إنسان بما حدث، اقترب منها قليلًا وهمس في أذنها:

- فيه إيه يا حليمة؟ سيبي الناس في حالها.

- وأنا عملت إيه؟ دلوقتي الحقيقة بتزعل؟

احتدت نبرة ممدوح وهو يعاتبها قائلًا:

- مش منطقي إنك تعتقدي إن حزنك أكبر من حزننا على سميرة.
- لأ طبعًا مش منطقي، بس منطقي إنكم تتخلوا عنها في أكتر وقت كانت محتاجة لكم فيه؟!

ابتسمت بمرارة وهي تبتعد عنهم خطوات بسيطة وترمقهم بنظرة غضب:

- بلاش إنت يا عمو، ولادها! ما حدش فيهم فكر يفتكر لها يوم واحد صحيت من نومها بالليل علشان تدي له دوا في ميعاده، يا ريتها سابتكم في مرضكم تفتكروا الأدوية لوحدكم! مش منطقي إنها كانت تصحى من نومها علشان تفكركم بحاجة تخصكم.

تحركت بخطواتٍ أسرع قليلًا متجهة إلى حائط مجاور لهم لتستند عليه وهي تتمتم:

- أول ما أدخل هاطلب منهم يدوني جرعة مكثفة من المصل علشان مشاعري ما تجيش أبدًا.

ذهب إليها والدها وهو يربط على رأسها ويطمئنها بأنها لن تصاب بالمشاعر أبدًا وبالداخل سيقومون بما هو لازم لتنسى ما رأته بشقة سميرة.

دخل الجميع واحدًا تلو الآخر للداخل ليتحدثوا معهم عما حدث، فقد كانت الواقعة الأولى من نوعها في مدينة سديم كما أخبروهم هناك، وكانوا يسألون عن سميرة وآخر زياراتها وكيف كانت تتحدث وسبب نوبات غضبها وصياحها في الجميع.

أتى إليهم علماء من المختبر في أعلى المبنى ليعرفوا منهم أكثر، فقد كانت حالة خاصة جدًّا لهم ويريدون معرفة كل شيء، ثم كتبوا للجميع جرعات زائدة من المصل ومتابعة شهرية لمدة سنة من الآن، وتأهبوا جميعًا للانصراف، فأتى إليهم واحد من العلماء وبيده أوراق ليسأل:

- إحنا عايزين حد من أولادها أو جوزها يمضوا على الورق دا.

اقترب منه ابنها وهو يسأل عن محتوى الأوراق، فأجابه أنها تصاريح لاستخدام جثة سميرة في الأبحاث من أجل تطوير معرفة المزيد عن مرض المشاعر. اتسعت عينا حليمة وهي تسمع ما يطلبه وبداخلها مشاعر متضاربة، شيء منطقي أن يعتبرها العلماء فرصة ذهبية ولكنها لا تستحق أن تكون جثتها فأر تجارب، لقد عانت بما يكفي.

- أظن دي هتكون حاجة مفيدة لينا كلنا.

قالها ممدوح وهو ينظر إلى ابنه مشيرًا له بالمُضي في الأمر، فتمتمت حليمة قائلة:

- إنت ما بقيتش جوزها، والرأي يرجع كليًّا لأولادها.

تراجعت هبة للخلف وهي تتخفى من نظرات حليمة الحادة لهم، لا تعلم ما عليها فعله؛ من داخلها ما زالت مذبذبة مما قالته حليمة منذ دقائق عن تسببهم في موت والدتهما، ولكن ابنها كان حاسمًا للأمر، فالمنطق يقول: «**إذا كانت البشرية على حافة الخطر فلا بكاء على من نضحي بهم، فالفرد لا يعترض مصلحة الجموع**

ولا عزاء للمبالغين إذا كانت المبالغة هي سر الهلاك»، ها نحن نستخدم النصوص في حياتنا ونضحي بالفرد مرتين، مرة في حياته والأخرى بعد موته من أجل المصلحة العامة. وقّع ابنها الأوراق وخرج مبتسمًا راضيًا عن ترك والدته هنا في المبنى العظيم إلى ما لا نهاية.

في طريق العودة للمنزل سار عُمر مع تيماء ووالدتها حتى وصلوا إلى مدرسة مِهاد ليصطحبوها في طريقهم، لم يتحدثا كثيرًا عن أي شيءٍ إطلاقًا، ولم تنطق دعاء بأيةِ كلمة سوى الابتسام في وجه عمر مرة وإخباره أنها كانت تود مقابلته في ظروفٍ أفضل من هذه حتى يتسنى لها الحديث معه ببالٍ صافٍ. تركتهما واتجهت للداخل لتحضر مِهاد، فنظرت تيماء إلى عمر بذعرٍ وقالت:

ـ المشاعر بجد ممكن تخليك تموت نفسك؟!!

ـ آه.

قالها بكل هدوءٍ ولم تكن تتوقع أبدًا هذه الإجابة، كانت تسأل وبداخلها يقين أنه سينفي كل ما تقوله وكل ما أخبرتهم به حليمة في المستشفى.

ـ نعم! يعني إحنا هنموت نفسنا؟

ـ لأ.

ـ عمر مش وقت غموض، ليه؟

ـ إنتِ ليه بطلتِ المصل وبدأتِ تواجهي مشاعرك وتتعرفي على نفسك؟

- علشان ما أخافش من مشاعري وأكون أحسن وأعرف أحس؟
- بتسأليني ولا بتجاوبي؟
- بجاوب بس بسألك إجابتي صح ولا لأ؟
- صح بس كل دا إحنا بنعمله علشان كبت المشاعر بيؤدي لانفجارها.

-

- فاكرة أول ورقة اتكلمنا عنها؟

وضعت يدها لتتحسس الأوراق بجيبها فقد أحضرتهم جميعًا، لتفتش بهم بسرعة وهي تحاول الوصول لأول ورقة حتى وجدت الإجابة أمامها: «**يمكنك كبت المشاعر ولا يمكنك التخلص منها، وحين يقدر لها الظهور ستكون أشرس مما تتحمله**».

- ما حدش ما عندوش مشاعر، بس كل واحد بيختار يتعامل معاها بشكل، فيه اللي بيكبتها واللي بينفي وجودها واللي بيخاف منها واللي بيواجها واللي بيحبها.
- ليه ما حدش قال لطنط سميرة تتعامل مع مشاعرها إزاي؟
- علشان المجتمع بتاعك قرر يعتبر الشخص اللي بيحس مريض، فخلّى الناس عندها فوبيا المشاعر، واللي بيحس بيخاف يقول، واللي بيحتاج مساعدة بيخاف يطلبها.

ابتعد خطوات وهو يشير للشارع بأكمله والمباني من حولهم ويقول:

- كل الناس دي عندها مشاعر وعارفة إنها عندها مشاعر بس كلهم خايفين يقولوا إنهم بيحسوا علشان الناس ما تُحكمش عليهم إنهم مش طبيعيين ومرضى، كلهم محتاجين مساعدة وما حدش فيهم عارف يطلبها إزاي ولّا من مين؟
- طب ما نقول لهم، تعالى نقول لهم إن فيه طريقة تعرف تتعامل بيها مع مشاعرك وتتصالح مع نفسك وتعيش أحسن.
- محا دش بيساعد حد غصب يا تيماء، من وسط كل خمسين شخص هتلاقي شخص واحد بس مستعد يقف لنفسه وللناس علشان حاجة هو مؤمن بيها، واحد بس.
- واحد كفاية، النهاردا واحد، بكرة هيبقوا اتنين، ومن بعده تلاتة وهنزيد وكل ما يكبر العدد كل ما الناس هتتشجع أكتر.

راقبها بصمتٍ وهو يكبت بداخله الكثير والكثير، فأكملت حديثها قائلة:

- الناس دي كلها محتاجة مساعدة، أنا مش عايزة أشوف حد باحبه أو أعرفه بيموِّت نفسه أو عايش خايف لمجرد إن الناس هتحكم عليه لو اعترف إنه بيحس، إحنا نساعده يتعامل مع مشاعره وما يخافش.
- ومين بقى هيسمح لك تشككِ في عقيدتهم والقاعدة الوحيدة اللي متفقين عليها كلهم؟

- مش مهم.
- إنتِ فاكرة سديم بتاعتكم هتسيبك؟!
- بتاعتكم! إيه بتاعتكم دي؟! إنت فاكر نفسك مش مننا ومش معانا؟ المجتمع دا مسؤوليتنا كلنا، كلنا عايشين فيه وكلنا في يوم صدقنا إن عيب إننا نحس.
- أنا طول عمري بأحس.
- قصدك إيه؟
- قصدي إني مش من سديم ولا عمري كنت منها.

وقفت في صمتٍ تُحاول استيعاب ما يُقال ولكنها لا تفهم.

- ما فيش مكان تاني غير سديم.
- دا اللي الكتب بتاعتكم قالته لكم.

انتهى المشهد بتقييم ممتاز، وتمت المهمة بنجاح ولم يتبقَ سوى معرفة ما حدث داخل الخيمة، لم يملك سليم أيةَ وسيلة لنسخ ما قرأه بالداخل، ولكن ما علمه لا يحتاج للتدوين، فسيبقى بذاكرته للأبد. جلس أمامهم بحزنٍ شديد وطلب من طارق أن يراقب الأجواء بالخارج فهو لا يريد المجازفة بأن يسترق أحد السمع.

- غالبًا كل اللي توقعناه صح، ما حدش هيخرج من هنا.

قالها سليم بكل أسى وهو ينظر إليهم، فسألت فريدة بقلق:

- يعني إيه؟ هنعيش هنا على طول؟

نظر سليم مباشرًا إلى عينيها في صمتٍ تام، فانتابتها القشعريرة لما يحمله في عينيه من توضيح.

- هيموتونا!
- آه.

وقفت ليلى في ذعرٍ وهي تحاول التقاط أنفساها وطارق يحاول الاقتراب منهم ولكنه لا يمكنه ترك مكان المراقبة، فقال بفزعٍ:

- سليم قول عرفت إيه على طول.
- مبعوت ورقة شكلها كانت مقفولة كويس أو هو كان لسا بيقرأها، مكتوب فيها نصًا أمر بحرق المخيم دا باللي فيه، وإن المُختارين همّ اللي كانوا في المجموعة الأولى، وهمّ دول اللي من حقهم يعيشوا بناءً على تقييمات الست المجنونة اللي اسمها سديم.. إحنا بالنسبة لها مجانين ما بنعرفش نتحكم في مشاعرنا ولا غضبنا ونستاهل الحرق، الحرق حرفيًا.

بدأت فريدة تبكي في صمتٍ وهي تتطلع إلى طفليها وتقول له:

- طب إحنا وممكن يجي لهم قلب، بس الأطفال!

هنا فقد سليم رباط جأشه وصرخ بهم قائلًا:

- وهمّ دول عندهم قلب؟ أنا من الأول كنت حاسس إن فيه مصيبة، مين بيقرر يعمل خير لمجرد الخير كدا؟ مين؟ كان مكتوب وما تسيبش الأطفال، حتى الأطفال.

احتضنت ليلى ابنتها الصغيرة وهي تبكي بحرقة على مصيرهم المحتوم وطارق ما زال متماسكًا:

- أكيد فيه حل، هيعملوها إزاي أو إمتى؟

أجابه سليم بلسانٍ مُثقل:

- غالبًا الورقة دي كانت أمر بالتنفيذ خلاص.

- يعني أي يوم ابتداءً من دلوقتي؟

- أظن كدا.

أشار طارق إلى كريم ليتناول نوبته في الحراسة ليجلس أمام صديقه ويطلب منه التماسك لمزيدٍ من الوقت:

- كدا كدا كنا هنموت، بكل الطرق لو ما كانش في الحرب كان هيبقى وإحنا بنحاول نجيب حاجة ناكلها لحد ما أخدونا، كان فيه مليون فرصة لموت محتم وربك نجانا، هنيجي دلوقتي ونيأس؟!

- قصدك إيه؟

- كل مرة كنا بنحارب علشان نفسنا والأهم علشان ولادنا، معانا معلومة من دهب كل اللي علينا إننا ناخد بالنا.

اقتربت ليلى وهي تحاول التشبث بأي بريق أمل وسألت:

- إزاي؟ هناخد بالنا إزاي؟!

- همّ قالوا هيعملوا إيه؟

تهرب سليم بعينيه قليلًا بعيدًا عن عيني ليلى وقال:

- هيحرقوا المُخيم باللي فيه.

- يا الله!

قالتها فريدة وهي تتحسس ذراعيها وتنظر إلى صغيرها. وقف طارق واقترب منها وقال بهدوء:

- من اللحظة دي هنعيش كإننا ما جيناش هنا وما نعرفش حد، كل ليلة فيه حراسة، الأكل اللي هيجي ما حدش ياكل منه، نحاول نحس بأي حركة بتحصل وفي أقرب فرصة وهمّ بيحرقوا نهرب.

- هنعرف؟

سألت ليلى موجهة حديثها إلى سليم تستجديه أن يطمئنها، فقال بقلبٍ مرتجف:

- بإذن الله هنعرف، أكيد هيحصل حالة هلع وذعر وفوضى، أهم حاجة نفضل مع بعض ما نتفرّقش.

وقفت ليلى تجمع في حقيبة من قماش بقايا طعام اليوم وبعض الأقمشة التي قد تنفعهم كالملابس، وشاركتها فريدة في هذه المهمة. إذا كان مقدرًا لهم النجاة فربما يحتاجون بعضًا من الأساسيات التي اعتادوا استخدامها من قبل. اقترب طارق من زوجته ونظر إليها بهدوءٍ وقال:

- أول ما يحصل أي حاجة مسؤوليتك كريم، كريم بيعرف يتصرف وهيعرف يلحق نفسه، وجايز كمان ياخد باله منك.

أشاح بنظره عنها ونظر إلى صغيره الجالس بهدوء في ركن الخيمة وأكمل قائلًا:

- عمر مسؤوليتي أنا، أنا هاقدر أشيله وأجري بيه فترة أطول.

مرت الأيام وكل منهما في حاله، حليمة تجلس في غرفتها بالساعات تفكر فيما حدث لسميرة، وتيماء بالغرفة الأخرى تحاول الوصول إلى عمر بأي شكلٍ حتى تفهم منه ما لم تستطع استيعابه بآخر مرة تحدثا فيها معًا. مرت الأيام بهدوءٍ تام على أهل المدينة ولكنها لم تكن بهذه السهولة على حليمة، فقد كان الرعب يتملك منها بكل ما يحمله الوصف من معنى. كان عقلها يتحرك في دوائر مغلقة من القلق والارتباك، تريد أن تفهم ما هي المشاعر وتخشى الوقوع فيما وقعت به سميرة. لا تعرف مكونات المصل ولكنها تواظب عليه بدقة وحرص شديدين؛ لا تريد خوض معركة سميرة، تريد محاربة المرض لكنها لا تريد اختباره.

جلست معظم أيامها في غرفتها بهدوءٍ على فراشها في إضاءة خافتة، لا تذهب للمكتبة ولا تبحث عن إجابات، وتحاول بكل قوة التخلص من الأسئلة التي يطرحها عليها ذهنها كل دقيقة لأن الجهل أفضل، وعلى كل حال إن كنت تريد البحث عن الحقيقة وإجابة كل الأسئلة عليك أن تتحلى بالشجاعة الكافية لمعرفة كل الإجابات.

يتحدث الناس والجيران المحيطين بهم عما حدث لسميرة وكونها أول مريضة مشاعر في مدينتهم، لم تكن تريد الخوض في الحديث عن المشاعر أو المصل أو أيٍّ كان مع عائلتها. ادعت التعافي من الأمر وعودتها لطبيعتها حتى لا يطرح عليها أحد سؤالًا لا تعلم إجابته، وكاعادتهم المنطقي إذا سألك أحد عن شيءٍ فإجابتك هي الحقيقة، فلماذا تكذب؟ ولكن في حقيقة الأمر لكل منا دافع مختلف لإخفاء الحقيقة وراء سبب غير منطقي، لعلنا ببساطة غير مستعدين لمواجهة الحقيقة الآن؛ فنكذب.

رن جرس هاتفها فألقت نظرة على الرقم ولم تتبين اسمًا؛ تجاهلت الاتصال في المرة الأولى، ولكن حين عاود هذا الرقم الاتصال بها أجابت لتجدهم يطلبونها في المبنى العظيم للإجابة عن بعض الأسئلة عن سلوك سميرة في آخر فترة باعتبارها آخر من رآها. ارتدت ملابسها وأكدت لوالديها أنه ليس بشيءٍ يذكر حتى يأتي أحدهما معها، وهاتفت ياسر ليرافقها هناك. لم تكن علاقتها بخطيبها بأفضل حال، ولكنه لم يلحظ أحد هذا عليها إطلاقًا، وقد كان التصنع في صالحها فهي لا تعلم لماذا تبتعد عنه أكثر فأكثر؟ ولم يكن هنالك تبرير منطقي لديها لتخبره به، هي فقط تفقد رغبتها به كلما تحدث معها بمنطقية مطلقة، أصبح المنطق يعطيها شعور بعدم الراحة وكأن هناك شيئًا ناقصًا بالحديث، وإن لم تتحدث هي بالمنطق شعر هو بشيءٍ ناقص وغريب بها، شيء ما لم يعد صحيحًا بينهما، ولكن عليها أن تُكمل التصنع.

دخلت إلى المبنى وسألت عن المكتب لتجد شخصًا ما يستأذن ياسر بأن هذا الأمر سري وعليه الانتظار بالخارج. دخلت بمفردها وصعدت إلى طابق لم تصعد إليه من قبل في المبنى؛ المعمل الخاص بعلماء سديم، ظلت تتفحص كل شيءٍ من حولها حتى وصلت إلى مكتب أحد العلماء، كان شابًا يبدو عليه الشغف والتطوق لمعرفة كل المعلومات عن سميرة وسلوكها وتأثير المرض عليها، ظل يسألها وهي تجيب بكل صراحة حتى فاجأها بسؤالٍ أربكها:

- هو إنتِ ليه قلتِ إنك بقالك كتير ما شُفتيهاش وإنتِ آخر حد شافها؟

تهربت من نظرته وأجابت بكل ثقة:

ـ أنا ما قلتش كدا!

ـ بس قائد الدورية اللي استلمت الجثة قال إن أقوالك كانت...

ـ مين دا؟

ـ الراجل اللي اتكلم معاكِ لما كنتِ معاهم في الشقة وهم بينزلوا الجثة.

ـ أنا ما حدش كلمني هناك!

كانت تعلم أنه قد تم استجوابها ولكنها لم تعلم ماذا تقول، ظلت تتحدث بثقة بأنه لم يتحدث معها أحد ولم يحاورها الرجل سوى بسؤالها إذا كانت تعرف السيدة أم لا.

أطال النظر إلى عينيها ثم انتقل إلى السؤال التالي. استمرت المقابلة لمدة ساعة كاملة يجعلها تصف له كل شيءٍ عن سميرة سابقًا وتلك المرة التي رأتها بها.. كان ينظر إلى بضعة أوراق وملفات كثيرة طوال المقابلة، ومع كل إجابة تتفوه بها يكسو وجهه علامات الإحباط وكأنها لم تكن الإجابة المناسبة.

ـ هي كانت مريضة مشاعر أكيد خلاص؟

سألته وهي ترجو بعض التفاصيل، من داخلها ما زالت تريد معرفة الإجابات والشعور بالطمأنينة بأنها لن تختبر مثل هذه التقلبات الغير مبررة فجأة.

ـ غالبًا.

ـ غالبًا!! إنتم مش متأكدين؟

- ما فيش أي حاجة أكيدة.
- إزاي؟ مش إنتم عارفين المرض؟
- لأ طبعًا، مرض المشاعر دا موجود في الكتب بس، إنما إحنا ما اتعرضناش لحالة نطبق عليها، مقياسنا الوحيد الناس اللي شافت.
- ناس؟
- الناس اللي كانت موجودة قبل المدينة، المعتدلين اللي هم أهلنا والناس إلى فاكرة يعني إيه شخص مُبالغ، بس الفيصل النهائي بتكون سديم.
- العالمة؟
- آه، هي اللي كلمتها بتحدد، ودا شيء مش مضمون لفترة طويلة.

صمتت للحظات ثم أدركت ما وراء الكلمات، تحسم سديم الأمر لهم؟ أيعني هذا أنه قد كان هنالك مرضى من قبل؟ أقتل أشخاص آخرين أنفسهم؟

- ثانية معلش، وهي بتعرفهم إزاي وهم ميتين؟
- دي أول جثة.
- بس مش أول حالة!

رفع عينيه بها وقال بنبرةٍ أعلى من نبرته المعتادة:

- شكرًا جدًّا لوقتك يا حليمة، لو احتاجنا أي معلومات تانية هنكلمك.

ظلت مكانها لم تتحرك، نظرت بعينيها على شارة الاسم على معطفه وقالت بغضب:

- أنا سألت سؤال يا دكتور عامر، من حقي أعرف إجابته.

- بعض الإجابات مش مصرح بها.

قالها وهو غير مبالٍ لنبرتها الحادة.

- مش مُصرح تقول لي المدينة اللي أنا عايشة فيها متفشي فيها وباء المشاعر ولا لأ؟

- آخر مرة عملتِ الفحص كان إمتى؟

- بعد موت طنط سميرة على طول.

- وكان عالي طبعًا.

- منطقي.

- ما تتأخريش على الفحص بتاعك وخدي المصل في مواعيده وما تقلقيش.

وقفت وبداخلها غضب كبير من ردة فعله.

- من حقي إني أرفض أجاوب على سؤال مش عايز أجاوب عليه.

هنا فقدت رباط جأشها وقالت بغضب:

- وأنا من حقي أعرف ليه الست دي موتت نفسها؟!! عارف يعني إيه موتت نفسها؟ يعني وصلت لمرحلة إن حياتها وبيتها وولادها هانوا عليها، ما كانش ليهم أي تمن.

وقفت وهي ترتدي حقيبتها وتستعد للرحيل ثم أكملت حديثها:

- واضح كدا إن ما حدش يعرف يعني إيه مشاعر ولا إزاي ممكن ما تجيلناش، وواضح كمان إن المصل مش حل ليها.

رفع رأسه مهتمًا بمجرد أن تحدثت عن المصل.

- ليه دخلتِ المصل في الموضوع؟

ارتبكت وتراجعت بضع خطوات للخلف لتتأهب للرحيل وهي تحاول استعادة توازنها الداخلي حتى لا تتفوه بأيةِ كلمة أخرى. وقف عامر خلف مكتبه وتحرك باتجاهها لخطوات. فتجمدت في مكانها ونبضات قلبها تتزايد ولكنه تخطاها وتحرك مباشرةً باتجاه الباب وأغلقه بالمفتاح، ثم استدار إليها مجددًا وسألها:

- ليه دخلتِ المصل في الحوار بينا؟

- إنت قفلت الباب ليه؟

- علشان ما حدش يدخل علينا وإحنا بنتكلم.

- وفيها إيه لما حد يدخل علينا؟

بدأت تتراجع بخطواتها في الاتجاه المعاكس للباب وهي تبحث بداخل حقيبتها عن شيءٍ ما قد تستخدمه للدفاع عن نفسها.

- بتدوري على إيه في شنطتك؟

تجمدت حركة يدها وقالت بحدة:

- أنا معايا حد برة عارف إني هنا.

حرك رأسه متعجبًا وهو يقول بهدوء:

- المبنى كله عارف إنك هنا في مكتبي من ساعة ما دخلتِ من الباب، حليمة إحنا اللي طلبنا إنك تيجي.

استشعرب بعض المنطقية في حديثه وإن كان يدل هذا على شيء فإنه يدل على أنه لن يتصرف سوى التصرفات المنطقية المتوقعة، ولكن لماذا أغلق الباب؟ ولمَ أصابها كل هذا الذعر؟

- حلمية ممكن أوريكِ حاجة وتقولي لي تعليقك عليها؟

تحرك مسرعًا باتجاه مكتبه، فتحركت هي عكس خطواته ولكنه توجه إلى حاسوبه ثم فتح مقطعًا مصورًا من داخل غرف المعمل لرجلٍ كبير يرتدي ملابس بيضاء وكأنه مريض.

- اتفرجي على الفيديو دا وقولي لي لو لاحظتِ أي حاجة غريبة.

جلست على الكرسي مجددًا ثم انتبهت جيدًا للمقطع ليبدأ الرجل في الحديث ردًا على بعض الأسئلة الموجهة له من أحد الأطباء:

- إنت بطلت المصل بتاعك؟

- لأ.

- طيب إيه تفسيرك إن معدلات المشاعر عندك كلها عالية؟

- علشان وحشتني.

- مين اللي وحشتك؟

- مراتي.

- إنتم انفصلتوا؟

- لأ، هي كانت المفروض هتيجي بعدي على المدينة بس هم موتوا بعض.

- مراتك كانت من المُبالغين؟
- آه.
- طبيعي إن مراتك توحشك، أي حد بيموت إحنا بنفتقده.. بس ليه دلوقتي؟
- هي على طول وحشاني، من يوم ما جيت وهي وحشاني، حتى لو كنت مثلت إن دا الأحسن فهي وحشاني، بس ابني كان يستحق الحياة دي، كان يستحق يكون كويس، وهو اتجوز دلوقتي عايش حياته وأنا لوحدي.
- إنت متأكد إنك ما بطلتش المصل؟
- آه.
- إحنا محتاجين نخليك تحت الملاحظة لمدة كام يوم علشان نتأكد إنك بتاخد المصل ومستمر عليه.
- مراتي ما كانتش عيانة، مراتي كانت بتقلق زيادة شوية مش أكتر.
- زوجة حضرتك كانت من المُبالغين.
- مين اللي حدد كدا؟
- علماء سديم أيام المخيمات.
- مش مصدق.

أوقفت حليمة المقطع ثم نظرت إلى عامر بهدوءٍ وسألت:

- هم عرفوا إزاي؟ إيه نوع التحليل؟
- المفروض إنه فحص زيه زي الفحص اللي بتعمليه كل ٣ شهور.

- المفروض؟

أشار لها بأن تكمل المقطع وأعاد تشغيله من أجلها، كانت عينا الطبيبة التي تحاور الرجل ثاقبة للغاية تتفحص كل ردود أفعاله ولا تُبدي أي ردود أفعال في المقابل.

- نظام سديم مُحكم جدًّا، ونفس الفحوصات اللي بتعملها دي حددنا من خلالها.

وقف الرجل مسرعًا وسأل بفزع:

- الفحوصات اللي بتعملوها دي هي اللي حددت في المخيمات؟

- أيوة.

اقترب الرجل من الطبيبة قليلًا وسأل بغموض:

- إنتِ عندك كام سنة؟

ضغطت زرًا بسيطًا بجانب يدها فدخل معهما إلى الغرفة أحد رجال الحماية الخاصة بالمبنى.

- عندي تسعة وعشرين سنة.

- يعني مش فاكرة اللي حصل في المُخيم؟!

- لأ، بس اتعلمته في المدرسة وسمعته من أهلي.

- ما حدش عمل لنا فحص زي دا، كل اللي حصل إننا اتسألنا كام سؤال عن رأينا في المكان وتصرفاتنا فيه، كام سؤال بس.. يمكن هم غلطوا، وأنا اللي قلت لها ما فيش مشكلة لما نتحرك في مجموعتين مختلفين مش عايزين مشاكل!! إنتم غلطتوا هي ما كانتش عيانة.

- الفحص اتطور كتير في السنين اللي الفاتت بفضل الاستقرار ومساعدة الناس، يمكن ما كانش بنفس الشكل بس أؤكد لك إنه كان بنفس الكفاءة.

وقف الرجل ثائرًا وتأهب رجل الحماية من خلف الطبيبة ليبادر هو بالمقاومة إذا أقدم الرجل على أي فعلٍ غير مفهوم.

- تأكدي لي إزاي؟! مش إنتِ اللي عملتِ لنا الفحص في المخيم، مش إنتِ.

- نظام الفحص أساسه هو هو.

- أنا اللي قتلتها!!

وقفت الطبيبة وهي تكتب على ورقة فحوصاته بعض الجمل الغير واضحة للكاميرا ثم قالت بهدوء:

- هنزود لك جرعة المصل تاني، واضح إن فيه خلل.

جلس الرجل على الفراش وضم ركبتيه إلى صدره، وظل يتمتم عبارات الأسف وكأنه يحدث زوجته ويعتذر لها عما فعله، ويلوم العالم من حوله متمنيًا لو كان مريضًا مثلها حتى يموتا سويًّا.

انتهى المقطع وظلت عينا حليمة متعلقتين بالشاشة لا تبتعدان.

- الراجل دا فعلًا كان بياخد المصل؟

- جرعاته كلها مظبوطة.

- عرفتوا إزاي؟

أمسك عامر زجاجة من زجاجات المصل الخاصة به وأشار إلى علامات موضوعة عليها تختلف من كل زجاجة لأخرى.

- كل واحد فينا له حاجة زي كود معين من الشكل دا أقدر أعرف دا مصل مين.. لو اترمت في الشارع أو اتسابت في حتة نقدر نجيب الشخص.
- ولو فضّيناها في الحوض أو أي مصرف جهاز إنذار العمارة بيضرب.
- بالظبط، يعني الطريقة الوحيدة اللي تتوقفي بيها عن المصل بتكون إيه؟
- إني أخبيه في البيت عندي.

وضعت حليمة رأسها على كفها على الطاولة وهي تمسح على جبينها بتوتر:

- ولو حد من أسرتك شافهم هيبلغ إنك موقف المصل.
- لو كان مش بياخده كنا هنعرف لما فتشنا بيته جزء جزء.
- هو دا مريض مشاعر؟ يعني حتى بالمصل ممكن نعيا!
- دا كان سؤالي ليكِ! ليه دخلتِ المصل في كلامنا؟

وقفت بتوتر وهي تصيح به قائلة:

- علشان ما فيش أي معلومات عنه، ما فيش أي معلومات عنه بيعمل إيه ولّا معمول من إيه ولا زيادته تقلل المشاعر ولا لأ، ما فيش حاجة في التاريخ كله غير تحذيرات، تحذيرات بس.

تحرك عامر ببطءٍ نحو مكتبه وملامحه شاردة؛ يبدو وكأنه أيضًا مُثقل بالهموم والتساؤلات. تابعته بعينيها وهو في غاية الصمت.

- لاحظتِ إيه في الراجل؟

- لاحظت إنه بيفكر وحاسس بالذنب على حاجة هو ما عملهاش.
- فيه أي تشابه بينه وبين سميرة؟
- مش عارفة.. طنط سميرة كانت بتزعق وبتلوم ولادها وبتسأل بصوت عالي وزعلها كان واضح، كانت مش منطقية وعدوانية.. الراجل دا مسالم جدًّا، ما عملش حاجة بالنسبة لردود أفعال طنط سميرة.
- هي دي المشكلة.

مسح على رأسه وهو ينظر إليها بهدوءٍ وسأل فجأة:

- اللي معاكِ برة دا خطيبك؟

تطلعت له بتعجبٍ وأجابت بالتأكيد وهي تحاول فهم المغزى من السؤال.

- وكويسين مع بعض ولا فيه مشاكل؟
- دا سؤال شخصي.
- دا سؤال مهم.
- ليه حياتي الشخصية مهمة؟
- علشان كل الناس بدأت بإنها حاسة إن فيه حاجة غلط.
- ناس مين؟
- ردي على سؤالي.. أنا محتاج أتأكد إن الراجل دا مريض مشاعر أو لأ، محتاج شبه أو تحليل منطقي للي بيحصل لهم.
- يعني فيه أكتر من واحد؟!

- جاوبي على سؤالي.

قالها وهو يتأفف من تغيير مجرى الحديث المستمر.

- وليه أنا أجاوب على أسئلتك وأسئلتي ما حدش بيجاوب عليها؟

- علشان أنا الدكتور!

- مش سبب.

- إن أنا الدكتور دا مش سبب كافي بالنسبة لك؟

- لأ، أنا كنت عايزة أكون دكتورة وإنتم اللي قلتوا إنكم مش محتاجين وما فيش مكان، فمش غلطتِ إني مش دكتورة.

- شكرًا يا حليمة، تقدري تتفضلي.

نظرت إلى وجههِ الجاد جدًّا في طردها بهدوء من المكتب رغم الغضب، وكان الإحباط يعلو وجهه ـ من المؤكد ـ لأنه لم يصل إلى ما تمناه. وضع كل تركيزه في الملفات أمامه على المكتب وتحركت هي بخطواتٍ بطيئة للخلف وهي تتطلع إليه، جذبها حزنه وزاد من تساؤلاتها، ربما عليها أن تستمع إليه قليلًا. اقتربت من المكتب وجلست في هدوءٍ وهو ما زال لا ينظر إليها، ثم قالت بصوتٍ خافت:

- آه خطيبي والدنيا بينا مش مظبوطة بس هو مش شايف دا.

رفع عينيه إليها مشيرًا لها بأن تُكمل، ولكن من داخلها كان القلق يتسلل إلى قلبها لعله فخًا وقد يحتجزها لوجود مشاعر بداخلها!! أيوجد حقًّا مشاعر بداخلها؟ صدمتها الفكرة فصمتت تمامًا.

ـ أنا مش باختبرك.

ـ ما اقدرش أضمن.

أغلق الملفات أمامه وأعطاها انتباهه كاملًا وقال لها:

ـ أنا كمان كنت هاخطب، وبدأت ألاقي الدنيا بينا مش مظبوطة، وما بقيناش متفاهمين زي الأول، وبعدها عملت حاجة مش قانونية بالمرة علشان أطلع اختبار الجواز بتاعنا سلبي وإننا ما ينفعش نتجوز.

اتسعت عيناها وهي تطلع بما يقوله ولكنه لم يبال بنظراتها وأكمل حديثه:

ـ أنا شاكك إن المرض دا معدي، يمكن يكون المشكلة عندي بس كل اللي جم هنا بيقولوا إنهم كانوا حاسين إن فيه حاجة مش صح.. حاسين بوضوح.

ـ يعني أنا ممكن أكون اتعديت من طنط سميرة؟

ـ كلها افتراضات ما لهاش أي أساس من الصحة، ما فيش تفسير منطقي ولا علمي نحدد عليه.. أنا قلت لك سر كفيل إنه يعمل لي كارثة كبيرة، أظن دا سبب كافي إنك تتكلمي معايا بصراحة.

لم يكن أمامها خيار آخر سوى أن تصدقه، كل شيء بداخلها يدفعها للتهور في هذا الأمر. غير منطقي بالمرة أن تثق بشخص لم تره من قبل ويعمل بهذا المكان، ولكنها تشعر أنه صادق وهي حقًّا تريد أن تُنهي هذه المعاناة الداخلية التي تمر بها وحدها ولا تستطيع أن تشارك بها أحد، فإن أصعب الأفكار تصبح أخف وطأً حين نشاركها.

- أنا كمان شايفة إن فيه حاجة غلط بيني وبين ياسر وإننا مش متفاهمين أو أنا بس اللي شايفة كدا، هو مش فاهم أو مش حاسس دا.

- الراجل اللي في الفيديو دا كان هادي وخايف، ما لجأش للعنف ولا مرة.

- فيها إيه؟

- دا مش أول حالة نلاقي عندها خلل أو توتر زايد في الفحص، من فترة مش كبيرة بدأنا نلاقي ناس بتتهرب من الفحص بتاعهم وما بيجوش غير لما يتبعت لهم إخطار، ولما بيجوا بنلاقي إن نسبة توترهم مننا أو من الأسئلة كبير.

- مين أول حد؟ يعني ممكن نحاول ندور على أصل المرض أو أول واحد جاله.

- مش بالسهولة دي، ما فيش أي صلة بينهم غير إنهم كلهم فوق الخمسين.. كلهم من الناس اللي حضرت الحرب، بيسألوا أسئلة جديدة أو متأخرة.

- الناس الكبيرة بس!

- دا اللي شفناه، بس ما فيش أعراض واضحة وصريحة للمرض، ما فيش تصرفات نتوقعها منهم.

- بيحسوا!!

- يعني إيه بقى بيحسوا؟ إيه اللي بيغير سلوكهم وليه السلوك مش متشابه؟

- أنا كنت فاكرة إني هالاقي الإجابات هنا.
- إجابات إيه؟
- إجابات أسئلتي، ليه المصل؟ وإزاي؟ ومين قرر إن هم مُبالغين؟ والمشاعر دي عبار عن إيه؟ وازاي ما تجيليش؟ وأحصن نفسي إزاي إني ما أموّتش نفسي زي طنط سميرة؟
- ما فيش مريض بيعيش علشان نتابع معاه.
- بيموتوا؟!
- بنموتهم.

انتفضت فزعًا وهي تنظر إليه وتتعالى أنفاسها شيئًا فشيئًا.

- يعني إيه؟ ثانية، مين؟!
- اللي سديم بتفصل إنه مريض مشاعر بيموت.
- بيموت لوحده صح؟

أطال النظر إلى عينيها وهو يراقب الفزع الذي تثيره نظرته إليها، الصمت يعني العكس، يعني أن من يُصاب بالمشاعر يُقتل ولا يُعالج، مريض المشاعر لا يحظى بفرصة أخرى، إما أن تقتله مشاعره أو يقتله الناس؟!

كان الجميع متأهبًا لأي خطر قد يحدث في أيةِ لحظة فالتزموا بقواعدهم الجديدة ألا يأكلوا طعام المُخيم وألا يتفرقوا مطلقًا، فقضوا الأيام نائمين في خيمة واحدة سويًّا، وفي الليلة الثانية قد

كان؛ شعر طارق بحركة غير مألوفة تحدث من حولهم ليلًا، كان المُخيم ساكنًا جدًّا تكاد تسمع صوت أنفاسك وحركة الرياح من حولك، فتح جزء صغير من مدخل الخيمة ليجد الجنود يقومون بدوريات بالخارج وكل سكان المُخيم ساكنين، لم يكن يعلم سبب السكون ولكنه وجد الجنود يدخلون الخيم بالتتابع، ولمحهم من بعيد وهم يدلفون إلى إحدى الخيم أن سكانها نائمون، تتبعتهم عيناه حتى دخلا أخرى ليجد السكان نائمين؛ أسرع إلى الْخيمة وطلب منهم جميعًا أن يناموا فورًا، هنالك شيء ما يحدث وقد نام السكان جميعًا، اليوم هو اليوم المُنتظر وعليهم ألا يثيروا الشكوك، مرت بضع دقائق ودخل عليهم جنديان بلا استئذان يتحركان في الخيمة كما يحلو لهما وينثران عند مدخل الخيمة وقودًا نفاذ الرائحة؛ اضطربت أنفاس فريدة وهي تضع يدها على صغيرها عمر لتطمئن أن الحركة بالخيمة لن توقظه. انتظروا لبعض الوقت بعدما رحل الجنود ثم بدأ الهمس بينهم:

- إحنا هنهرب إزاي دلوقتي؟

همستها ليلى وهي تسأل بقلق، فقد يبدو أنهم خدروا سكان المُخيم جميعًا، وأي حركة منهم الآن ستكون واضحة وضوح الشمس.

اعتدل سليم على فراشه ليكون بمواجهة ليلى، وبدون أن ينطق بكلمة مد يده إلى رأسها وأخذ مشبك شعرها، وقبل أن تسأل عن السبب التفت مرة أخرى ونظر إلى طارق وأشار له بالمشبك، وعلى الفور تفهم صديقه الخطة فسار على نهجه وطلب من فريدة التي

كانت تنام على الفراش المقابل له بجانب عمر أن تعطيه مشبك شعرها، فاستجابت وسلمته إليه بهدوءٍ.

تحرك الصديقان بكل هدوءٍ إلى نهاية الخيمة وكسرا المشبكين حتى خرج منهما جزء حاد صغير، بدأ سليم أولًا فجلس على الأرض وحاول إحداث ثقب صغير في قماش الخيمة قبل نهايته من الأسفل ببضعة سنتيمترات، وبالجهة الأخرى بدأ طارق يفعل مثله. استغرقهم الأمر وقتًا فقد كان القماش ذا خامة جيدة جدًّا ولا يثقب بسهولة، ولم يكن المشبك بهذه الحدة حتى يساعدهم على الانتهاء سريًعا.

تحركت فريدة بهدوءٍ نحو باب الخيمة حتى تراقب الأجواء، كان الصمت قاتلًا فسمعا بوضوح أنفاس ليلى وكأنها تبكي، التفت سليم إليها وقد كان على وشك الانتهاء ليجدها تبكي بالفعل؛ أشار لها بيده أن تكتم أنفاسها فقد يؤدي بكاؤها إلى كشفهم، وقد كان أمرًا منطقيًا أن يبكيها الموقف، ولكنهم كانوا مستعدين إلى حدٍ ما فما فائدة البكاء الآن؟!

انتهى الرجلان من صنع بابٍ صغير في نهاية الخيمة ليهربوا منه حين تشتعل النيران، واستلم طارق من زوجته نوبة الحراسة وجلس الجميع منتظرين.

- إن شاء الله هنعرف نهرب.

قالها سليم وهو يمسح على وجه زوجته ليُطمئنها، ولكن زادت كلماته بداخلها الحزن فبدأت تبكي من جديد:

- أنا مش بعيط علينا، الناس يا سليم!

التفتت إليهم فريدة وظلت تتابع حديثهم بصمتٍ لتفهم ماذا عن الناس؟

- الناس نايمة، ما حدش فيهم حتى عنده فرصة يهرب، ممكن أصلًا ما يصحوش في الوقت المناسب.

لم يفكر أي منهم بهذا الأمر من قبل، أواجبهم أن ينقذوا الجميع؟ أكان يجب عليهم وضع خطة لخروج أكبر عدد أم كل امرئ مسؤول عن نفسه؟ هل تصبح مسؤوليتك حماية من لا يعلم أن هناك خطرًا ما دمت تعلم به؟

- هنعمل إيه للناس يا ليلى؟ أنا كل همي إن إحنا اللي نخرج من الكابوس دا.

تدخلت فريدة في الحديث ردًا على سليم قائلة:

- ليلى معاها حق، فيه أطفال وأمهات وناس كبيرة، لو كنا إحنا مكانهم ما كنتش هتحب حد يلحقك؟

- هنعمل إيه يا فريدة؟ هنروح نشد الناس وهي نايمة من بيوتها؟

نظرت ليلى إلى الباب الصغير في نهاية خيمتهم وأمسكت بيد سليم وقالت بهدوء:

- بلاش نشدهم من إيدهم برة، تعالى نسيب لهم فرصة يهربوا لو قدروا.

تطلع في مشكبها الذي ما زال بيده فأكملت حديثها:

- هم بيرموا بنزين قدام الباب علشان ما حدش يعرف يخرج حتى لو حاول، يعني ممكن يكون فيه ناس

هتفوق، تعالى نعمل لهم أبواب زي دي في خيمهم، تعالى نعمل اللي علينا.

وقف سليم وأحكم قبضته على المشبك وقال لطارق:

- خليك هنا معاهم.

- مستحيل.

قالها صديقه وهو ينظر إليه بحدة.

- هتروح إزاي لوحدك؟ لازم حد يراقب علشان ما حدش يشوفك.

- هنسيبهم لوحدهم؟

- كريم معاهم والباب ورا، أول ما تلاقوا نار بدأت تمسك في الخيم اهربوا من ورا وما تبصوش وراكم.

قالها طارق بصوتٍ منخفض وهو ينظر إليهم، فتدخلت فريدة بهدوءٍ تام:

- طارق صح، ما ينفعش تروح لوحدك.

- هندخل من الباب اللي قدام زي ما الجنود بتعمل، نتحرك من خيمة للي جمبها بهدوء علشان ما نبقاش بنعمل خطوات طويلة فنتشاف، هنروح لحد الخيم اللي شفتهم بعيني خلاص دخلوها ورموا فيها البنزين، مش هنروح أي خيمة ما فيش على بابها بنزين.

وقفت ليلى وجمعت الأغطية الموجودة بالخيمة وسلمتها لسليم، وقالت:

- خلوا معاكم دول احتياطي، لو حد فيكم النار مسكت فيه التاني يلحقه.

لم تكن أفضل الخطط ولكنها كانت الخطة الوحيدة التي يرضاها ضميرهم، فإذا هربوا سيعيش كل منهم مع نفسه لمدة طويلة جدًّا ولن يحتمل المرء ما يفعله به شعور الذنب على المدى البعيد. تحرك الصديقان خارجًا وبدأوا رحلتهم بين الخيم بحذر، لا تخطو أقدامهم خطوات طويلة حتى لا يشعر بهم أحد.

لم يكن عدد الجنود كبيرًا بالأرض وقد كان شيئًا مريبًا، ولكنه كان في صالحهما، ولكنهما لمحا الجنود المتبقين يدخلون إلى خيم قد دخلوا إليها من قبل، خيم بعينها يعودون إليها مرة أخرى، فتأهبَ الصديقان للهروب بأي وقت. سارا على خطٍ مستقيم بهدوءٍ يدخلان الخيم ويصنعان أبوابًا صغيرة بالخلف ويرحلان. مرت ساعة كاملة وهما منهكان في العمل بهدوء وبسرعة حتى يتسنى لهما العودة قبل ساعة الصفر.

كان العمل بالتناوب، أحدهما يراقب والآخر يعمل، وحين كان سليم يراقب الأجواء شهد أول نيران تُلقى على المُخيم؛ انتفض ذعرًا وركض نحو طارق ليخرجا من هناك في أسرع وقتٍ ويعودا إلى خيمتهما وكانا قد ابتعدا كثيرًا. ركض طارق ومن خلفه سليم من هذه الخيمة وظلا يركضان وهما يشاهدان النيران من حولهما وبدأ الصراخ يشتعل. كانت ليلى على حق، بعض منهم قد استيقظ حقًّا وقد كان الصراخ لا يحتمل، تتغير مساراتهما بسبب النيران التي تمسك بالأقمشة والأجسام بأسرع وقت وكأنها تسارعهما للوصول،

وبالخيمة كانت مناوبة ليلى قد بدأت للحراسة فوجدت بعض الجنود يقتربون من خيمتهم؛ أسرعت إلى الداخل وخلد كل منهم إلى فراشه مختبئين وكأنهم نيام.

دخل جنديان من باب الخيمة يتحركان حول الفراش ويقتربان، يبدو أنهما لم يلاحظا غياب الرجال. ازدادت نبضات قلب ليلى والجندي يقترب من فراشها، وبدأت فريدة تحكم قبضتها على عمر وتتابع صوت أنفاس كريم بجوارها. اقترب الجندي من ليلى ووضع يده على نغم، فتمالكت أعصابها أطول فترة ممكنة حتى شعرت به يسحبها من حضنها وبدأ الصراخ يشتعل بالخارج؛ صاح أحدهما بالآخر أن يسرع الآن فاختطف نغم بسرعة، وهنا وقفت ليلى لتنتزع طفلتها من يده، فهي لم تكن تعلم ما الذي يحدث؟ ولماذا يأخذ منها طفلتها؟

فزعت فريدة على ولديها فسلمت عمر لأخيه الأكبر وأمرته بالهروب الآن. ركض كريم حاملًا شقيقه باتجاه الباب الخلفي وهو يبكي بشدة مما يحدث من حوله وفي أذنيه صوت أمه وهي تصيح به: «**اجري يا كريم وما ترجعش وما تبصش وراك**». اشتد النزاع بين ليلى والجندي وهي تمسك بذراعيه لا تفلتها ولا تريد أن تتركه يفلت بابنتها والحرارة والدخان يقتربان منهما وتساعدها فريدة، ولكن الجندي الآخر يحاول منعها، وعند اقتراب النيران من باب خيمتهم ركض الجندي الآخر لتصبح فريدة حرة وتركض نحو صديقتها لتضرب الجندي بكل قوتها على رأسه ليفلت الطفلة ويتركهما وشأنهما، ولكنه كان أقوى منهما. تحركت ليلى من خلفه ووضعت إصبعيها في حدقتي عينيه فبدأ يتألم وأفلت ابنتها.

أمسكت فريدة بنغم وهي تتابع ليلى بعينيها، فصرخت بها ليلى: «**اهربي، خدي نغم واجري يا فريدة، خدي بنتي واجري**». تحركت فريدة للخلف بخطواتٍ بطيئة وهي تبكي وتتطلع إلى النيران وهي تصل إلى أعتابهم وتصيح: «**لا يا ليلى تعالي**»، والدموع تنهمر وهي تشاهد النيران تقترب أكثر والجندي يقاوم ليلى حتى سقطت أرضًا معه على ظهرها بجانب النيران التي قد اقتحمت خيمتهم بالفعل لتقترب وتلتهم ما تصل إليه منهما. ركضت فريدة وهي تصيح كالمجانين: «**لا يا ليلى، أنا آسفة، يا ليلى!**».

ظلت تصرخ وتصيح باسمها وهي ترى الخمية من خلفها تتحول إلى رمادٍ والصغيرة بيدها تبكي وتصيح على صياحها وعيناها تبحثان عن طفليها وزوجها في الأرجاء، حتى وجدت نفسها تقف أمام سليم تحمل ابنته وتنظر إليه بذعرٍ وتصيح باكية: «**ليلى!**»، صرخ طارق بجانبه: «**لا، ليه؟ وفين الولادٍ؟!**»، أما سليم فظل ساكنًا يتأمل خيمتهم التي أصبحت رمادًا لم يتبقَ منها شيء ولا يسمع من حوله سوى بكاء صغيرته. لم يتحرك ولم ينطق وفريدة تصيح أمامه: «**أنا آسفة، هي اللي قالت لي**».

ظل طارق يتفحص كل الأماكن ليجد كريم يركض باتجاهه حاملًا شقيقه الصغير ويبكي، احتضنهما معًا وأخذ عمر من أخيه ليخفف الحمل عنه ويعطي عمر لأمه ونغم إلى كريم، ثم صرخ بفريدة أن تركض مبتعدة باتجاه الصحراء، وتطلع هو بصديقه وبدأ يحركه بكل قوته لعله يستجيب، ولكنه لا يتحرك، عيناه ثابتتان على بقايا الخيمة التي تحتضن بقايا ليلى في صمتٍ تام. لم يكن أمامه

حل آخر، فجمع كل ما لديه من قوة وحمل صديقه على كتفه وبدأ يتحرك، كان يحاول إنقاذ آخر ما تبقى، كان يحاول محاربة ذعره والخروج مع صديقه، كان يعلم جيدًا أن ما يحدث الآن سيخلد في ذاكرتهم جميعًا فيبدو أنها آخر أيام البشر.. لن يقوى على تركه وإن كان هذا أرحم له.. لن يتخلى عنه وإن كان التخلي أأمن.

«**نغم محتاجة لك يا سليم، أنا محتاجك يا صاحبي، نغم يا سليم، علشان خاطر نغم يا صاحبي**».

بعد أيام من الانتظار وصلتها رسالة من عمر: «**فاضية نتقابل النهاردا؟**»، جملة واحدة فقط، لم يُبرر غيابه ولا كلماته ولم يتصل بها حتى ليوضح لها معنى حديثه، كيف له ألا يكون من سكان سديم؟ في ذلك اليوم لم تفهم منه شيئًا فقد كانت معهما والدتها وشقيقتها الصغيرة، لم تتحدث معه حتى وصلوا إلى منزلهم وودعهم بهدوءٍ ثم رحل، رحل أيامًا تاركًا إياها بلا تفسير والأفكار تتلاعب بعقلها كل ثانية، مشاعرها قد أصبحت مرتبكة وغير واضحة، تشكك في كل شيءٍ وكل كلمة قد قالها لها. ارتدت ملابسها بهدوءٍ خارجي لا يُعبر تمامًا عن الثورة المشتعلة بعقلها، ثم ودعت والدتها وذهبت إلى مكان اللقاء المُعتاد لتجده يجلس على الرصيف في صمت.

ـ ممكن أعرف إنت كنت فين؟

ـ اقعدي طيب الأول!

ـ لأ مش هاقعد، فسر لي كل كلمة قلتها، كفايا غموض وكلام ما لوش معنى.

ـ أنا كلامي ما لوش معنى؟

- آه، كلامك كله ألغاز وأنا تعبت، عقلي هينفجر ولما بتغيب كتير باحس إني مش مرتاحة ومش عارفة أعمل حاجة.

- لو وجودي هو اللي بيخليكِ كويسة يبقى إنتِ مش كويسة.

- يعني إيه؟

رفع رأسه إليها ليجدها تقف وعلى وجهها ألف علامة تعجب قبل الاستفهام، فوقف أمامها وقال بكل هدوء:

- لو إنتِ مش كويسة لوحدك يبقى إنتِ مش كويسة، اعتمادك على حد تاني علشان تحسي إنك كويسة معناه إنك ماشية غلط.

- إنت اللي بتقول لي أعمل إيه.

- وإنتِ ما عندكيش عقل؟

بدأ الغضب يشتعل بداخلها وقالت بحدة:

- لأ عندي عقل، وعندي منطق كمان زيي زي أهل سديم كلهم، بس إنت اللي عارف في المشاعر وعارف أتصرف معاها إزاي.

- ولو أنا مت؟ لو مشيت وما جيتش تاني! لو سبتك! هتعملي إيه؟

سكتت قليلًا وهي تفكر وقالت بنبرة منخفضة جدًّا:

- هاحس إني تايهة.

- ما بتعرفيش تدوري لوحدك؟

- باعرف.
- أومال بتدوري علشاني ومن خلالي ليه؟
- أسهل، كدا أسهل، ما انت عارف ومعاك الورق أروح أدور لوحدي ليه؟!
- لو مش هتعرفي تفصلي بين انجذابك ليا وبين أهمية إنك تكوني عارفة نفسك وبتحبيها وبتعرفي تحددي مشاعرك يبقى إنتِ في خطر أكبر من إنك تكوني ما بتحسيش أصلًا.
- يعني إيه يا عمر؟

جلست على الأرض وهي تشعر بالإرهاق، جاءت لتفهم معنى كلامه والآن قد أصبحت لكلماته معانٍ أخرى كثيرة، ما الذي يتحدث عنه؟

- عمر أنا مش فاهمة حاجة.
- تيماء، اللي بيحب نفسه علشان حد قال له إنها تتحب هيكرها لو الشخص دا مشي أو قال له إنه بطل يحبه، لما تيجي تحسي وتقيمي نفسك ما تستنيش حد، إنتِ وبس.
- إنت عايز مني إيه؟
- عايزك تبقي كويسة لوحدك، عايزك كويسة من غيري.

رفعت رأسها إليه وسألت بخوف:

- ليه؟ هو إنت رايح فين؟!
- راجع بيتي.

جلس بجانبها فالتفتت إليه وسألت وهي تخشى الإجابة بشدة:

ـ هو إنت إزاي مش من سديم؟

ـ تفتكري المُبالغين راحوا فين؟

ـ ماتوا.

ـ كلهم!

ـ آه.

ـ لأ، مش كلهم.

ـ المبالغين عايشين يا عمر!

قالتها بدهشة وهي تتطلع إلى ملامح وجهه الجادة.

ـ فيه ناس من المبالغين هربوا لما جنود سديم ولعوا في المخيم بتاعهم، فيه منهم اللي هرب ومنهم اللي مات.. أنا كنت من اللي هربوا أو بمعنى أصح أهلي.

وقفت بفزع وهي تنظر إليه غير مصدقة لما يقوله.

ـ جنود سديم ولعوا فيهم؟!

ظل يتطلع إليها بعينين ثابتتين، ثم قالت مستنكرة:

ـ لأ طبعًا، المُبالغين قتلوا بعض.

ـ وانت مصدقة؟ فجأة كدا ناس هتقوم تقتل بعض من غير سبب في لمح البصر! هنموّت بعض لو فعلًا فيه حد جه قال لنا إنه هيرجع ياخدنا؟!

ـ عمر إنت بتقول إيه؟

- بقول اللي قرأتيه في الورق ومن جواكِ عارفة إنه ممكن يكون حقيقة، اتخضيتِ ليه دلوقتي؟

أمسك بيدها لتهدأ ودعاها للجلوس بجانبه وبدأ يخبرها القصة التي كان يقصها عليه والداه كل ليلة، قصة النجاة بعد حروب طويلة في هذا العالم المجنون ووجودهم في المخيمات وتقسيهم إلى مجموعات حتى اللحظة الفارقة، قص عليها طريقة خروجهم من المُخيم تلك الليلة، وكيف كان هو بطل مشهد اكتشاف الجريمة البشعة التي حدثت لهم، وأخبرها عن والده وصديقه اللذين أنقذا الناس من هلاكٍ محتم، سرد لها كل التفاصيل الخاصة بالمخيم وشكله وطريقة الحياة والأبواب الصغيرة في نهاية كل خيمة التي كانت سببًا لحياة جديدة.

كان اقتراح سيدة لم تنجُ لترى عدد الناجين بفضلها، ظلت تيماء تتطلع به وهي تبكي، نعم هي تشعر بالأسى والظلم الذي حل على كل من كان يشعر، تشعر بالذعر وهي تتخيل والديها في وسط هذا الدمار، ألم يتخلّ عنها والداها بإرادتهما رغبةً في حصولها على مستقبلٍ أفضل؟! وهنا أخبرها عمر بما اكتشفه حين جاء إليها، لم يفهموا يومًا لم صارع الجندي ليلى على الطفلة، لم يفهم كل من لم يجد طفله بأنه سُلب منه وهو نائم؛ ظن الجميع أن أطفالهم قتلوا حرقًا في مُخيم النيران، وحده عمر علم بأمر المتبنين وخطف الأطفال من أحضان أمهاتهم حين أخبرته هي.

- لو عايزة تصدقيني يا تيماء صدقيني، وعندك فرصة تيجي معايا تشوفيهم كمان.

-

- كلهم طلبوا مني أبعد عن سديم بس أنا كنت جاي ناوي أعرّف الناس كلها باللي حصل، مش عارف أقبل الظلم اللي حصل وشايف إن سديم هي اللي تستحق الهلاك.
- عايزنا نموت؟
- لأ، عايزكم تعرفوا إن المشاعر مش عيب ولا مرض، عايزكم تعرفوا إن سديم ضحكت عليكم وإن علاج المشاعر في التحكم فيها مش كبتها.
- وليه أنا؟
- ما اعرفش، ما كنتش مخطط أقابلك، بس إنتِ اللي قابلتيني وبدأنا نتكلم ومشيت وراكِ أول مرة علشان أعرف مكان بيتك، خفت تكوني مصدر تهديد لنا، بس من ساعتها وأنا مش عايز حاجة غير إني أساعدك تكوني أحسن وآخدك معايا.
- عايز تاخدني معاك؟!
- تيماء أنا مش عايز أسيبك، أنا مش فارق معايا سديم كلها ولا كل الناس اللي فيها.
- والورق؟
- أنا اللي كتبته، كنت باحط الرسايل في كتب المكتبة على أمل إن الناس تبدأ تسأل، على أمل إني ألفت الانتباه، بس كل القواعد وطريقة التحكم في المشاعر دي مش أنا اللي كاتبها من دماغي.

- مين اللي قال لك عليها؟
- بعد اللي حصل عرفنا من جندي كان بيموت إننا متصنفين.. عرفنا إننا بيتقال علينا مرضى مشاعر ومن ساعتها وأهالينا بيعلمونا نتحكم في مشاعرنا ونحبها علشان نعرف نحب بعض، القواعد دي هي مدرستي من وأنا صغير.
- في مدرستكم بيعلموكم تتحكموا في مشاعركم؟
- كلنا بنحس وبنحب وبنخاف على بعض وبنتعلم نسيطر على مشاعرنا ونفهمها، مش بس مدرستنا حتى في تربية أهالينا.. الحياة برة سديم حلوة أوي، تعالي معايا.
- آجي معاك!! وأهلي وإخواتي، ليه أروح هناك؟
- علشان أنا باحبك.

مرت نصف ساعة وهي تجلس أمامه في ذهول، تتابع حديثه بصمتٍ غير مصدقة لأيٍّ مما يحدث، تخشى الاعتراف بأن شيئًا ما يحدث بداخلها وأنها الآن تختبر شعورًا لم تشعر به من قبل. إن اعترفت بأنها تشعر سيقتلونها ولن يتردد أحد في القضاء على الوباء الذي يسكن جسدها. رن جرس هاتفها لتجد ياسر يتصل فقد تأخرت كثيرًا بالفعل، ولكن لا يمكنها أن تذهب إلى المنزل وهي بهذه الحالة، أجابته لتخبره أن عليها أن تخضع لفحوصات عديدة لتتأكد من أنها لم تُصَب بعدوى المشاعر من سميرة باعتبارها آخر من تواجد معها في نفس المكان.

تصنعت الهدوء طوال المكالمة وشكرته على مجيئه معها من البداية وطلبت منه الرحيل الآن وأنها ستعود للمنزل بمفردها بعدما تنتهي. ظل عامر يتطلع بها ومن داخله هو الآخر يشعر بشيءٍ غريب، ولكن جزءًا منه يشعر بالاطمئنان بأنه ليس الوحيد في المدينة، لم يعد الشخص الوحيد بأفكاره وشرود ذهنه معظم الوقت، لم يعد الشخص الوحيد الذي تدور بذهنه تساؤلات عديدة. لا توجد راحة أشد من أن تشعر بأن هناك من يشاركك نفس شعورك حتى وإن كنت لا تعرفه، فالأهم ألا تكون وحيدًا.

- ممكن تدوري معايا على تشابه؟ حاجة واحدة بس أقدر أحدد بيها مريض المشاعر من الشخص اللي عنده شوية اضطراب وهيعدوا.

رفعت عينيها إليه وهو يمسك العديد من الملفات بيده.

- كل دول حالات؟!

أومأ برأسه إيجابًا.

- ليهم فيديوهات برضه؟

- أيوة، ثواني وهاروح أجيب الفيديوهات بتاعتهم وآجي لك.

تركها في المكتب وحيدة فهاتفت والديها وأخبرتهما بأنها ستتأخر قليلًا في الفحوصات، وطمأنتهما عليها وأنها بخير. أمسكت الملفات وبدأت تتفحصها وتنظر إلى صور الحالات وتتأمل ملامحهم الهادئة، من كان يعلم أن هذه الوجوه الهادئة أصحابها يعانون من اضطرابات عنيفة بداخلهم لا يعلم عنها أحد؟ جاء إليها عامر وجلسا

ساعتين يشاهدان المقاطع المُصورة للحالات وتدون هي ملاحظاتها ويكتب هو بالملفات بعض الأسئلة.

- لاحظتِ أي تشابه؟

- كلهم متلخبطين، أو فيه أسئلة كتيرة في كلامهم.. فعلًا أسئلة متأخرة وغريبة.

تطلعت إلى الملفات قليلًا ثم سألت:

- ليه بيسألوا عن المخيمات والحرب دلوقتي؟

نظرت إلى صور المرضى مرة أخرى وهي حقًّا لا تعلم أين التشابه ولماذا يتذكر هؤلاء الناس حياتهم قبل المدينة بأسى وكأن ذاكرتهم عنها لم ترحل، وكأنها قد غابت كل هذه السنوات وعادت الآن بلا سبب. أمسك هو منها الملفات وبدأ يفصلهم إلى ثلاثة أقسام.. قسم كان له النصيب الأكبر، وقسم آخر احتوى على خمسة ملفات، والأخير كان به اثنان فقط.

- إيه دول؟

أشار إلى القسم الأكبر وقال لها بأسى: «**دول اللي سديم أكدت إنهم مرضى مشاعر**»، ثم انتقل إلى القسم الذي يحتوي على خمسة ملفات وقال بهدوء: «**ودول اللي زودنا لهم جرعة المصل وروحوا**»، ثم انتقل إلى آخر قسم أمامهما وقال باهتمام: «**ودول بقى الحالتين اللي لسا عندنا وسديم هتقول رأيها فيهم كمان شوية**»، وقبل أن تنطق حليمة بكلمة أكمل حديثه هو قائلًا:

- مع العلم إن الخمس ملفات اللي زودنا لهم الجرعة وروحوا منهم حالة رجعت لنا جثة.

قالها وهو يسحب ملف سميرة من وسط الخمسة ملفات المُختارين بعناية وتم تصنيفهم بأن ليس لديهم سوى اضطرابٍ فقط لا غير. أمسكت تيماء بملف سميرة وقالت وهي تستوعبُ شيئًا فشيئًا ما يتضمنه حديثه دون أن ينطق به صراحةً:

- وانت بتقول إن سديم بس هي اللي بتقدر تحدد دا مريض ولا لأ؟
- أيوة.
- يعني سديم مش دايمًا على حق!
-
- يعني زي ما هي غلطت وصنفت سميرة اضطراب وهيتعالج وهي كانت مريضة مشاعر، ممكن تكون صنفت ناس كويسة إنهم عيانين وموتتهم!

ظل يحدق بها ساكنًا دون أن يؤكد على كلامها ولكنه لم ينفِهِ، يشعر من داخله بأنه لا يحق له الاعتراض على المبنى العظيم فهذا ما نشأ عليه منذ الصغر، ولكنه يعلم بكل ما بداخله من يقين أنها على حق، وأن هناك شيئًا كان ناقصًا منذ البداية ولكنهم لم يبحثوا عنه. وقفت حليمة وبدأت تتحرك في الغرفة هنا وهناك ثم اقتربت من المكتب وأمسكت الملاحظات التي دونتها وبدأت تحدث نفسها:

- في الاختبار طنط سميرة ما كانش عندها أسئلة كتير، أو كان عندها بس ما قالتش، بس كل اللي اتقتلوا كان عندهم أسئلة كتير وكلها عبارة عن مشاعر أو أسئلة بتخليهم يحسوا إنهم مظلومين أو ندمانين أو بالذنب،

فيه ربط قوي بين الأفكار والأسئلة اللي في بالك وبين مشاعرك.

مدت يدها له ليعطيها ملف أول حالة تحدثا عنها وقالت بحزم:

- الراجل دا مريض مشاعر لأن كل أسئلته حتى ولو كانت بهدوء بتؤدي إنه شاكك في طريقة تصنيفهم في المخيم وحاسس بالذنب، حاسس إنه هو اللي قتل مراته.

جلست أمامه ونظرت إليه وقالت بقلق:

- وسميرة كانت أسئلتها قليلة بس زادت بعد ما رُحت وبعد ما عمو ممدوح سابها، عارف دا معناه إيه؟

- إيه؟

- معناه إن المشاعر درجات، إن المرض دا مراحل ممكن يكون عندك قليل والتصرفات أو طريقة تعامل الناس معاك تزوده، ممكن يكون جمبك حد عنده مشاعر زيادة أو مجرد اضطراب وبتصرفاتك تحولها له لمرض.

بدأ يفكر معها بنفس النمط، المشاعر ليست مرضًا معديًا ولكنه يحدث بسبب الآخرين وأنفسنا، قد تتحول أسئلتنا لبعض اضطرابات المشاعر، وقد تؤدي تصرفات عائلتك أو أصدقائك والناس من وحولك لتحول هذه الاضطرابات إلى مشاعر، وإن لم ينتبه الآخرون لما يفعلونه قد تتحول هذه المشاعر إلى مشاعر عنيفة فيتحول الأمر إلى شيءٍ يصعب السيطرة عليه.

- يعني سميرة ما كانتش عيانة، بس تصرفات اللي حواليها حولوا اضطرابها لمرض؟

- هي كان عندها اضطراب وكانت متفهمة دا، بس تخلي جوزها عنها ولما ولادها رموها من غير سؤال لمجرد تغيُّر بسيط في سلوكها في البداية بدأت تتعب وتزعق وتكون عنيفة.. لحد ما قتلت نفسها.

كانا منسجمين تمامًا في ربط الخيوط ببعضها البعض والوصول إلى استنتاجات منطقية لشيءٍ لا منطق له على الإطلاق، حتى فاجأهما شخص ما وطرق على الباب فجأة، وحين أجابه عامر وفتح الباب طلب منه الحضور على الفور، خرج عامر مسرعًا وعاد بعد ثلاث دقائق وعلى وجهه القلق ظاهرًا وسألها:

- هو إنتِ تعرفي عيلة سميرة دي كويس؟

وقفت وهي تتفحص ملامحه الغريبة وقالت بتماسك:

- آه، دي صاحبة ماما ومتربين معاهم يُعتبر هي وهبة بنتها وابنها وعمو ممدوح.

- هبة دي بنتها الوحيدة؟

- آه.

ضغط على شفتيه لثوانٍ ثم قال لها بهدوءٍ:

- طيب ممكن تقعدي؟

نظرت إليه بقلقٍ وسألته:

- هو فيه إيه؟

- هبه قتلت أبوها.

- إيه؟!

سقطت على الكرسي من الصدمة، قتل! كيف؟ لم تُستخدم هذه الكلمة في مدينتهم من قبل، لم تسمع عنها سوى في قصص المُبالغين والأساطير عن العالم القديم، لم يُقتل أحد هنا.

- الناس سمعت صريخ في العمارة وبلغونا، ولما وصلنا لقينا إن حصل شجار بينها وبين باباها وهو عندها في البيت وقتلته.

- إزاي؟!

- حدفته بطفاية كريستال على راسه.

- إيه دا؟! إيه دا؟! هو إيه اللي بيحصل؟!

أمسك عامر بمعطفٍ أبيض من على الشماعة خلف باب مكتبه وسلمه إياها قائلًا:

- الموضوع انتشر والجيران كلهم عرفوا إن فيه حادثة حصلت، ما بقاش فيه مجال نخبي إن فيه حالات وسطنا، الموضوع دا لازم يتسيطر عليه، خدي البالطو دا وخليكِ ماشية جمبي وركزي في كل حاجة بتحصل، لازم تحضري معايا التحقيق مع هبة، ما حدش غيرك هيقدر يعرف بسهولة الاختلاف في سلوكها.. إنتِ تعرفيها قبل وهتشوفيها بعد.

أمسكت البالطو وظلت ساكنة لدقائق؛ تحاول استيعاب ما يحدث ودفن ما تشعر به في مكانٍ عميق بداخلها، هي الآن بالمبنى العظيم ولا مجال للخطأ، لا مجال للتراجع أيضًا، عليها أن تُكمل

المهمة للنهاية دون أن تطفو مشاعرها على سطح تصرفاتها، فإن كُشفت قُتلت!

جلست بجانبه تستمع إلى كل ما يحكيه عن المكان البعيد الذي يشعر به الناس جميعًا، لا يمكنك أن تطلب من أحد محاورتك بالمنطق فقط ولا المشاعر فقط، هنالك دائمًا مجال للاثنين. جلست تستمع وتتأمل بريق عينيه وهو يتحدث عن موطنه وتمنت لو كانت تشعر بالانتماء مثله. وقف فجأة ومد يده إليها وطلب منها أن تذهب معه لرؤيتهم، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، لعلها تغيب ساعات أو تعود في الظلام.

- هو إنتم مش بعيد؟
- مش أوي، بعيد لو اتمشيتِ وقريب لو ركبتِ العجلة.
- بتتحركوا بالعجل؟
- أسهل طريقة، بس هي عجلة واحدة اللي عندنا.
- أنا ما عنديش عجلة.
- أنا معايا بتاعتي، باخدها منهم علشان ببعد.
- ما ينفعش أتأخر.
- ما تقلقيش.

مدت يدها إليه وداخلها مسحورٌ بوقع المدينة السحرية التي يشعر بها الجميع ويحب بعضهم ويسألون في تفاصيل الحياة بلا خوفٍ ولا تطفل. ذهبت معه لتراه يتسلل من أسفل أسوار المدينة في

مكانٍ متطرف بعيد، وكان قد صنع لنفسه نفقًا خاصًا ليخرج ويدخل ولكن عليه أن يردم منه جزءًا كل مرة حتى لا يكتشفه الحراس. تبعته وخرجت من أسوار المدينة ولم تكن تتخيل يومًا أن هناك حياة بالخارج، فقط تصورت أن الخراب هو ما يمثُل خلف الأسوار. تحركا سويًّا وجلست أمامه على الدراجة وتحركا سويًّا.

ـ لو كانت سديم قتلتكم ليه ما بعدتوش جدًّا عن هنا؟

ـ أولًا سديم كانت مختارة المكان الأقل ضررًا من الإشعاش النووي والكلام دا، ثانيًا كان اقتراح من عمي سليم إننا ما نبعدش علشان لو حصل وفي يوم ما لقيناش حاجة ناكلها ولا نشربها يبقى سهل علينا ندخل نسرقكم.

ـ السرقة حرام وغلط.

ـ والقتل كمان حرام وغلط.

صمتت ونظرت أمامها إلى الصحراء الجرداء التي يسيران بها، ثم قالت:

ـ هو إنت ممكن تكون هتقتلني؟

ـ أو ممكن نكون بناكل بني آدمين وواخدك هناك علشان العشا!

أسقطت قدمها فجأة لتحاول إيقاف الدراجة، فنظر إليها بتعجبٍ وقال:

ـ تيماء أنا بهزر.

ـ

ـ لو عايزة ترجعي هارجّعك دلوقتي، إنتِ خايفة مني؟

- مش منطقي اللي أنا عملته، غلط.
- أحيانًا الناس بتعمل تصرفات غبية أو ممكن تؤدي لمصيبة في سبيل إنهم يحسوا أو يفهموا حاجة أكبر.
- ودا صح؟
- على حسب هتنتهي إزاي!
-
- يعني لو لقيتِ مكان تاني فعلًا زي ما كنت باحكي عنه يبقى المخاطرة اللي عملتيها كانت صح.
- ولو ما فيش؟
- يبقى قرارك كان غلط.

تطلعت إلى عينيه الهادئتين وهي تشعر بداخلها أن عليها أن تمضي معه للنهاية، إن عادت الآن ستتساءل ما تبقى من عمرها عما لم تَرَه، وإن أكملت الطريق لعله يكون آخر طريقٍ تذهب به، ولكنه على الأقل كان اختيارها. رفعت قدميها مرة أخرى فتحرك هو دون أن يزيد من حيرتها.

- يعني إنت كنت بتسرق أكلنا؟!
- بصراحة أنا سرقت التليفون اللي باكلمك منه، وسرقت الهدوم دي، أول ما دخلت ما كُنتش شبهكم خالص.

ضحكت وهي تنظر إلى ملابسه وتتعجب من جرأته على اقتحام مدينة كاملة.

- عمي سليم هو اللي شجعني على الحركة دي وقال لي إن لازم نبني نفق يوصلنا لسديم علشان لو يوم حصل حاجة نقدر نحمي الناس بتوعنا ونأكلهم.
- مين سليم دا؟
- دا صاحب عُمر أبويا، أكتر حد بيفهمي في الدنيا.
- هتعرفني عليه؟
- هاعرفك عليه وعلى نغم بنته.

جلس الجميع في مكانٍ مظلم بعيد، ظلوا يركضون حتى هدأ الصراخ وبدأت النيران في الانطفاء، فلم يعد هناك ما تلتهمه. جلست فريدة وبجانبها أولادها والجميع يبكي وإن كان في صمتٍ مثل طارق. كان صوت بكاء أطفالهم مسموعًا خاصة تلك الصغيرة نغم، تصرخ وكأنها تفهم ما حل بهم وبوالدتها، أما عن سليم فظل ساكنًا لا يتحرك، يجلس على الأرض يتأمل انطفاء النيران من بعيد، لا يكترث لشيءٍ من حوله.

هدأ الجميع وتعالت صرخات بكاء نغم المستمرة، هنا وقف ونظر إلى صغيرته دون أن تتلاقى عيناه مع فريدة التي تحملها، ومد يده لها حتى تسلمه ابنته، احتضنها واستنشق آخر ما تبقى من رائحة ليلى على ثيابها، هزت الرائحة كيانه فإنه الآن يعلم جيدًا أنها المرة الأخيرة، لن تبقى رائحتها طويلًا معه، لن يتحدث معها عن مخاوفه من القادم فهي لم تعد جزءًا منه، لن تكمل معه الطريق.

ضم صغيرته إلى صدره وبدأ يغني لها تهويدتها المفضلة التي اعتادت على سماعها من والدتها، وبدأ يتغلل إلى صوت غنائِه البكاء، ابتعد عنهما وهو يغني ويبكي ويحتضن صغيرته، لن يستطع تجاوز ليلى، لن يقوى على فراقها، ولكنها تركت له مسؤولية البقاء على قيد الحياة، تركت له مستقبلًا مخيفًا بدونها، تركت مكانها طفلة ترث منها كل شيءٍ حتى رغبتها المستمرة في الشعور بالاطمئنان، وقف يغني لها وهو يبكي وبدأت الصغيرة تهدأ على نغمات صوت والدها الحزين وكأنها تراضيه حتى لا تُصعّب عليه الأمر أكثر من هذا.

لمح أناس يركضون نحوهم من بعيد فرارًا من النيران، فهمس في أذنها: «**الناس دي قدرت تهرب بسبب اقتراح أمك، ماما هي اللي أنقذت البشرية يا نغم**». أسرِع طارق نحو الناس القادمين إليهم ليجد عددهم يزداد شيئًا فشيئًا وبدأ يلوح لهم بيده أن يأتوا بهذا الاتجاه فهنا لا توجد نيران. بدأ ينظر إلى القادمين ويبكي هو الآخر ويتمتم: «**شكرًا يا ليلى، شكرًا يا ليلى**». وقفت فريدة تستقبل القادمين معهم وتسند النساء المفزوعات وتطيب خاطر من فقدت طفلها ومن فقدت زوجها. بدأ كريم يساعد والدته وكلما مر الوقت ازدادت الناس في الوفود إليهم وظلوا في مكانهم ينتظرون المزيد، لعل المزيد قادم. جلس الحاضرون سويًّا ووقف سليم بعيدًا بطفلته، لم يتجرأ أحدهم على إشعال بعض النيران ليحصلوا منها على الدفء في هذه الليلة السوداء الباردة، لن يشعل أحد نارًا وإن كان يموت بردًا؛ فشعلاتها تحمل بداخلها صرخات لأناس نعرفهم، لن نقوى على سماعها.

حين حل الصباح على تلك القلوب المكلومة بدأ طارق يتجول في المكان من حولهم ومعه كريم؛ يبحث في أي مكانٍ عن أي شيءٍ قد يجداه ذا نفع، وكان التواصل مع بعضهم صعبًا لاختلاف اللغة، فاتخذا من الإشَارات سبيلًا للتفاهم. طلب من الجميع أن ينتظروه هنا؛ ربما الخطر لم يزل بعد، ثم تحرى بين الحاضرين عّن أرباب الأسر التي لم تخسر فردًا منهم فهم الأكثر حظًا والأقدر نفسيًا على العودة معه إلى المخيم بحثًا عن أي شيءٍ مفيد لم تحظَ النيران على فرصة التهامه. تحرك ومعه عدد قليل من الرجال وخمسة أطفال في سن كريم أو أكبر، وبحثوا بداخل الرماد عن أي طعام قد يجدوه وأي غطاءٍ لم يحترق؛ لم يحالفهم الحظ الوفير ولكنهُم وجدوا بعض فتات الطعام وغطاء واحد، لاحظوا في الاتجاه المعاكس لهم آثار إطارات السيارات، لقد هرب الجنود ولكن إلى أين؟ عاد بهم مسرعًا إلى جماعته وطلب من الجميع أن يتبعوه، سيتبعون آثار الإطارات بحثًا عن الطعام والمأوى، سيبحثون عن المجموعةِ الأولى.

تحرك عامر بكل ثقةٍ في طرقات المبنى وخارجه صلبًا بلا مشاعر ولا تشويش وكأنه لا يتساءل عن أي شيء. تبعته وهي تأمل أن يكون خارجها قويًا وواضحًا مثله وألا يبدو عليها كل هذا الخوف. تحرك باتجاه غرفةٍ بيضاء بها زجاج مستطيل يطل على من بداخلها لتجد هبة تجلس على مقعدٍ في زاوية الغرفة والفزع يملأ عينيها. طرق عامر الباب ثلاث مرات ثم دخل وألقى عليها التحية بكل هدوء، ثم دخلت حليمة من بعده فانتفضت هبة مستنجدة بها:

- حليمة، حليمة أنا ما اعرفش أنا عملت كدا ليه؟ صدقيني.

أمسكت حليمة بيدها وقالت بهدوءٍ مصطنع للغاية:

- إيه اللي حصل يا هبة؟
- ما اعرفش، هو كان بيقول حاجات كتير غلط ومش عايز يسكت، ولما قلت له إنه غلط ما صدقنيش .

تلاقت أعين حليمة وعامر فورًا ليسأل كل منهما الآخر بعينيه عن أي شيءٍ قد يفهمه أو يشعر به.

اقترب عامر منهما وطلب من هبة أن تجلس في مكانها وأشار لحليمة على المقعد المُجاور لمقعده لتجلس حتى يصبحا أمام هبة مباشرةً قادرين على رؤيتها بوضوح، ثم سأل:

- غلط إزاي؟ ممكن توضحي أكتر؟

سمعت سؤاله ولكنها تجيب وهي تنظر إلى حليمة:

- فاكرة الكلام اللي قلتيه يا حليمة لما كنا في المستشفى؟ فاكرة لما قلتِ إننا كنا السبب في موت ماما؟
- أنا ما كانش قصدي حرفيًّا.
- لأ إنتِ كان معاكِ حق، من يومها وأنا بافكر في كلامك، بافكر إن لو كنت سألت على ماما وكنت اهتميت أطمن على جرعاتها، لو كنت اهتميت أقعد معاها.

سأل عامر بعينين ثاقبتين:

- كان هيحصل إيه؟

- ما كانتش هتسيب المصل ولا هتموت نفسها، أنا اللي موّت ماما ونور بنتي هي اللي بدلت المصل، لو كنت أنا مكان ماما ما كانتش هتسيبني.

نظرت إليها حليمة بقلقٍ وقالت:

- بس أنا ما كانش قصدي أحسسك بالذنب.

- أنا ما عرفتش أبطل تفكير من يومها في كلامك، وبابا وأخويا كانوا بيقولوا حاجات بتضايقني.

أكمل عامر في سلسلة أسئلته الاستقصائية:

- زي إيه؟

- إن هي السبب وإن الحمد لله إننا بعدنا عنها، وآخر مرة كنت بقول له إني حاسة إن فيه حاجة غلط جوايا من ساعة ما ماما ماتت، قال لي إني المفروض أكون مبسوطة إنها مشيت قبل ما تعديني أو قبل ما تكون سبب وصمة عار علينا إن في عيلتنا مريضة مشاعر!!

وقفت وهي تبكي وأكملت:

- بابا كان شايفها هي الغلطانة ومبسوط إنها ماتت، وفخور بنفسه إنه مشي في الوقت المناسب وبيحكي للناس قد إيه هو معتدل وقادر يسيطر على نفسه!!

لم ينطق أي منهما بكلمة؛ يحاول كل منهما استيعاب ما ستؤول إليه الأمور حتى تصل للقتل!

- ما اعرفش إيه إلى حصل، فجأة حسيت إني عايزاه يسكت وما يقولش ليا كدا، يسكت وما يقولش حاجة

على ماما، وهو ما كانش عايز يسكت، فرميت عليه الطفاية الكرستال اللي على الترابيزة، وما فُقتش غير لما كان في الأرض وراسه كلها دم.

بدأت دموع حليمة تتساقط وهي تسمع إلى ما حل بهذه العائلة التعيسة، ولكن لفت انتباه عامر شيء آخر فسأل:

- يعني إيه فُقتِ؟ إنتِ كنتِ صاحية ساعتها، فُقتِ إزاي؟
- أنا ما اعرفش أنا عملت كدا إزاي؟! أنا ما كنتش عايزة أعمل كدا، أنا ما شُفتش بابا غير بعد ما خبطته، أنا ما حسيتش بنفسي غير لما رميتها، أنا ما جاش في بالي أعمل كدا، هي حصلت لوحدها.

وقف ليعلن نهاية الجلسة وتعجبت حليمة وبشدة بأنه لا توجد لديه أي أسئلة أخرى، فهي تحمل بداخلها ألف سؤال واستفسار آخر. تحركت خلفة ببطءٍ وهبة تنادي عليها لتخبرها مرة أخرى أنها لم تقصد هذا أبدًا وتدخل في نوبة بكاء وهي تتساءل عن ابنتها وكيف حالها الآن. عادت معه إلى مكتبه وجلس على المكتب وبيده الملاحظات وقال لها:

- فيه حد بيتصرف من غير ما يحس؟
- ما اعرفش.
- عمرك عملتِ حاجة وما كانش قصدك؟
- لأ.
- ولا أي حالة من اللي فاتوا.
- ...

- عارفة دا معناه إيه؟ معناه إن يا المرض دا ما لوش شكل محدد أصلًا يا إما هو بيتطور بسرعة أوي.. بيتطور من مريض لمريض بطفرة كبيرة.

- أنا مش عارفة، وحاسة إني خايفة أعرف.

- لو على الحالات اللي فاتت يبقى أنا وإنتِ عندنا مشاعر، لو على الحالة دي فـ إحنا الاتنين معتدلين جدًّا.

قبل أن يكمل حديثه رن جرس الهاتف الموجود على مكتبه فأجاب مسرعًا ولم ينطق بكلمة سوى: «**تمام**»، وأغلق الهاتف ونظر إليها بأسى وقال:

- سديم قررت إن هبة والحالتين اللي عندنا يتقتلوا.

ظلت تحدق به للحظات ثم التفتت حولها وقالت:

- هي سديم هنا في المبنى؟

- لأ.

- أومال قررتِ إزاي؟

- في الأول كانت بتيجي تتكلم مع الحالات وتقرر، دلوقتي بتشوف الفيديو يا مُسجل يا مباشر وإحنا بنستجوب وبتقرر بالتليفون، ومؤخرًا بقت ترد برسالة.

- بس إحنا لسا قايلين إن سديم مش دايمًا صح، الراجل دا ليه مُبالغ؟ طب هبة ممكن فيه حاجة في كلامها تخوف وفيه فعل عملته كان بشع، هبة قتلت! إزاي هما الاتنين مرضى مشاعر وما فيش بينهم حتى تقارب؟!

- ما اعرفش.

قالها وهو يسند رأسه على مكتبه من فرط التفكير، فقالت له بحزمٍ:

- إحنا لازم نقابل سديم، لازم تشوف لنا طريقة.

تحرك الناجون من جنون سديم بخطواتٍ ثقيلة في رمال الصحراء من حولهم، يسقط منهم أناس من فرط التعب أو بسبب إصابةٍ لم يجدوا من يداويها. ساروا على نهج إطارات عربات الجنود لعلهم يصلون إلى المجموعة المُختارة ويعيشون معهم. ابعتدا كثيرًا عن المخيم وساروا لفتراتٍ طويلة حتى لمح طارق سيارات الجنود من بعيد. أمر الجميع بالانبطاح أرضًا حتى لا يراهم أحد إلا سليم، فقد وجد فرصته للانتقام. اندفع سليم مسرعًا باتجاه الجنود وهو يصيح بهم: «**يا قتلة، يا جزارين**»، ويركض مسرعًا مع تعالي صرخات فريدة من خلفه تناديه ليعود، وطارق يقف بلا حركة لا يعلم ما عليه فعله الآن، أيركض خلفه أم ينتظر مع كل هؤلاء المُنكسرين الذين أصبحوا فجأة مسؤوليته؟ ظل سليم يركض حتى وصل إلى السيارات، ولكن لم يكن هنالك أحد يرد صيحاته أو ينتبه إليه، حتى اقترب بهدوءٍ بعدما كان مسرعًا فقد لمح جنودًا منثورين في الأرض غارقين بالدماء، من قتل الجنود؟ اقترب أكثر وهو يتبين الطعنات في أجسادهم والنزيف الذي لم يجف بعد، صاح من بعيد: «**تعالى يا طارق بسرعة!!**». نظر طارق إليه من بعيد وهو يلوح به هاتفًا باسمه، فأمر الجميع بالانتظار وركض إليه ليجد نفس المشهد، لم

يكن سليم يتوهم بسبب موت زوجته أو حالته النفسية الصعبة، كان الجنود بالفعل مقتولين ومتروكين في الصحراء بجانب سياراتهم.

- مين عمل كدا؟

سأل طارق بكل جدية وقلق. لم تعد المفاجأت تعجبه أو تثير حماسه، فقط تدب الرعب بقلبه.. تطلع سليم بهم وقال:

- يستاهلوا كل اللي حصل لهم.. يستاهلوا يتسابوا في الصحرا بدمهم كدا.
- طبعًا يستاهلوا، ويستاهلوا أكتر، بس مين عمل كدا؟

سمعا صوتًا مبحوحًا يصارع من أجل النداء عليهما، التفت الصديقان ليجدا جنديًا ينازع من أجل البقاء، يحاول التقاط أنفاسه بصعوبة وينظر لهما:

- سديم!

قالها الجندي بهمسٍ وسليم يقترب منه:

- سديم.
- مالها؟
- سديم.

يردد اسمها ويحاول الإشارة بأصابعه لأصدقائه من الجنود.

- سديم هي اللي قتلتكم؟

هز رأسه بوهنٍ ليؤكد على كلام سليم.. انتفض طارق وهو يسأل بذعر:

- سديم بتاعتكم هي اللي عملت فيكم كدا؟

ابتلع الجندي ريقه وقال وهو يبكي:

- قالوا لنا اللي عاش الموقف دا لازم يموت.

- حتى إنتم؟!

سأله طارق بفزع، أما سليم فقد انتفض بجانبهم وبدأ يهتف: «**عدلك يا رب، الحمد لله على عدلك يا رب!**». اقترب طارق من الجندي وهو يسأل بقلق:

- المجموعة الأولى فين؟

أشار بيده باتجاه الشمال على مدد البصر قائلًا:

- آخر الطريق دا مدينة.

- مدينة كاملة؟!

- مدينة كاملة بتاعة سديم اللي اختارت إنهم يعيشوا، كنا هنروح.

خطف طارق من يد سليم زجاجة مياه لم يتبقَ بها سوى ربعها، وأعطاها للجندي ليشرب رغم اعتراض سليم:

- ما يستاهلش الميّه بتاعتنا، إحنا أولى بيها وهنحتاجها.

- أنا عايز أفهم، مش عايز أنقذه.

اقترب طارق منه مرة أخرى وساعده ليشرب المياه ليستطيع الحديث لفترةٍ أطول بشكلٍ أوضح ثم سأله:

- نروح لها إزاي؟

- ما تروحوش.. سديم هتموت أي حد كان في المخيم الليلة دي.

- ونعيش إزاي؟!
- سديم مجنونة وما لهاش عزيز، سديم ما بتحبش غير نفسها، سديم هتموت أي حد يثبت إنها غلط.
- غلط في إيه؟
- سديم بتكره المشاعر، عايزة تبني مدينة المشاعر فيها خطيئة، كلنا كنا مقتنعين بكلامها.
- يعني إيه مكان ما فيهوش مشاعر؟
- مكان كل سكانه بيخافوا يحسوا لا يموتوا.
- إزاي؟ كل الناس بتحس، يعني إيه اللي يحس يموت؟
- إنتم اتقتلتوا علشان ما عندكمش تحكم في مشاعركم، المجموعة الأولى كان عندها قدرة تسيطر على نفسها أكتر.

وقف طارق وهو في ذهولٍ ومن خلفه سليم تتسع عيناه وهو في حالة ذعر:

- ليلى كانت من المجموعة الأولى!

التفت إليه طارق بسرعة ليتفاجأ به ينهار أرضًا ويبدأ نوبة بكاءٍ كانت قد تأخرت كثيرًا، جلس على ركبتيه وهو يبكي بشدة، فترك طارق الجندي وهرع إليه ليجلس أمامه:

- ليلى كانت في المجموعة الأولى، ليلى كان المفروض تعيش.

كان على وشك أن يحادثه بالمنطق ويخبره أن الأقدار ليست ملكًا لهم ولا يمكن لشخص أن ينقذ شخصًا قد كتب الله له الموت ولكنه فضل الصمت، فضلً الصمت عن تكرار كلمات منطقية، فهو الآن بحاجةٍ للبكاء كثيرًا، ألم الفقدان لا يمكن محاربته بالمنطق، عليك فقط أن تسمح لحزنك بالخروج منك الآن بدلًا من أن يسكنك إلى الأبد.

- ما حدش فينا هيعرف ينسى ليلى، ما حدش فينا هيعرف يا سليم.

- وحشتني أوي يا طارق، ليه ما ستبهاش تروح معاهم؟ ليه ما سبتهاش تمشي؟! ماتت علشان أنا المنبوذ، ماتت علشان جت ورايا.

تطلع طارق بالجندي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة من بعيد وقبض على كتفي سليم بكفيه قائلًا:

- إنت مش منبوذ، وما فيش حاجة اسمها كدا، إحنا مش مجانين يا سليم وما حدش فينا غلطته إنه بيحس، لو كان على المشاعر فإحنا نقدر نتحكم فيها ونقدر نتحكم أحسن من أي شخص، ليلى أنقذت كل الناس دي، ليلى عايشة جوًا كل الوشوش دي وعايشة في ملامح بنتك وعايشة جوًا قلبك.

كانت دموعه لا تتوقف وصوت بكائِه يصل إلى مجموعتهم المحطمة التي تراقب المشهد من بعيد.

- كل الناس دي عندها مصيبة فقدان حد عزيز عليها، بس كل الناس دي عايشة علشان ليلى ما فكرتش في نفسها بس، لولاها كان زمانا لوحدنا، لوحدنا خالص يا سليم.

وضع وجهه في الرمال وبدأ يبكي ويصرخ من شدة الألم وبجانبه صديقه يربط على ظهره بهدوء، لا يطلب منه التوقف ولا يلومه على ضعفه بل يشجعه على الشعور والاستسلام للحزن في هذه اللحظة، فبعد لحظات سيكون التظاهر بالقوة واجبًا عليه لفترة طويلة جدًّا.

تحركا معًا لساعاتٍ طويلة في الصحراء حتى بدأت تظهر معالم حياة على مرمى بصرها، مكان ما به بعض الخضرة وخيم منصوبة بعيد، وهنالك بعض المباني البدائية جدًّا. ظلت عيناها متعلقتين بالمكان وهو يقترب منه أكثر فأكثر، حتى وصلا عند حفرة كبيرة تبعد عن المكان قليلًا تظهر بداخلها بعض الأنابيب الضخمة، يبدو أنهم يستمدون مياههم من الأنابيب الخاصة بسديم. توقف عمر وطلب منها أن يتركا الدراجة ويتجها إلى هناك سيرًا على الأقدام، فتحركت على نهج خطواته بحذرٍ لا تعلم لماذا يتحركان بهذا الترقب، حتى وصلا إلى بعضٍ من الخيم ولكنه لم يتحرك في المنتصف، ظل يحوم حول المكانٍ من الخلف حتى دخلا إلى خيمة من الخيم من خلال بابٍ صغير بالخلف.

- ليه دخلنا من هنا؟

قالتها وهي تنظر إلى الباب الرئيسي للخيمة من الداخل.

- ليه دخلنا من ورا لو فيه باب كبير للخيمة؟
- علشان ما حدش يشوفك.
- وفيها إيه لما حد يشوفني؟
- ما حدش هنا يعرف إني دخلت سديم.

تطلعت إليه بتعجب وهي تردد كلماته التي أخبرها بها:

- مش إنت قلت إن عمك سليم دا كان شايف إن لازم يكون فيه نفق؟
- آه.
- طب إزاي ما حدش يعرف؟
- أنا وهو اتفقنا إني أروح أبني نفق يوصلنا لسديم بسهولة، بس ما قالش إني أدخل ولا أعرّف حد إننا موجودين.

تعالت نظرات الاستفهام على وجهها وهي تحاول الحصول على معلوماتٍ أكثر للتوضيح.

- كلهم فاكرين إني كل دا باحفر النفق لسا.
- حتى سليم؟
- حتى سليم.

في ظل حوارهما دخلت إليهما فتاة لتقف عند الباب تتأمل تيماء بذهولٍ وتنظر إلى عمر بتعجب، ابتسم عمر وقال لتيماء:

- دي نغم بقى يا ستي.. بنت سليم وليلى صاحبة اقتراح الأبواب الصغيرة اللي كل الناس دي هربت منها.

وضعت نغم دلوًا كانت تمسكه بيدها ونفضت كفيها ونظرت إلى عمر بتعجب وقالت:

ـ مين دي؟ وإيه الهدوم دي؟

ـ دي تيماء.

ابتسمت تيماء إليها وقالت بكل حماس:

ـ أنا مبسوطة إني شفتك وحقيقي مامتك إنسانة جميلة، عمر حكى لي عنها.

تجاهلت تيماء تمامًا ونظرت إلى عمر بحدة واضحة ونظرات كلها فضول، فأجاب عمر دون أن تسأل هي:

ـ أيوة تيماء من سديم.

ـ إنت مش هتبطل تصرفات طايشة؟ ما كانش مطلوب منك أكتر من نفق!!

ـ ما أنا خلصت النفق.

ـ إنت دخلت سديم يا عمر؟

ـ وفيها إيه؟

ـ فيها إنك بتعرضنا كلنا للخطر بسبب أنانيتك.

ـ أنا مش أناني، إنتم اللي خوافين.

دخل على صوت شجارهما كريم من الخارج ليبدأ هو الآخر في حالة الذهول من تيماء وملابسها وملابس عمر، لتبدأ نغم في توضيح الأمر له من وجهة نظرها، وقد كانت وجهة نظر كريم أيضًا، فالجميع قد اتفق على أن يبتعدوا عن جنون سديم بالقدر الكافي للحصول على حياة هادئة وآمنة، وحين اتفق سليم مع عمر على بناء

نفق لم يخبرا أحدًا من الناجين بهذا الأمر، وكان بدافع وجود خطة بديلة قد يحتاجها الناس فيما بعد إذا نفدت خيرات الأرض والمياه من أنابيب سديم لا للاختلاط بشعبها. في وسط الشجار بين ثلاثتهم تدخلت تيماء بنبرة هادئة وقالت:

- ما تخافوش أنا باحس زيكم عادي.

وقعت جملتها على أذنيّ كريم ونغم وقعًا مضحكًا للغاية، فتلك الفتاة بالفعل مقتنعة بأنها لم تكن تشعر من قبل، ضحك عمر قليلًا وقال بهدوء:

- تيماء كانت جاية تشوف المكان اللي الناس كلهم فيه بيحسوا وبيحبوا مشاعرهم وبيتحكموا فيها بمزاجهم.
- بقينا متحف خلاص! كائنات منقرضة!

قالها كريم بسخرية وهو ينظر إلى عمر حتى دخل سليم ومعه طارق وفريدة إلى الخيمة فهي بالأصل خيمة سليم وابنته.

- مين دي؟! وإيه اللي أنت لابسه دا؟ جبته منين؟
- سألت فريدة ابنها بدهشةٍ ليبدأ النقاش من جديد ليعلم الجميع بأمر دخول عمر سديم وسرقة ملابس من هناك والتحدث مع أهل المدينة وإحضار أحدهم إلى مكانهم.
- طيب ممكن قبل ما أسمع منكم أي حاجة تسمعوا اللي عندي؟

أشار إلى تيماء بالجلوس ثم بدأ يشرح لهم نواياه في فضح سديم لأهلها، كان في بداية الأمر يحفر نفقًا كفرصة بعيدة المدى لنجاة جماعتهم إذا حل عليهم الجفاف والجوع، ولكن حين

انتهى قد أثاره الفضول بشكلٍ كبير وأراد أن يجيب لنفسه عن كل الأسئلة التي يسألها منذ الصغر، كيف يعيش هؤلاء الناس؟ ومن هم المُختارون؟ وهل حقًّا سديم على حق؟

كان الفضول يقتله ليرى أناسًا لا يشعرون، وإن شعروا يُقتلوا، حين دخل لمح من بعيد ملابسًا غير ملابسه، فتحرك بخفة حتى حصل على ملابس كانت منشورة بمنزلٍ ما ثم بدأ يتحرك في الشوارع بحرية ويجد أن بالفعل كل شيءٍ منظم وهادئ للغاية، وكان من داخله يحسدهم على هذه الحياة الجميلة والمنازل الراقية والحدائق الموجودة بكل مكان. سمع أحاديث الناس من حوله عن المبنى العظيم والمكتبة وكل هذا وأراد أن يعلم بنفسه، وكاد طيشه أن يكشفه مرات عديدة ولكنه نجا.

دخل إلى المكتبة وبدأ يقرأ الكتب ويعلم تاريخ المدينة المشوّه وكل ما قالته لهم سديم ولم يكن صوابًا، لم يقرأ الكتب كلها ولكن ما قرأه كان كافيًا حتى يعلم ما حدث وما فعلته سديم، وقرر أن يخبر كل من يبحث عن أسئلة، وبدأ في دس الورق في كتب المكتبة حتى أخذت منه تيماء الكتاب ثم بحثت عنه حتى قابلته في المبنى العظيم عندما كان يبحث عن أيةِ طريقة يحصل بها على مصلٍ مما يأخذه الناس ليجربه حقًّا.

جلس الجميع يستمع له في دهشةٍ كيف له أن يفعل كل هذا سرًا، لم يقاطعه أحد، وحين كادت فريدة أن تنهره من شدة خوفها عليه منعها طارق حتى يعلم القصة كاملة، فجميعهم يحملون بداخلهم أسئلة تحمل قصته إجاباتها. أخبرهم بكل ما رآه وملأ كل

الفراغات التي تُركت بداخلهم سنوات بلا تفسير، وبدأ يُطمئنهم أنهم على صواب، فقد بدأت سديم في الانهيار، لقد قتلت إحداهم نفسها وبدأ الناس يتساءلون عن المشاعر ويخشونها ويبحثون عن الأجوبة، وترك آخر صدمة للنهاية حين فاجأهم بمعنى جملة «**وما تسيبش الأطفال**» التي كُتبت في ورقة التعليمات التي أمرت القائد بحرق المُخيم، لم يكن معناها أن يحرق الأطفال أيضًا، بل كانت تطلب منهم اختطاف الأطفال، فسرها لهم وأشار إلى تيماء:

- فيه ناس في سديم اسمهم المُتبنون ودول الأطفال اللي اتاخدوا من مخيم المجموعة التانية، تيماء منهم.

وقفت فريدة وهي تصيح وتشير إلى نغم:

- علشان كدا جم ياخدوكِ من ليلى، كانوا هيحرموها منك.

تطلع طارق إلى تيماء بأسى ثم سأل عمر بكل وضوح:

- برضو ما فهمتش ليه جايبها معاك هنا؟
- علشان هي بطلت المصل وبدأت تتحكم في مشاعرها ولو حد عرف عنها حاجة هناك ما اعرفش هيكون إيه التصرف.
- هتعيش هنا يعني؟

وقفت تيماء بفزع وأجابت هي عن سؤاله:

- لأ أنا هارجع سديم، هارجع لأهلي هناك.
- أنا عارف يا تيماء وهارجعك ما تخافيش.

قالها عمر ليُطمئنها فبث الرعب في قلوبهم جميعًا. وقف طارق في قمة غضبه قائلًا:

- يعني بعد ما جت وعرفت مكانا وشافت إننا بناخد ميّه من مواسيرهم وعرفت مكان النفق اللي أنت عملته وعن حياتنا هترجعها علشان تقول لهم علينا؟

- بابا تيماء مش هتعمل كدا.

- وإحنا نضمنها منين؟

بدأت تيماء تتراجع بخطواتها للخلف وهي تقول بهدوء:

- أنا بس كنت جاية أتأكد إن عمر مش بيكذب عليا، وإن فيه فعلًا ناس هربت، وإن سديم قتلتكم فعلًا مش انتم اللي قتلتوا بعض، كنت جاية أتأكد إن فيه ناس عايشة بمشاعرها عادي وإن دا الطبيعي مش إحنا.

هنا تدخل سليم بكل ثقة وسأل تيماء.

- وبعد ما عرفتِ هتعملي إيه؟

- مش عارفة، أنا حاسة براحة في الكلام هنا، مش محتاجة أفكر بالمنطق في كل إجابة ولا خايفة حد يشك إني باحس، بس أهلي هناك.

- لو سديم فعلًا بتنهار هنا أأمن لك.

- ما أقدرش أسيبهم، هم ما عملوش حاجة غلط.

اقتربت تيماء من عمر وقالت بكل خوف:

- عمر أنت وعدتني هترجعني.

ضحك سليم وهو يُهدئ من روع طارق الذي ينظر إلى ابنه بغضبٍ واضح:

- اقتراح النفق كان اقتراحي ما تلومش على عمر، الفضول كان أقوى منه وعنده حق، سديم كانت لغز كبير لينا كلنا مش ليه لوحده.

اقترب من تيماء التي تختبئ خلف عمر وعيناها معلقتان على الباب الصغير في خلفية الخيمة، ثم قال لها:

- ما تخافيش، ما حدش فينا هيحبسك ولا هنخطفك، بس كل الناس تستحق الإنقاذ.

- يعني إيه؟

- يعني اللي يعرف حاجة، مسؤوليته ينقذ اللي ما يعرفش.

ابتسم عمر وهو يعلم جيدًا ما هو على وشك سماعه، فأكمل سليم:

- لما إحنا عرفنا إن المخيم هيتحرق كانت مسؤوليتنا إننا ننقذ اللي ما يعرفش من الخطر اللي هو ما يعرفش إنه موجود أصلًا، بس إحنا عارفين.

ابتسمت نغم وهي تنظر إلى والدها الذي ما زال على العهد كما كان يخبرها منذ الصغر: «**هافكر كل يوم بعقل أمك، كل يوم هاسأل نفسي ليلى كانت هتعمل إيه؟!**».

- يعني لو سديم بتنهار زي ما بتقولوا والناس بدأت تموّت نفسها من كبت المشاعر والخوف اللي عايشين فيه دا يبقى مسؤوليتكم تساعدوهم.

ابتسمت تيماء من خلف عمر وهي تستمع إليه، فقد كانت تفكر في نفس الفكرة وطرحتها بالفعل على عمر ولكنه تجاهلها، هي تريد إخبار حليمة، تريد إنقاذ كل أهل سديم من مصيرٍ بائس لا يعلمون عنه شيئًا.

- أنا موافقة، تعالى يا عمر نقول لحليمة ونقول للناس براحة إنها ما تخافش من المشاعر، تعالى نقول لهم إننا لقينا علاج أو تأهيل.

جلست معهم قليلًا تستمع إلى حديث سليم بكل هدوء وهو يشرح لها كيف لهم أن يساعدوا أهل سديم، وبدأت نغم تتحدث معها وتحكي لها تفاصيل سعادتها وشعورها الزائد بالسعادة هذه الأيام لاقتراب موعد زواجها من كريم. شعرت ولأول مرة بالانتماء وكأنها في وطنٍ كامل خاص بها، تحاط بدفءٍ وقدرة على التحدث عما يدور بخاطرها بلا خوف، ولا تكبت مشاعر حزنٍ خطرت ببالها لأنها غير منطقية، تشعر بحقها في الحب والخوف والتمرد، تشعر بأن كل شيءٍ متاح.

لم تكن الرحلة سهلة ولم تنتهِ، لكنها ستعيدها ألف مرة لو تطلب الأمر بلا تردد ولا ملل. استأذنتهم وذهبت مع عمر للخارج، وفور خروجها وقف طارق معترضًا على تعريض كل من في المكان للخطر من أجل إنقاذ ناس كانوا سببًا في هلاكهم، فنظر سليم إليه بهدوءٍ وقال:

- كلنا نستحق فرصة، والحياة بالشكل بتاعنا دا في الخفاء مش هتطول كتير، ومين عارف يمكن نبقى في يوم من الأيام إحنا الأغلبية نعيش في مكان أحسن ونعمر الأرض كلها بناس حقيقية مش مزيفين.

عادت إلى منزلها وهي تفكر في مصير هبة والحالات الأخرى، لقد حُكم عليهم بالموت غيبًا من قاضٍ لا يعلم أي منهم عنه أي شيء. جلست مع عائلتها لبعض الوقتً ولكن لم تكن تيماء قد عادت بعد، وعندما سألت عنها أخبرتها والدتها وهي تبتسم أنها مع عمر بالمكتبة حتى الآن وقد أوشكت الساعة على الخامسة مساءً. كانت على وشك الدخول إلى غرفتها عندما رن جرس هاتفها برقمٍ آخر لا تعرفه، انتظرت قليلًا ثم أجابت:

- ألو.
- أنا عامر، أنا رايح لسديم دلوقتي.

وقفت فزعًا وهي تستوعب الفكرة وتقول له بسرعة:

- لأ إحنا كنا متفقين نروح سوا.

سكتت قليلًا ثم قالت وهي تنظر بساعتها:

- دلوقتي؟ هتروح دلوقتي؟
- أنا جبت العنوان من الملفات اللي في المكتبة المحظورة بتاعة المبنى العظيم، بكرة الناس هتتقتل، بكرة وما فيش وقت.

- هو أنت رايح من غير ما تستأذنها؟
- مش هستأذن حد، مش هتوافق.
- أنا عايزة آجي معاك.
- أنا ما اعرفش أنا رايح على إيه؟
- أنا هاجي معاك.

خرجت من غرفتها وأخبرت والدتها أنها ستذهب لمقابلة ياسر الآن وذهبت مسرعة للخارج دون حتى أن تنتظرها أن تكمل تساؤلاتها، ثم طلبت من عامر أن يحدد لهما مكان لقاء، وذهبت وهي تجمع الأسئلة في ذاكرتها لتطرحهم جميعًا، فهو وقت واحد فقط لمعرفة جميع الأجوبة، وإما أن تحصل عليهم أو لا تحصل على أي شيءٍ على الإطلاق.

وصلت إليه وتحركا نحو منزل سديم، كان الطريق غريبًا ومتطرفًا بداخل المدينة، لا يوجد أي حراس على البوابات سوى رجل أمن واحد يجلس على بُعد خطوات من البوابة.

- رايحين فين؟
- عندنا ميعاد مع سديم.

أجابه عامر بمنتهى الثقة وبجانبه حليمة يبدو عليها التوتر. أشار لهم الرجل بالصعود فالفتت حليمة حولها متعجبة من غياب الحراسة بمنزل سديم، فقد توقعت أن تجد رجالًا لا حصر لهم ومشاكل لا يمكنهم الخروج منها فقط لمحاولتهما التحدث معها بلا موعد.

- لما تطلع لها اسألها لو لسا مش عايزة الحراس.

نظرت إليه حليمة بدهشةٍ وسألت:

- هي مين دي؟

- سديم، اسألي العالمة سديم هي لسا مُصرة إن كلنا نروّح؟

نظر إليه عامر نظرة ثاقبة وقال:

- هي سديم أمرت الحراس يمشوا؟

- آه، بلغتنا إننا نمشي من حوالي أسبوع وما حدش بقى واقف حراسة هنا، بس أنا موجود علشان مش هاقدر أسيب العالمة سديم من غير حراسة كدا، مش منطقي.

- من إمتى الكلام دا؟

- من يجي عشر أيام كدا، أنا عاوزكم تبلغوا في المبنى العظيم إنها طلبت كدا علشان إحنا ما نقدرش.

- خلاص تقدر تروّح وأنا هابلغهم أول ما أرجع للمبنى.

أنهى عامر حديثه معه بابتسامة بسيطة ونظر إلى حليمة التي قد علت علامات الدهشة وجهها منذ أن أخبرها بأنهما على وشك مقابلة سديم.

- غريب جدًّا.

- ليه؟

- هنعرف كل حاجة يا حليمة، هنعرف كل حاجة.

تحركا لأعلى المدخل المرتفع أمامهما وتحركا بحذرٍ كبير حتى وصلا إلى بوابة المنزل الكبير الذي تسكنه سديم، لم يكن هناك أي ضوضاء حولها ولا معالم حياة، تسكن في مكانٍ متطرف عن المدينة وهادئ جدًّا وكأنها تتهرب من مدينتها. طرق عامر الباب

مرتين وانتظرا لخمس دقائق دون إجابة، فعاود الطرق مرة أخرى ولكن بلا إجابة.

بدأ التوتر يصيبهما وهما يقفان على بوابة المنزل، لمحت حليمة الإضاءة الموجودة في إحدى الغرف الأرضية للمنزل ونافذة لم تُغلق جيدًا، فنظرت إلى عامر وهي تتساءل بعينيها: أيجب عليهما محاولة الدخول من النافذة؟!! أدرك فورًا ما تشير إليه عند رؤية مدخلهما المحتمل من النافذة وقال لها:

ـ إحنا كدا كدا آخرتنا وحشة، أهو على الأقل نموت معانا إجابتنا.

تحرك قبلها ودنا من النافذة ليتفقد الجزء المفتوح ويرى إن كان بإمكانهما الدخول منه وهي تتابع الأجواء من حولها ربما يكون أحد قادم أو سديم نفسها تنظر من نافذة أخرى. استطاع عامر فتحها بسهولة ونظر إلى حليمة وسألها:

ـ هتعرفي تدخلي بعدي ولا أدخلك الأول؟

تفحصت بعينيها المنزل من الداخل والهدوء يغلب عليه، ولكن من داخلها خائفة جدًّا، ثم نظرت إلى العتمة من خلفها وقالت بهدوء:

ـ لأ هادخل أنا الأول.

مد يده لها ليساعدها على الدخول، ومن ثم دخل بعدها بلحظات وهي تقف أمام النافذة لا تتحرك بانتظاره هو ليقدم على الخطوات الأولى، ولكن عينيها تتفحصان كل متعلقات المنزل واللوحة الكبيرة المُعلقة على الجدار أمامهما لسديم وهي تجلس

في شموخٍ وترفع رأسها اعتزازًا. كانت بقية الصور المُعلقة تنتمي لأشخاصٍ مختلفين وسديم معهم، ولكنها لا تعلم هوية أي منهم على الإطلاق. كان المنزل مكونًا من طوابق عديدة، ويبدو أن الجزء الأول منه هو جزء الاستقبال.

- أستاذة سديم!

قالها عامر بأعلى صوته ينادي عليها، فارتعش قلب حليمة بمجرد أن نطق اسمها.

- إيه دا بتعمل إيه؟

- بنادي عليها.

- هتعرف إننا هنا!

نظر إليها بتعجب وهو يسألها:

- أُمال إحنا جايين ليه؟ مش علشان نتكلم معاها!

نظرت إليه وكأن السؤال قد صدمها وقد نسيت لماذا أتت إلى هنا، ولكن طريقة دخولهما قد أثارت بداخلها الشك في نواياها الشخصية.

- أستاذة سديم!

نادى مرة أخرى ولكن بلا استجابة أو الشعور حتى بحركة حولهما. تجولا في الطابق الأول قليلًا وهما يراقبان كل المتعلقات الشخصية الخاصة بها وكيفية تنسيق أثاث المنزل بهذا الشكل وقد كانت أول مرة يرى أي منهما منزلًا بهذا الحجم، فلِمَ قد يحتاج شخص واحد لكل هذه المساحة وحده؟ اتجهت حليمة إلى السلم وبدأت تصعد لتتفاجأ بأن المنزل مكون من ثلاثة طوابق وليس

اثنتين فقط، فاتجهت بكلِ هدوءٍ لأعلى وتبعها عامر وهي تتفحص كل شيءٍ من حولها فضولًا منها لمعرفة سر هذه الصور والناس الموجودة بها.

- أنا هاطلع على الأخير على طول.

- ليه؟

- دا شكله كله أوض نوم.

قالتها وهي تشير إلى غرفة يظهر من خلف فتحة بابها فراش كبير، واتجهت لأعلى دون أن تنتظر منه ردًا، كان الطابق مظلمًا فتابعت بحثها في الظلام، ولكن وجد عامر مقبس النور فأنار الطابق بأكمله فصاحت به:

- إيه د؟!

- ما أنا كدا كدا عايزها، خليها تيجي.

سبق خطواتها وذهب بكل جرأة للطابق الثالث، ثم دخل أول غرفة قابلته بها، فتح الباب فوجد الغرفة مظلمة، تحسس بيده الجدار حتى وجد مقبس الإضاءة، فكشف النور لهما عن غرفةٍ مليئة بالكتب والشرائط والمجلات لا حصر لها. ركضت حليمة باتجاه المكتبة وهي تتفحصها بشغفٍ لعله ما تظنه حقًّا.

- دي كتب من قبل الحرب!

قالتها بتعجبٍ وهي تتفحص الكتب من على الأرفف ووجدتها بالفعل، كتب لم تسمع عنها قط ولم ترَ مثلها نهائيًّا. اقترب هو الآخر من جزءٍ به أقراص مدمجة عديدة تبدو كأنها أفلام مسجلة أو أفلام سينمائية قديمة من قبل الحرب.

- هي سديم احتفظت بكل دا؟

سألها وهما يعبثان بكل شيءٍ بالغرفة في حالةٍ من الاستكشاف يشبعان جزءًا من فضولهما، فـ دائمًا ما تساءل عما كانت الحياة عليه من قبل. استغرقا فوق العشرين دقيقة وهما في هذه الغرفة يشاهدان بعض الأفلام المسجلة لفترة الحرب والأخبار وما توصل له السابقون منهم، ثم رن جرس هاتف عامر ليخرجهما من دوامة البحث بالماضي في منزل سديم ليتلقى مكالمةً لا ينطق بها حرفًا. قال للمتصل: «**تمام**» في نهاية المكالمة وأنهاها وهو ينظر لحليمة بغضب وعيناه تتجهان مباشرةً نحو صورة سديم الموجودة على الحائط في هذه الغرفة أيضًا، ثم اتجه بكل غضبٍ باتجاه باب الغرفة متجهًا إلى الطابق الثاني وهو يصيح مناديًا: «**أستاذة سديم!!**»، «**فيه حد هنا؟!**»، ركضت وراءه تسأل عما حدث ولمَ تملّكه الغضب هكذا؟!

- فيه إيه يا عامر؟

- سديم بعتت للمعمل إيميل الصبح إن أي حد مشاعره تزيد عن النص بتلات درجات يتقتل.

- إيه؟!

توقفت للحظاتٍ ونظرت إلى النوافذ الموجودة حولهما في الطابق الثاني وقالت بصوتٍ منخفض:

- بلاش نروح لها يا عامر.

التفت إليها بسرعةٍ متسائلًا:

- ليه؟

- علشان إحنا أكيد مشاعرنا زايدة عن النص، أكيد مشاعرنا أزيد بأكتر من كدا، ولما تتكلم معانا بس هتعرف وهيموتونا.

وقفت يتطلع إليها والغضب يتصاعد إلى قلبه كلما تخيل الرجل الحزين على زوجته في هدوءٍ يُقتل.

- إنتِ بجد مش واخدة بالك؟

- من إيه؟

- إنتِ لسا عايزة تتأكدي إن سديم عملت كل دا من غير أي سبب منطقي؟

اتسعت عيناها وهي تنظر إليه وتتمنى لو يخفض صوته قليلًا فقد تملّك منها الخوف.

- لأ، إحنا لسا ما نعرفش.

أمسكت بيدها الورقة التي أحضرتها معها وجهزت بها الأسئلة التي تريد إجابتها، فاختطف منها الورقة بعنفٍ وكان على وشك أن يقرأها بصوتٍ عالٍ ولكن اندفاع الهواء من النافذة التي كانت حليمة تقترب منها حرك باب الغرفة التي رأت بها فراشًا من قبل لترى ما لم تتوقع رؤيته يومًا، وتعلقت عيناها على الغرفة وعامر ينظر إلى الرعب بعينيها ولا يعلم ما الذي تراه:

- فيه إيه يا حليمة؟!

ابتلعت ريقها بصعوبةٍ وما زالت عيناها متعلقتين بالغرفةِ من خلفه، فالفتت ببطءٍ شديد لا يعلم ما هو على وشك رؤيته ليجد سديم تتدلى من سقيفة غرفتها بحبلٍ غليظ وتنظر مباشرةً إليهما

بعينين مفتوحتين. لم يستطع أن ينبث بكلمة وحليمة ما زالت تنظر إليها بفزع، وبعد دقيقة مرت عليهما في صدمةٍ تامة بدأت حليمة تستعيد وعيها وتصرخ به متسائلة:

- إزاي؟! إزاي؟!

ظل عامر في سكونه ينظر إلى جثتها المعلقة في الغرفةِ بدهشةٍ وبجانبه حليمة ما زالت تتساءل:

- طنط سميرة كانت كدا، طنط سميرة كانت عيانة، هي سديم عيانة؟!

بدأ يستعيد السيطرة على أوصاله شيئًا فشيئًا وبدأ يتجه إلى الغرفة بخطواتٍ ثابتة وهي خلفه تتساءل بكل جنون عما حدث وكيف لهذا الشيء أن يحدث، كيف لها أن تموت دون أن تُفسر كل التساؤلات وتخبرهما بما يجب عليهما معرفته لحماية أنفسهم.

وصل إلى باب الغرفة وبدأ يتأكد من ملامحها، أهي سديم أم هو يتخيل هذا؟! وقد كانت الإجابة عن سؤاله بالتأكيد لقد قتلت سديم نفسها، تحرك ببطءٍ في الغرفة وحليمة تقف على الباب تتحاشى النظر مباشرةً إلى سديم حتى سمعت:

- إيه اللي مربوط في إيديها دا؟

نظرت بسرعة دون أن تفكر إلى يدها لتجد حبلًا صغيرًا معلقًا بمعصمها يتدلى منه مفتاح وورقة صغيرة. صعد عامر علىٰ مقعدٍ ليجلب المفتاح وحليمة عاودت النظر إلى الأرض مرة أخرى حتى جاء إليها عامر بالورقة وقال لها:

- كل حاجة جوَّا الصندوق بتاعي الخشب.

ـ الصندوق بتاعك!!

ـ لأ دا المكتوب في الورقة، مكتوب كل حاجة جوَّا الصندوق بتاعي الخشب.

تحركت بعينيها في الغرفةِ فلم تجد صندوقًا، ولكنها اتجهت مباشرةً إلى الدولاب الكبير بالغرفة وهي تنظر لأسفل، وفتحته لتجد صندوقًا خشبيًا كبيرًا يتوسط الرف الثاني بالدولاب.

ـ أهه، دا الصندوق.

ـ تعالي نفتحه.

ـ ما فيش ريحة!

كان ينقل الصندوق من الدولاب ليخرجا به من الغرفة، فتوقف ونظر إليها متسائلًا:

ـ إيه؟

ـ ما فيش ريحة، طنط سميرة كانت الريحة في شقتها بشعة.

ـ

ـ الجثة ما لهاش ريحة يعنـــــ...

ـ يعني هي لسا مموتة نفسها.

ـ لو كنا بس...

ـ كنا هنعمل إيه؟

ـ ما اعرفش.

- تعالي نعرف، إحنا جينا نعرف، نفتح الصندوق ومش هتفرق نعرف منها ولا من الصندوق.

اتجهت خلفه بخطواتٍ عكسية فلم تجرأ على إعطاء جثة سديم ظهرها ولا تعلم سبب الخوف والقبضة البشعة التي تملكتها، ولكن هذا المنزل حقًّا مخيف ومليئ بأشياء غير مألوفة بالمرة. صعد مرة أخرى إلى الطابق الثالث وتبعته هي بظهرها وعيناها تتعلقان بالغرفة، ثم دخل إلى غرفة المكتبة وأغلقت هي الباب لتريح عقلها من التوتر. جلس عامر على الطاولة الموجودة بالغرفة وأمسك بالمفتاح وفتح الصندوق ليجد محتويات متنوعة، ومن بينهم قرص مدمج بداخل ظرف مكتوب عليه: «**خاص بالمبنى العظيم**». اتجه إلى الحاسوب الموجود بالغرفة وفتحه ليجد صورة فتاة صغيرة تضحك كخلفية له. تجاهل كل شيءٍ ثم وضع القرص ليجد ملفًا مسجلًا صوتًا وصورة مدته نصف ساعة كاملة. جلب مقعدين وأشار لها أن تأتي وجلس على أتم الاستعداد ليعرف ما بداخله.

- دا يُعتبر حرفيًا أملي الوحيد.

جلست حليمة بجانبه وهي تتنفس بصعوبة ومن داخلها ترجو لو تحتوي هذه الدقائق على راحتها الأبدية من كل الأسئلة، تأمل لو علمت كل شيءٍ الآن لتعرف مصيرها القادم، هل ستلحقهم أم ستستطيع إنقاذ نفسها من هذا المرض اللعين؟نتمن متيمأ

هدأت نوبة انهيار سليم قليلًا وبدأ طارق ينادي على الرجال والنساء المتبقين من الحريق ليساعدوه في حمل الطعام والشراب من حقائب الجنود المقتولين. كان يريد أن يحصل على أكبر كمية من الطعام والشراب ليبقى من معه على قيد الحياة، متى أصبح هو زعيمهم وولي أمرهم؟ لا يعلم، ولكنه يشعر أن الكل مسؤوليته ومسؤوليته وحده.

- خدوا كل حاجة تلاقوها، أكل وهدوم وميَّه، خدوا هدوم الجنود المقتولين، لسا هتيجي علينا ليالي شتا ما حدش عارف هنلاقي إيه ساعتها.

صاح بهذه الكلمات طارق بصوتٍ عالٍ فيهم جميعًا، فتبع أوامره الجميع دون تفكير، وبدأ الجميع ينتزع عن الجنود المقتولين زيهم ويأخذون كل شيءٍ معهم إلى حين الحاجة إليه. ذهب سليم إلى طارق وهو يحمل حقيبة بها ملابس عادية وليست أزياء وبعض الأوراق.

- غالبًا دي كانت شنطة حد من اللي كانوا ماسكين المُخيم كله.

أمسك منه طارق الحقيبة وفتش بها ليجد ملابس عادية بالفعل لا تنتمي لطائفة محددة وبعض الأوراق التي قد احتفظ بها أحدهم.

- المدينة اللي الراجل قال عليها يا طارق، هنروحها؟

تطلع طارق إلى سليم وهو يسأل عن المدينة وعن تعليماته وكأنه ينتظر منه الأمر مثله مثل سائر الناجين.

- بتسألني ليه؟ ما لكش رأي أو حاجة عايز تعملها؟

- أنا مش واثق في تفكيري ولا في إحساسي، أنا عايز أروح بس عايز أروح علشان أموتهم كلهم.
- سليم أنا مش هاقدر أعمل كدا.
-
- سليم أنا مش هاقدر أكون المسؤول عن كل دول في وسط الصحرا والحرب، لازم تكون معايا وتساعدني، لازم تكون في ضهري وتسمع مني وتعارض وتوافق وترفض.
- أنا معاك يا طارق، أنا بس محتاج وقت قبل ما أقدر أقرر تاني، بالذات في الموضوع دا.
- عارف، وهاشيل عنك لحد ما تيجي، بس ما تغيبش عليّا، حسسني حتى إنك هتّابعني من بعيد وهتقول لي لو كان لك رأي تاني يا صاحبي!
- عمري ما هاسيبك يا طارق، ولا أسيب فريدة وولادك ولا نغم.

كل منا في احتياجٍ دائم لصديقٍ نعلم بوجوده حولنا. نعلم أنه سينقذ الموقف، فقطً يتابعك من بعيدٍ ليصفق لك حين تنجح ويعاتبك إذا أخطأت، كلنا بحاجةٍ إلى سندٍ نعلم بوجوده فيُبقينا صامدين لأطول فترةٍ ممكنة، فقطً لعلمنا بأنه هناك متى سقطنا سيلتقط ما تبقى منا ليعيدنا من جديد.

- لو بتسأل عن رأيي مش هاقدر أغامر وأروح للمجهول بتاعها تاني، سديم دي شكلها مجنون، بتقول لك قسّمت

الناس بيحسوا وما بيحسوش.. ما فيش حاجة اسمها كدا يا سليم، أروح أنا بقى باللي اتبقوا من اللي هي حاولت تموتهم وأسلم لها نفسنا؟! أنا هابعد بقدر الإمكان عنها.

ـ طب والحياة؟

ـ يعني إيه؟

ـ هتبعد قدر الإمكان عنها، طب والحياة؟ هنوفر أكل لحد إمتى؟ مساعدة لحد إمتى؟ هناكل ونشرب إزاي؟!

ـ ما اعرفش، زي قبل كدا.

ـ زي قبل كدا؟! طارق إحنا كنا بنعافر علشان نلاقي أكل لأسرتين وما كُناش بنكفي نفسنا، هنجيب لكل دول إزاي؟

نظر طارق بعينيه إلى كل هؤلاء الناجين المتعلقين بكلمةٍ منه قد تحدد مصيرهم، كيف لهم أن يعيشوا على الاصطياد والترحال ويأمن لهم الحماية الكاملة؟

ـ هنعمل إيه يا سليم؟ هنعمل إيه؟ فين الاختيارات اللي قدامي؟!

ـ تعالى نعيش قريب من المدينة بتاعتها

ـ لأ.

ـ اسمعني بس، هي أكيد عندها أكل وميّه وحياة، أكيد اختارت مكان ممكن يتزرع فيه، مكان أرضه خصبة وحلو وبيوصل له ميّه وكل حاجة.

نظر إليه مفكرًا فيما يقول فأكمل سليم قائلًا:

- تعالى نقعد قريب منهم، لازم نكون قريب من مكان لو ضاقت بينا الدنيا وكنا هنموت من الجوع على الأقل نعرف ندخّل حد يجيب لنا منه.

- كلامك منطقي.

صمت قليلًا وهو يفكر ويخشى اتخاذ القرار الخاطئ، لا يحتمل أي منهما نتائج قرارٍ آخر.

- طيب يا سليم، بس مش هنروح ولا هنقرب منهم إلا للضرورة القصوى، لو كنا خلاص مش عارفين نعيش.

- موافق.

جمع طارق كل قوته وذهب إلى من تبقى معه ووقف يخبرهم بالخطة القادمة، عليهم أن يحاربوا من أجل البقاء على قيد الحياة، سيتجهون صوب المدينة الوحيدة القائمة بالعالم الآن، وسيبدؤون حياةً بالقرب منها حتى تكون لهم خيطَ النجاة إذا أغلقت كل السُبل أمامهم. لم يعترض أحد ولم يكن غيره على استعدادٍ لتحمل المسؤولية، فمن الأسهل أن تتبع من يقود وتنام مرتاح البال على أن تكون أنت المتحكم بكل شيء، وحدهم الأشد قوة أو الأشد غباءً من يتحملون المسؤولية على عاتقهم.. وهنالك النوع الأخير والأكثر شيوعًا وهو من وجد نفسه يتحملها رغم إرادته، فجأة وكأنها كانت قدره منذ البداية.

ضغط عامر على زر البدء ليجدا مقطعًا مصورًا لسديم بنفسها، تجلس أمام الكاميرا في هدوءٍ وتطمئن بأنها قد بدأت التسجيل بالفعل. كانت عيناها ثابتتين على الكاميرا بنظرةٍ ثاقبة وراءها الكثير مما أصاب حليمة بالقشعريرة لشعورها بأنها تراهما الآن، وهذا ليس مقطعًا مصورًا من قبل. تأهب الاثنان وانتبها إليها بشدة، ثم بدأت سديم: «**أنا سديم، مش مهم عالمة ولا وظيفتي وصفتي إيه قد ما هو مهم إني حاولت، حاولت بكل قوتي بعد المأساة اللي شفتها في حياتي مع البشر على الأرض إني آخد حذري من يوم هتنتهي فيه الأرض بسبب الغباء. البشر كانوا متعودين يتعاملوا بلا منطق، كانوا بيتخانقوا وبيزعقوا وبياكلوا بعض حرفيًّا، والكره كان منتشر وأدى بنا كل دا للخراب، خراب بشع وقع علينا كلنا، بس أنا كنت مستعدة، كنت متأهبة لليوم دا من ساعة ما خسرت جوزي ومن بعده بنتي**».

تجاهلت دموعًا كانت تلمع في عينيها وأكملت حديثها:

«في يوم من الأيام جوزي خرج من البيت زي كل يوم وما رجعش، ما رجعش علشان واحد مشاعره هي اللي بتحركه وعقله مش موجود، ما رجعش لأن كان فيه خناقة في الشارع وهو حتى ما كانش طرف فيها واتقتل، آه اتقتل، الناس قامت فجأة وهاجت من غير منطق، واللي اتاخد في النص ما لوش دية، والجميل في الأمر إن الموضوع اتقفل مشاجرة ومش جوزي بس اللي مات يومها.

جوزي خرج من البيت عادي في حاله وما رجعلناش علشان واحد ما عندوش سيطرة على أعصابه في وسط الهوجة موته. طبعًا بنتي كانت صغيرة عندها سبع سنين وخسرت باباها فجأة ومن غير أي مبررات منطقية، مش عارفة هو ما رجعش ليه؟ وإيه سبب قتله؟ ليه بنروح محاكم؟ وليه بندور على واحد قتل أبوها؟ أنا جوزي كان شخص مسالم جدًّا ودي كانت المشكلة الأكبر إنك تقنع بنت باباها ما بيزعقش حتى إنه اتخانق واتقتل، حتى أنا ما قدرتش أشرح لها ليه لأن أنا نفسي ما كنتش عارفة ليه؟

عشت سنين بعاني مع بنتي بسبب حالتها اللي بتتدمر كل يوم عن اللي قبله، بنروح لدكاترة نفسية وبعالجها وبعالج نفسي، وكل ما يحصل حادثة مشابهة تنهار مني لحد ما في يوم قتلت نفسها، ساعتها بس أنا اتأكدت إن المشاعر مرض بشع وخطير وممكن يقتلنا كلنا، من يومها وأنا بتمنى أعيش حياة بلا مشاعر، حياة جميلة وهادية وخفيفة علينا كلنا، حياة ما فيهاش أطفال بتعاني من صدمات كبيرة عليهم، وطبعًا ما فيش جنة من غير تضحيات».

رن جرس الباب لديها في منزلها فتركت المقطع خمس دقائق تاركة خلفها عامر وحليمة في حالةٍ من الهلع مما يستمعان إليه وما زالت لا توجد أجوبة بعد، عادت إلى مقعدها واستأنفت حديثها:

«اديت نفسي الحق في الاختيار لإني الوحيدة اللي قدرت تلاحظ دا من بدري، أنا الوحيدة اللي لاحظت من جنون العالم اللي بيزيد كل يوم من حواليا إن خلاص، البشر هينتهوا كدا كدا. بنيت معمل ومدينة وحصنت نفسي، وظبطت كل حاجة علشان

أبدأ حياة في مكان جديد بعيد عن خراب العالم، كان معايا حلفاء كتير في مجالات كتير مؤمنين إن كدا أحسن، إن المشاعر قاتلة، وزي ما توقعت العالم بدأ يخرب نفسه بنفسه علشان يسهل عليا اختيار السكان الجداد. الدنيا اتدمرت وما اتبقاش مننا كتير، وكدا هيكون التصنيف أسهل وأسرع خاصة بعد الصدمة دي، ناس خارجة من دمار وحرب وفقدان وهلع، اللي فيهم بيعرف يسيطر على أعصابه وتصرفاته وبيتحكم في نفسه هو اللي يستحق يكمل، أما اللي بيفقد أعصابه وبيغضب أو بيتصرف بلا منطق وما بيسهلش الدنيا على اللي حواليه ما يستحقش فرصة تانية، علشان كدا...».

تنهدت ومدت يدها لتلتقط كوب الماء من أمامها وتشرب منه قليلًا، ثم أكملت بهدوءٍ تام بعدما كانت نبرتها تحتد قليلًا:

«بعت جنود من الجيش اللي كونته لكل مكان في العالم والأماكن اللي كان فيها نووي وناس مشوهة وتعبانة عايزة تتعالج ويتطبطب عليها ومعاهم أمر واحد بس؛ يقتلوا كل اللي يلاقوه، ما فيش مكان لأي إنسان ضعيف ولا مشوه. قتلت كل الناجين بعيد عن أفريقيا لأن كل بقية القارات معظمها اتلوث بالنووي، وبعدها صنفت المتبقي معتدل ومُبالغ معتمدة بس على مين بيسمع الكلام وبيمشي مع النظام ومين غاوي تفكير وقلق، وبعدها قتلت كل المُبالغين، مش هم اللي قتلوا بعض، ما فيش حد رجع لهم وما فيش حد رجع هنا.. الرسالة دي لقادة المبنى العظيم من بعدي، شِلت عنكم حمل تقيل جدًّا لسنين طويلة وذنب عشت به لوحدي علشان البشرية تستمر، ودلوقتي الدور عليكم.

المصل ما هو إلا مهدئات وتركيبة بسيطة بتساعد الشخص يكون مطمئن وهادي بس بنسبة قليلة جدًّا، وما بيمنعش الشعور لأن ما فيش حاجة تقدر تمنعك تحس، والكل صدقني لأنك عمرك ما هتقول لحد إنه مميز ويقول لك لأ، كل اللي دخل المدينة وسمع إنه معتدل صدقني، صدقني وصدق نفسه علشان هو خايف من المشاعر ومن اللي حصل لا يتكرر، صدق إنه معتدل ومميز واللي منهم ما صدقش عمل نفسه مصدق علشان خاف يرجع للعدم. هنا أحسن، المصل هيساعد كتير، هو أه ما بيمنعش الشعور ولكن بيحافظ إلى حدٍ ما على استقراره لحد ما يتعرض الشخص دا لخلل في النمط المنطقي بتاعنا.

أنا لما بنيت المدينة وفكرت فيها خلقت لها نظام محدد جدًّا، واهتميت إن يكون فيه نمط متكرر السكان كلهم بيلفوا فيه علشان لو حد اتعرض لأي حاجة برة النمط دا هيبدأ يتلخبط، وكتبت لكم كتب تاريخ وعملت لكم حياة تحس إنها كانت موجودة من قرون فاتت علشان ما حدش يحاول يدور برة علشان تحسوا بالانتماء والفخر إنكم مميزين.

جرعة زيادة من المهدئات ممكن تلحق أي حد اتعرض لصدمة أو خلل، بس لو جه بعدها على طول وما سابش نفسه للتفكير والمشاعر تبدأ تتملك منه واحدة واحدة».

وضعت يدها على وجهها في حالة ارتباكٍ بعدما كانت في قمة هدوئها وكأنها تتحول إلى شخصٍ آخر فجأة، ثم أكملت بغضب:

«ليه البشر مصممين على الهلاك؟ ليه بتكسروا النمط اللي تعبت علشان أخلقه علشان تكونوا أحسن؟؟ سبت لكم كتب تاريخ ومبنى طبي ومدارس وبيوت وجناين!! البشر دول أغبية، مش قادرين تكملوا حتى الـ ١٠٠ سنة في نظام؟؟ مش عارفين تحافظوا على المنطق؟ مشاعركم أقوى منكم كلكم للدرجة دي؟؟ أنا كنت باحاول أبني لكم حياة أحسن، لكن واضح إن ما فيش أي أمل فيكم، المصل مش هينقذ اللي المشاعر اتملكت منه، والعلاج النفسي أنا مش مؤمنة به لأنه ما ساعدش بنتي، ما دخلتش كتبه مدارسكم وما عرفتكمش عليه.

ما فيش حاجة اسمها علاج للمشاعر ولا علاج نفسي وما فيش أمل ليكم، وبما إنكم أصريتوا على الهلاك فأنا هاسيب رسالة للمبنى دلوقتي إن أي حد الاختبار يجيب إن مشاعره زادت عن النص بحبة يتقتل، ولو مش عايزين تنفذوا فبراحتكم، الهلاك هيجي لكم زي ما جه للي قبلكم، بس الوجع هيكون أبشع لأن ما حدش فيكم يعرف يعني إيه مشاعر ويعني إيه تفكير، أنا شِلت عنكم كتير وحاجات أصعب مما تتخيلوا، بس خلاص لحد كدا. تخيلت إني ممكن أحميكم من نفسكم بس واضح إن المشاعر بترجع مهما حاولنا نهرب منها، تخيلت إني هاقدر أكون أقوى من مشاعري ومن أشباح كل اللي قتلتهم».

بدأت أطراف حليمة ترتعش شيئًا فشيئًا وبجانبها عامر في حالة من الصدمة، وبدأت عينا سديم تملؤهما الدموع وهي تبعد عينيها عن الكاميرا قليلًا وتبكي تدريجيًا:

«مش قادرة أنكر أكتر من كدا إني كنت السبب في إن آلاف يموتوا بسبب غضبي من البشر وغضبي من الراجل اللي قتل جوزي، راجل واحد غير مستقر نفسيًّا دمر أسرة سعيدة، وست واحدة بغضبها قدرت تدمر عالم كامل وتستمر الدايرة لو ما حدش وقفها، البشرية من النهاردا مش في إيدين سديم».

تحركت بعيدًا عن الكاميرا ثم ذهبت إلى الخلف قليلًا فتبينت الغرفة كاملة، ليجداها تربط الحبل استعدادًا للانتحار. تحركت باتجاهم بعدما أحكمت ربط الحبل وأغلقت المقطع بهدوء، وما تُرك للمخيلة كان يصف ما حدث تفصيليًّا. بدأ عامر في البكاء والصراخ فجأة، كيف لها أن تفعل بهم كل هذا؟! لماذا لا يوجد علاجٍ للمشاعر؟ ما هو الطب النفسي؟ وكيف لها ألا تخبرهم عنه؟ أحقًّا الكل يشعر؟ ألا يوجد معتدلون؟ بدأ بحالة هستيريا يبحث بين الكتب في مكتبتها عن أي كتاب طبي بهذا العنوان، أي شيءٍ يُنجيه من نفسه ويساعد أهل المدينة المُغيبين؛ إن كان نوعًا من أنواع الطب فلا بُدَّ أن يحمل إجابة أو وسيلة، أما عن حليمة فقد جلست في مكانها لا تتحرك ولا تعلم ما الذي سيحدث، ليتها لم تعلم ولم تحصل على أية أجوبة! ليتها لم ترَ سميرة ولم تتعرض لشيءٍ ما خارج نمطها المألوف! لعل سميرة من قبلها لم تعلم بأمر تغيير المصل، فإن وهمها بأنها مريضة هو ما أدى بها إلى هذه الحالة، ما هي المشاعر؟ وكيف نواجه ما لا نعلم عنه شيئًا؟ كيف لسديم أن تترك كل هذا وراءها؟ لماذا فعلت بهم كل هذا؟ ومن أجل ماذا؟! ليتها تركت لهم الاختيار!

وقفت ببطءٍ ونظرت إلى عامر الذي يركض حول الغرفة كالمجنون صارخًا: «**أنا ضيعت عمري مصدقها وباحارب المشاعر، أنا حكمت على ناس بالموت، أنا وافقتها ووثقت فيها**»، نظرت إليه نظرة شفقة وإلى نفسها وقالت بكل استسلام:

ـ كلنا هنموت، كلنا هنموّت نفسنا.

ـ كلنا عندنا مشاعر، كلنا.

ـ آه، كلنا وكلنا هنموت.

ـ لأ، لأ، أكيد فيه حل، بتقول طب نفسي، أكيد فيه حل.

ـ ما ساعدش بنتها، هيساعدك ليه؟

ـ وأصدقها تاني؟ أصدقها تاني ليه؟

ـ بنتها ماتت.

ـ سديم ما عملتش حاجة غير إنها كذبت، كذبت على الكل، كذبت علشان عايزة تنتقم.. كذبت كتير أوي ودلوقتي هاثق في كلامها!! فيها إيه إن حاجة ما ساعدتش واحد؟! دا معناه إنه مش هيساعد حد؟!

ـ يعني إيه؟

ـ هو كل مرضى السرطان بيخفوا؟

ـ لأ.

ـ يعني الطب العضوي ما لوش لازمة واللي يجي له مرض يروح يموت؟

ـ لأ فيه ناس بتخف.

- وفيه ناس ما بتخفش، يعني فيه حل، فيه حل وهي قررت تحرمنا منه.
- هنجيبه منين؟ هنعرف إيه عنه؟ هنسأل أهلنا؟ هنسأل مين؟
- هنلاقي، أكيد فيه هنا حاجة، علشان كدا الناس كلها بدأت ترجع تفكر في حياتها وتسأل نفسها، كلهم عملوا زي سديم، ما قدروش يكذبوا أكتر من كدا.

بدأ يلقي بكل الكتب من على الأرفف وهو يصيح بها:

- ساعديني، مش كنتِ عايزة تبقي دكتورة؟ ساعديني.

اتجهت إليه تبحث في كل مكانٍ عن أي كتابٍ قد تجد به حلًا لهم، أي كتاب طبي يتحدث عن شيءٍ ما يُدعى النفس، حتى وجدا صف كتبٍ خلف بعض الروايات القديمة يحمل عناوين مشابهة، بدأت تحمل معه الكتب ويضعانها فوق مفرشٍ كان بجانبهما حتى يحملانه معهما للخارج وهما يبحثان عن أيٍ شيءٍ آخر، وتلتقط حليمة بعض الأقراص المدمجة التي تحمل عناوين مشابهة وبعض الأشياء الأخرى التي لفتت انتباهها.

وضع عامر كل شيءٍ في مكانه ولكنه أخذ نسخة من مقطعها المصور وبحث بالأوراق عن أي شيءٍ قيم، ولكنه لم يجد سوى مذكراتها، ولم يقوَ على انتزاعها أو سرقتها، لا يريد التفاصيل فيكفي ما قد عرفه الآن. أعاد الصندوق والمفتاح والورقة إلى مكانهم وخرجا من هذا المنزل الملعون بنفس لعنة مدينتهما، لعنة سديم، باحثين عن أي مأوى لهما بهذه الكتب الممنوعة.

- تعالي نروح على المكتب عندي.
- مش هندخل بدول المبنى العظيم، إنت اتجننت؟
- هنروح فين؟
- ما اعرفش.
- مش عارف أفكر.

تحركا بعيدًا عن المنزل بلا أيةِ وجهة، فأخبرها أنه سيذهب إلى منزله، ودون أي تفكير أخبرته أنها ستذهب إلى المنزل؛ تريد الاستلقاء على فراشها والبكاء كثيرًا، تريد إخبار تيماء بكل شيء، لا بُدَّ أن تخبر شقيقتها بأننا سنموت جميعًا وليس فقط أبناء المُبالغين، لم يكن أهل سديم هم الأصحاء منذ البداية.

ذهبت مع عمر في رحلة العودة والحماس يملأ قلبها، أخيرًا ستُخبر حليمة بكل شيءٍ وتوجهها نحو النجاة، ستتكفل هي بحليمة ومن ثمَّ ستُعلم كل منهما فردًا آخر من أسرتهما حتى يصبح الجميع في أمان. كان عمر لا يتكلم طوال الطريق، فقد كان حماسها واضحًا على ابتسامتها، ومن ملامحها يمكنك التكهن أن الأفكار تملأ رأسها الآن والأحلام والخطط بداخلها كثيرة فلم يشأ أن يقاطعها، لا يحظى الفرد بلحظات الشغف بسهولة، فلمَ يأخذ منها أول لحظاتها؟ بدأت هي في الحديث بعد مرور نصف ساعة قضتها في خيالها وحدها تخطط لكل شيء، وحان الآن موعد المشاركة، فبدأت تُحدثه عن كل ما فكرت به لينقد فكرة ويوافق على أخرى.

ـ لازم نعرّف الناس كلها.

ـ غلط يا تيماء.

ـ ليه، كلهم يستحقوا الفرصة دي.

ـ أنا عارف يا حبيبتي، ومقدر حبك في المساعدة وحبك في الناس كلها، بس هيكون صعب.

ـ ليه؟

ـ علشان دول ناس اتربوا على كبت المشاعر والخوف منها، اتربوا إنهم ما يصرحوش باللي حاسين بيه علشان دي وصمة عار، وإن الشعور لو مش منطقي ما نحسش بيه، الناس دي صعب فجأة تقولي لهم إنهم كلهم غلط وإنتِ بس اللي صح.

ـ بس أنا فعلًا صح.

ـ مش سبب كافي، مش هيفهمك غير اللي جرب، مش هيعرف إن المشاعر دي نعمة لما تعرف تتعامل معاها صح وكارثة لو كبتها جواك إلا إللي جرب.

ـ طب وهعمل إيه؟ أسيبهم يموتوا؟! ما عمك قال هنساعد الناس ونفهمهم ونعلمهم.

ـ واحدة واحدة.

ـ عدد قليل يعني؟

ـ ومش أي عدد، هنطرح الفكرة على اللي محتاجها.

ـ إزاي؟

- مش عارف لسا، بس هنشوف طريقة نطرح بيها الفكرة على اللي محتاجها الأول. يمكن نبدأ بالقريبين مننا، أهلك وأصحابك وجيرانك.
- بس دا هياخد وقت طويل أوي.
- التحكم في المشاعر مش بين يوم وليلة، والتصالح مع النفس بياخد وقت ومجهود، وتقبل الناس ونفسك يمكن ياخد عمر.
- والناس هتستنى كل دا؟
- ما حدش يقدر ينقذ كل الناس ولا يقدر يموتهم كلهم، سديم حاولت تتخلص مننا كلنا بس اتبقى منا وكترنا، وانتِ عايزة تنقذي الناس كلها بس هيموت منك ناس.
- ناس عارفة وبتحاول ولّا ما تعرفش؟
- من الاتنين، هيموت منك واحد عاش عمره كله فاكر المشاعر خطيئة وما حدش قال له، وهيموت اللي عرف بس ما صدقش وكمّل على كدا، وهيموت من اللي عرف وحاول وما قدرش يكمل.

-

- زي ما هيعيش من اللي ما صدقكيش واللي ما سمعش كلامك ولا اقتنع بيه وهيكمل من غير مشاعره أو حتى وهو كابتها ومش هيموّت نفسه.
- بس هيعيش في تعاسة؟!

- مش دايمًا، فيه ناس من كُتر جهلها ما بتعرفش إن فيه مشكلة، فما بتتأثرش إلا لو اتعرض في حياته لحاجة أجبرته يشوف دا.. ودول بيكون خطرهم على اللي حواليهم أكتر من خطرهم على نفسهم.
- ليه كل حاجة متلخبطة كدا؟
- علشان المشاعر دي حاجة صعب نقيسها، صعب حد يقيمها لنا، يا نعرف إحنا ونحاول لحد ما نقدر يا ما نعرفش خالص، وما حدش يقدر يعرف لنا. ممكن تكوني عارفة مشكلة اللي قدامك وعايزة تساعديه، بس هو مش عايز يساعد نفسه أو يمكن مش مستعد، المساعدة مش إجبار لا لنفسك ولا للناس.
- أنا نفسي أساعد أوي.
- لازم لما تساعدي حد تساعديه بالطريقة الصح له هو مش الصح عامة.

ابتسمت بمرارة وهي تستمعٍ إليه.

- إنتِ هتساعدي فعلًا، كل اللي هيصدقوكِ ويبدؤوا يفهموا نفسهم هيتعاملوا أحسن وهيحبوا اللي حواليهم وهيحبوا نفسهم، هيعاملوا ولادهم أحسن وهيحاولوا يفهموهم ويساعدوهم يفهموا نفسهم، هيحضنوهم لما يحسوا بحاجة غير منطقية بدل ما يعنفوهم أو يقللوا من الشعور دا لمجرد إن ما لوش أساس من الصحة.
- هتساعدني يا عمر؟

- أهو شوفي، مش منطقي إني أساعد ناس من المدينة بتاعة اللي دمرت حياة أهلي وحاولت تقتلهم، بس أنا باحبك وما أقدرش ما أساعدكيش وما أقدرش ما أحبش اللي بتحبيه.. دا منطقي؟
- آه، منطقي جدًّا.

ابتسمت وهي تشيح بوجهها عنه وتتطلع بالطريق من حولهما، فقد كانا أخيرًا على وشك الوصول.

أما في المنزل فقد عادت حليمة ووجهها شاحب للغاية مما أثار القلق في قلب والدتها التي سألت باهتمام عما حدث، فأخبرتها أنه قد كان يومًا مجهدًا ولم تنتبه لغذائها جيداً وانصرفت إلى غرفتها بهدوء، ولكن قبل أن تدخلها لمحت باب غرفة تيماء، فتذكرت على الفور كتباها المفضل «**معجزة سديم**»، وفي تلك اللحظة تذكرت كل شيءٍ وكأنه يحدث الآن، تذكرت سديم الكاذبة التي أوهمت مدينة كاملة بنمط حياة كاذب غير موجود قادهم إلى هلاكٍ محتم. اندفعت إلى غرفة شقيقتها وفتحت خزانة الملابس لتجد الكتاب في مكانه المعتاد؛ فقدت رباط جأشها وعزمت على حرقه الآن حتى لو في وجود والديها بالمنزل. أمسكت بالكتاب وتحركت باندفاعٍ ولكن سقطت منه أوراق، أمسكت بهم لتعيدهم بداخل الكتاب فهيَ تريد حرق كل شيءٍ متعلق بمعجزة سديم المزعومة الكاذبة، ولكنها وجدته بخط اليد، أوراق عديدة مكتوبة بيد شخصٍ ما تتحدث عن تفاصيل ما أخبرته لهما سديم وظنت بأنهما الوحيدًان على علمٍ بها.

عنوان الليلة السوداء وأن سديم قد حرقتهم جميعًا، ثم وعد بأن المدينة ستنهار، وبعض الأورق مكتوبة بخط يد تيماء شقيقتها فهي تعرفه جيِّدا، التعرف على النفس وما تحب وما تكره، وما هو الشخص الذي تود لو تكون مثله، لتجد اسمها في هذه الخانة، أتعرف تيماء كل هذا؟ ما هو التعرف على النفس؟ كيف لشخص ألا يعرف نفسه؟ بدأ التوتر يسري بجسدها وهاتفت عامر على الفورً:

ـ أنت فين؟

ـ أنا روّحت، معايا الحاجة وهابص فيها دلوقتي يمكن أقدر ألحق الزاجل.

ـ تعالى ضروري.

ـ فيه إيه؟

ـ هابعت لك صور على رقمك دلوقتي بص عليها.

صورت الأورق وأرسلتها إليه فورًا، فعاود الاتصال بها وهو يسأل بذعر:

ـ فيه كتاب فيه فصل كامل بيتكلم عن التعرف على النفس، مين اللي قال الطريقة بتاعته وإزاي؟

ـ تيماء أختي تعرف في الطب النفسي؟

ـ هو دا ورق أختك؟

ـ آه

ـ إزاي؟

ـ ما اعرفش، طب شفت اللي وعَد إن المدينة كلها هتنهار؟

ـ مين دول؟

ـ ما اعرفش.
ـ فين تيماء؟
ـ مش هنا.
ـ أنا جاي لك حالًا بالكتب، ابعتي لي العنوان.

أرسلت له العنوان وأغلقت الهاتف لتجد تيماء تفتح عليها باب الغرفة مبتسمة، ولكن أصابها التوتر فور رؤيتها تمسك بالأوراق والكتاب بيدها. كانت نظرات حليمة في غاية الفزع وهي تتساءل دون أن تنطق بكلمة. اقتربت تيماء منها بهدوءٍ وأمسكت الكتاب من يدها وخبأت به الأوراق وقالت بهدوء:

ـ أنا كنت جاية دلوقتي علشان أحكي لك على كل حاجة، انسِ كل دا واسمعيني من الأول وبالترتيب.
ـ إنتِ مين اللي جاب لك الورق دا؟ خط مين دا يا تيماء، مين اللي كان عارف إن سديم بتقع؟ ومين اللي بعت لك حاجات من الطب النفسي؟
ـ طب نفسي؟

تعجبت تيماء بشدة من المصطلح، ثم سألتها عن معناه.

ـ الورق اللي بتتعرفي فيه على نفسك، دا طب نفسي.
ـ طب نفسي إزاي؟ دي طريقة أعرف بيها نفسي مش أكتر.
ـ مين قال لك تعملي كدا؟
ـ عمر.
ـ عمر!

ـ أيوة، اسمعيني بس.

جلست تيماء أمامها في هدوءٍ تام وأرسلت لعمر رسالة بأن ينتظرها ولا يذهب الآن فقد تحتاج إليه في شرح الأمر لحليمة. ابتسمت أولًا لتضيف بعض الطمأنينة إلى الأجواء، ولكن الفزع كان يسيطر على حليمة. قصت عليها قصة الورقة الأولى وكيف وجدتها، ثم أخبرتها بأمر بقية الأوراق وكيف بدأ عمر معها الدروس التي زعم بأنه وجدها مثلها، ثم إخباره لها بالحقيقة بعدما قتلت سميرة نفسها. بدأت تحكي لها ما هو الشعور وكيف شعرت بالانتماء في ذلك المكان البعيد.

ـ يعني مش هنموت؟

سألت حليمة بكل خوفٍ وهي تأمل أن الإجابة هي نعم.

ـ نموت؟ ليه نموت يا حليمة؟

ـ نموّت نفسنا علشان عندنا مشاعر زي سميرة، أو نموّت حد في ساعة غضب زي هبة.

ـ هبة!

ـ هبة قتلت باباها.

تطلعت تيماء بحليمة بكل قلقٍ وهي تتساءل عما حدث وهي غائبة عنها، قتل! في سديم؟ كيف لهذا أن يحدث؟! بدأت حليمة بالبكاء وهي تحكي كل شيءٍ لشقيقتها هي الأخرى، تحكي لها عن استدعائِها وتقصيها للحقائق منذ أن قابلت سميرة قبل أن تقتل نفسها، ورغبتها المُلحة في إيجاد علاجٍ ما لهذا المرض اللعين خوفًا على كل من تحب. لم تترك المصلَ يومًا ولكنها تشعر بداخلها

بأشياءٍ جديدة كلما عرفت أكثر أو تعرضت لمواقف أكثر، ثم أخبرتها بشعورها تجاه ياسر، وكيف شعرت بأنها لا تعرفه فجأة، وبُعدها عنه مسافات، وتغيُّر شعورها تجاهه، وتجاهلها له بالأيام، وغياب المنطق من حياتها فجأة. أخبرتها عن عامر هذا الطبيب الذي يشعر وهو يعمل في المبنى العظيم، وقد ظن أن المشاعر مرض معدي، وأنه خطر على نفسه وعلى الناس، ثم أخيرًا أخبرتها برحلتهما المرعبة إلى منزل سديم التي قتلت نفسها هروبًا من مشاعرها هي الأخرى. لقد قتلت سديم نفسها بعدما قتلت بداخلهم كل فرص النجاة، توقفت تيماء فزعًا من خبر موت سديم، توقفت لبعض الوقت لتتفهم ما يحدث وكل هذه المعلومات دُفعة واحدة، لقد تغيرت الأمور كلها فجأة، حليمة تعلم كل شيءٍ ولكن من سديم نفسها! هي علمت كل شيءٍ عن ضحاياها ولم تخبر إحداهما الأخرى خوفًا عليها، وطوال هذه المدة كان عليهما أن يتشاركا حتى لا تفزع كل منهما على حدى. رن جرس هاتف كل منهما في وقتٍ واحد.

- فيه إيه يا تيماء؟ أنتِ كويسة؟ حد عندك عرف حاجة؟

أجابته تيماء بهدوءٍ أن ينتظرها وستأتي له الآن.

- حليمة أنا تحت العنوان اللي بعتيه لي.

أجابته حليمة هي الأخرى بهدوءٍ وهي تمسح دموعها وتسمك بيد شقيقتها فقد حان وقت الحقيقة الآن.

أغلقا نور غرفتي النوم بهدوءٍ وكأنهما نائمتان وتسللتا للخارج بعدما تأكدتا أن والديهما قد غطا في نوم عميق، فقد قاربت الساعة على العاشرة الآن، أما بالأسفل فقد ذهبً عمر ليتفقد مدخل العمارة

ليجد عامر يقف أمامه مباشرةً فاختبأ مسرعًا خلف شجرة كبيرة، ليشعر عامر بوجود حركة فيُحكم قبضته على الكتب ويختبئ بداخل المدخل بسرعة. وجدت حليمة عامر بالداخل ينظر بحرصٍ للشارع فحيّته وقدمت له شقيقتها وقدمته لها، ثم سألته باهتمامٍ:

- هو فيه إيه برة؟

- فيه حد برة، حسيت بحركة.

اندفعت تيماء وقالت بابتسامةٍ:

- دا أكيد عمر.

وخرجت من العمارة ليلمحها عمر ويأتي إليها مسرعًا وهو يقول:

- فيه حد دخل يستخبى عندكم.

- آه دا عامر.

- عامر مين؟!

قالها بصوتٍ مرتفع وهو يتساءل، فأشارت له أن يخفض صوته فالمباني يكسوها الهدوء الآن وقد يستمع لهما أي شخصٍ بسهولة.

- تعالى بس وهافهمك.

سحبته من يده للداخل وقدسته إليهما، فسأل عمر باهتمام:

- هو مش كان خطيبها اسمه ياسر؟

- دا مش خطيبها.

أجابته تيماء بابتسامة ثم قالت:

- دا دكتور عامر من معمل المبنى العظيم.

كست معالم الفزع وجه عمر وهو يصيح:

- يا نهارك مش فايت! المبنى العظيم يا تيماء؟!

- استنى بس يا عمر.

- هم كان معاهم حق، إنتِ كنتِ كل دا عايزة تسلمينا؟!

- أسلمكم إيه بس، استنى يا عمر.

- أستنى! لحد ما تقولي لهم على مكانـ...

- سديم انتحرت.

تحولت ملامحه من الغضب للصدمة وهو ينظر إليها غير مصدقٍ لما تخبره به، فقاطعت حليمة صدمته وهي تقول بحزم:

- مش وقته خالص ومش مكانه.. تعالوا نروح مكانًا تاني نتكلم فيه براحتنا.

اقترحت تيماء على عمر بصوتٍ منخفض أن يأخذهم لخارج أسوار المدينة من النفق السري الذي صنعه بنفسه، ولكنه رفض وبشدة لجهله بطبيعة ما يحدث. نظرت إليه بكل ثقةٍ وسألته:

- عمر هو إنت بتثق فيا؟

تأخر في الإجابة قليلًا، ولكنه أجابها بإمامة من رأسه، فقالت له:

- حقك تقلق، بس الموضوع في صفنا، والأهم إنه في صفك وفي صف أهلك.

تحركت من جانبه إلى الخلف حيث كانت حليمة تسير بجانب عامر الذي يشعر بحيرةٍ كبيرة مما يحدث ويتساءل عن الإجابات هو الآخر، وحليمة تؤكد له بأنه سيفهم كل شيءٍ الآن. وصلت إليهما

تيماء ومدت يدها لتلتقط من عامر كتابًا من الكتب الموجودة بيده ليبتعد عنها بحركةٍ سريعة. اقتربت منه حليمة بهدوءٍ وانتزعت منه كتابًا واحدًا وهي تقول:

ـ ما تقلقش، أكيد هي عايزة توريه لعمر.

أخذت تيماء الكتاب وابتعدت بهدوء، فقال عامر معاتبًا:

ـ ما أقدرش أثق فيها.

ـ بس أنا واثقة فيها، دي أختي.

اقتربت تيماء من عمر وأعطته الكتاب وقالت له:

ـ بص، مكتوب علم نفس وعناوين كلها شبه كلامك، يعني هم عايزين يساعدوا.

ـ إنتِ جبتِ الكتاب دا منين؟

ـ كان في مكتبة سديم، عامر وحليمة أخدوه من هناك.

تراجع عمر خطوات للخلف ونظر إلى عامر مباشرةً في عينيه وطلب منه بقية الكتب، فتراجع عامر وهو يرفض بشدة.

نظر عمر إلى حليمة وهو يسأل:

ـ لو هو فعلًا عايز يساعد مش عايز يديني الكتب ليه؟

ـ هو ما يعرفكش وما يعرفش أي حاجة من اللي تيماء قالت لي عليها.

ـ مش هاقدر أساعده لو ما ادانيش الكتب دي.

جاءت إليهم تيماء حين شعرت أن الحوار يحتد وهي تسأل عما يحدث، فقال عمر بحزمٍ:

- لو ما ادانيش الكتب دي دلوقتي مش هنخرج من هنا.

تطلعت تيماء إلى شقيقتها تستجديها أن تعطي له الكتب حتى يتسنى لهم الفرصة للخروج من هنا وكل منهما مقدرة جدًّا ذعرهما من بعضهما البعض، فجانب كل منهما من القصة مُفزع أكثر من الآخر. اقتربت حليمة من عامر وهي تسأله:

- أنت ليه مش عايز تدي له الكتب؟
- الكتب دي هي السبيل الوحيد للنجاة، الأمل الوحيد اللي فاضل لنا، أديه لواحد ما أعرفوش ليه؟
- الكتب دي مش هي الأمل الوحيد، وبعدين ما هي نفسها قالت إن الطب دا ما ساعدش بنتها أصلًا، الكتب دي جزء من رحلة كبيرة هنمشيها كلنا سوا. عامر إحنا لازم نساعد بعض وهو هيخلينا نتكلم في مكان براحتنا ونفكر براحتنا.
- الكتب دي لو ضاعت والناس ما عرفتش عنها حاجة كلنا هنموت.
- الكتب دي إحنا مش هنعرف نطبق اللي جواها غير بوجوده معانا.

نظر إليه عامر بحذر ولا يعلم ما أهميته بالضبط في تفسير محتوى الكتب، ولكنه اقترب منه وسلمه الكتب قائلًا:

- الكتب دي هي الأمل الوحيد لي، اوعى تحت أي ظرف تضيعها ومش هاسيبها لك وأمشي لحد ما نتكلم بس.

التقط منه عمر الكتب بلهفةٍ وتحرك نحو النفق بهدوءٍ وهو يتفحص الكتب بابتسامة عريضة على وجهه وكأنه قد وجد كنزه الضائع، وتيماء تتطلع إليه في حيرة:

- عمر هو إيه الطب النفسي دا؟

- الطب النفسي دا نوع من أنواع الطب زيه زي العضوي كدا، بس بيعالج عقلك وتفكيرك وبيساعدك تعرفي نوع المرض اللي عندك.

- علاج المشاعر؟

- المشاعر مش مرض يا تيماء، المشاعر هي حاجة أساسية عندنا، بس الأمراض أحيانًا بتكون في عقلنا فبتأثر على طريقة تفكيرنا، وتفكيرنا بيأثر على مشاعرنا. أمراض زي البرد والقلب والضغط، حاجات برضو بتتعالج، بس الكتب دي ضاعت من زمان والناس نسيوها، إحنا بس اللي كنا فاكرين وبنحاول نكمل.

- بيساعد الناس؟

- بيساعد الناس وبيكمل على اللي بنعمله سوا، نوع طب كامل كان مجهول ومختفي من سنين كتير أوي.

- هنعرف نطلعه للناس ونعرفهم عليه؟

- هنودي الكتب دي لبابا وعمي، والناس اللي هناك هتذاكرهم وهيقدروهم جدًّا وهنبدأ نتعلمه.

وصلوا إلى النفق وخرجوا منه إلى الصحراء بالخارج، وقفوا بجانب السور ليتحدثوا سويًا. قررت الشقيقتان أن تتولى كل منهما قص الجزء الخاص بها من القصة، وبدأت تيماء بقصتها مع كتاب معجزة سديم وما حدث، وعامر يتابعها بذهولٍ وهو يعرف كل الحقائق من الجانب الآخر، والأهم أن هنالك أشخاصًا آخرين قد نجوا من بطش سديم، ثم تطلع إلى عمر وهو يشارك في القصة ويحكي عن حياته وكيف تعلم التحكم في مشاعره وتقبل نفسه وحياته البسيطة جدًا، وفي الجانب الآخر بدأت تقص عليهما حليمة جانبهما هي وعامر وهما يتشاركان تفاصيل القصة سويًا ويكملان الجمل بكل طلاقة، وتحكي عن فزعها، ومشهد سديم وعينيها، وكيف ذكرها هذا بشكل سميرة، وكيف لهما أن ينتهي بهما الأمر إلى نفس المصير. اتضحت الأمور للجميع وأصبح الكل يعرف القصة كاملة. هم فقط من يعرفون بأمر المدينة، السكان، المشاعر، الحقائق، والمصل وكل هذا.

- يعني المصل كذبة؟

سألت تيماء وهي تنظر إلى عامر فأجابها بكل هدوء:

- سديم قالت إنه كان تركيبه فيها مهدئات، يعني هيهديكي بس مش هيعالج أو هيفرق لو كنتِ لسا بتتعرضي لحاجات غريبة عن النمط المألوف.

تطلعت إليهم حليمة وهي تسأل:

- يعني هنعمل إيه دلوقتي؟! هنساعد الناس إزاي؟ هنقول إزاي لكل الناس دي إن سديم كذبت عليهم؟

وقف عمر بكل هدوءٍ وهو ينظر إليهم:

- أنا مش مصدق إني هاقول الكلام دا.

نظر الجميع إليه باهتمام فأكمل حديثه قائلًا:

- الناس بتحب سدّيم، بتحب فكرة سديم وفكرة إنها أنقذتهم، لو هدمنا سديم في عيونهم هيبقى صعب يصدقوا أي حد تاني، سديم لازم تفضل موجودة في عقلهم.

سألت تيماء متعجبة:

- يعني إيه؟

- وأنا صغير عمي سليم كان عمره ما بيكذب عليّا عشان كان عارف إن لو في يوم عرفت إنه قال حاجة واحدة كذب مش هاصدق بقية كلامه، ودا اللي هيحصل معاهم لو سديم طلعت كذابة.

قالت حليمة بيأس:

- هيحسوا إن حياتهم كلها كانت كذبة ومش هيصدقوا حد حتى إحنا.

أومأ برأسِهِ موافقًا على كلامها ثم أكمل:

- ما حدش هيصدق إن المشاعر مش مرض علشان هم اتربوا على كدا وخسروا ناس بيحبوهم في سبيل الفكرة دي، كدا إحنا هنؤذيهم أو هنطلع مشاعرهم مرة واحدة، الحل الوحيد إن سديم ما تنتحرش وتكتشف علاج للمشاعر.

انتبه عامر وقال مبتسمًا:

ـ ما حدش عرف إنها ماتت غيرنا.

ظهر الحماس عليه بشدة وهو يكمل حديثه قائلًا:

ـ ليه نهدم أسطورة سديم لما ممكن نستغلها ونكمل عليها؟ سديم اكتشفت علاج للمشاعر، ورقة وكتب وعلم جديد، سديم أنقذتنا تاني، سديم بعتت فرقة إنقاذ تدوّر على أي ناجين طول السنين دي علشان هي ما فقدتش الأمل، سديم البطلة لقت ناس نجيت فعلًا وكانت بتعالجهم بالعلاج دا لأنهم بالفعل مرضى مشاعر. سديم أمرت قبل ما تموت أو سايبة في وصيتها إن الناس دي تيجي تعيش وسطنا أو تفضل مكانها ويروح لها أكل.

ابتسمت تيماء وهي تستمع إلى حديثه، لمَ نهدم الأسطورة إن كان بإمكاننا أن نُحييها في عقول الجميع؟ سديم هي المدخل الوحيد للخلاص كما كانت هي السبب في الهلاك.

نظرت حليمة إليهم باهتمام وقالت:

ـ إحنا كدا لازم نتحركْ دلوقتي على بيت سديم؛ نكتب كل الورق ونسيب الكتب ونحاول نتصرف قبل ما حد يكتشف.

أكملت تيماء حديث شقيقتها:

ـ لو اتحركنا دلوقتي ممكن نلحق نخلص كل دا، وعمر لازم يروح يبلغ أهله بالموضوع كله، لازم يعرفهم إننا

هنقول عنهم ويقنعهم إن سديم سيرتها تفضل كويسة علشان الناس اللي جوًّا تقدر تعيش أحسن، ولازم يبلغنا نكتب عنهم إيه في الرسالة!

ابتسم عمر وقال بهدوء:

- إحنا جربنا إحساس الضياع قبل كدا، ورغم إن يمكن تفتكروا إننا نفسنا ننتقم إلا إن اللي جرب حاجة وجعته ما بيتمنهاش لغيره، لو كانت سيرة سديم الكويسة هي السبيل للنجاة والحياة الكريمة، أكيد هم هيقبلوا.

تحرك كل منهم إلى مهمته في طريقين مختلفين.. تحرك عمر وهو يفكر هل حقًّا سيقبل الجميع بما حدث؟ وما الذي سيختاره أهله؛ البقاء والحصول على الطعام والشراب أم الذهاب للحياة بمكانٍ أفضل ومدينة كاملة؟

تحركوا سويًّا إلى منزل سديم في ظلام المدينة الحالك بخفة حتى لا يشعر بهم أحد، فليس من المنطقي على الإطلاق التجول في الشوارع ليلًا. ظل طوال الطريق يستفسر عامر من تيماء عن صحة وجود هؤلاء السكان وهذا المكان، حتى طمأنته بأنها قد رأته بنفسها، وتحدثت مع سكانه، ومن داخلها لا تعلم هل سيرضى ساكنوه القدوم إلى هنا أم فكرة تمجيد من شرَّدهم وقتل عائلتهم وخطف أطفالهم سيكون عائقًا في طريق تحقيق هذه الأمنية؟
وصلوا إلى المنزل وتقدم عامر حتى يرى إن كان رجل الحراسة ما زال واقفًا أم تلقى أوامره وذهب كما أخبره، ومن حسن الحظ قد وثق به الحارس وذهب.

تحركوا إلى المنزل ودخلوا جميعًا من النافذة كما فعلا من قبل، وتوجهت تيماء خلف خطواتهما نحو الطابق الثاني إلى غرفة سديم لتراها لأول مرة معلقة كما وصفتها حليمة بالضبط، وكانت مرتها الأولى. وقفت على باب الغرفة لتستعيد هدوءها وتحاول اعتياد الموقف، ولكنه كان صعبًا عليها، وقد تفهم عامر الأمر. لم يكن مشهد الموتى غريبًا عليه بحكم عمله، وقد كانت مرة حليمة الثانية في العموم والثانية لنفس الشخص. وقفت تيماء على باب الغرفة غير قادرة على الدخول، وذهبت حليمة على مضضٍ لتساعد عامر وكان قلبها يرتجف؛ مهما رأيت سيظل الموت يبعثً بداخلك رهبةً لا تستطيع وصفها.

صعد عامر من جانب وحليمة من جانب آخر ولم تشاركه سوى في قطع الحبل المعلقة به من أعلى، والتقط هو سديم حتى لا تسقط، وضعها في فراشها وضع النوم وأغلق عامر عينيها بهدوء.

- الحبل معلم في رقبتها.

قالها عامر وهو ينظر إليها وكانت حليمة تغطيها بمفرشٍ جديد كان في خزانة ملابسها، فنظرت إليه وهو يكمل حديثه:

- أتمنى ما حدش يلاقيها دلوقتي خالص، يكتشفوها بعد وقت طويل.

- وكدا مش هياخدوا بالهم؟

- ما أعرفش، بس أتمنى تكريمًا لها يدفنوها على طول.

أخفيا آثار الانتحار وأخذا الحبل معهما للخارج، وأخذ عامر من يدها المفتاح حتى يفتح الصندوق الخشبي ليغير مجرى الأسطورة، وفي هذه الأثناء كان عمر قد وصل بالفعل إلى مكانه ليجد والده جالسًا أمام خيمتهم برفقة سليم، وحين سمعا وقع أقدامه استقاما ليتأكدا أنه هو القادم.

- دا كان اتفاقنا يا عمر؟

قالها سليم معاتبًا، ثم أكمل حديثه بينما يدنو عمر منهما.

- دا كان اتفاقنا إنك تتأخر لحد دلوقتي؟
- أنا آسف يا عمي، بس حصل حاجة كان لازم أفضل موجود هناك علشانها.

ظل طارق صامتًا لا يريد المشاركة في الحوار حتى لا يمنعه تعنيفه عن إكمال ما جاء ليخبرهما به.

- بابا، أنا عارف إن زمانك زعلان مني بس اسمعني.
- قبل أي حاجة ادخل طمن أمك إنك جيت، علشان كان هيحصل لها حاجة من القلق عليك.

قالها طارق بوجهٍ يخلو من التعبيرات، ولكن في نبرة صوته كان العتاب واضحًا، فدخل عمر مسرعًا ليجد كريم ونغم يجلسان بجوار والدته التي انتفضت فرحًا فور رؤيته وهي تبكي من القلق عليه:

- كدا يا عمر تخضني عليك؟! كدا يا ابني!
- حقك عليا يا أمي، بس ما فيش وقت لازم تسمعوني كلكم.

ذهب مسرعًا لينادي طارق وسليم ليجتمعوا سويًّا بداخل الخيمة ليبدأ بقص الحكاية عليهم، أخبرهم بأمر سديم وما حدث لها وما تركته في رسالتها الأخيرة، وكيف كان انتقام القدر لحياتهم وحياة كل من يحبون. استمع سليم إلى خبر انتحارها وهو يشعر بداخله ولأول مرة ببرودة النيران، فقد انتقم له الله وقد عاش ليرى القصاص بعينيه. نظرت نغم إلى عمر وهي تسأل بهدوء:

- وإحنا دورنا إيه يا عمر في الموضوع دا؟ موت سديم مش هيغير حاجة.
- بالعكس يا نغم، موت سديم هيغير كل حاجة، دلوقتي إحنا نقدر نعيش هناك.

تعالت معالم الدهشة على أعين الجميع فور سماعهم اقتراحه، وكاد طارق أن ينهره لمجرد التفكير ولكنه بادرهم قائلًا:

- اسمعوني الأول.

أخبرهم باقتراح عامر وذهابهم الآن لمنزل سديم ليغيروا الرسالة الأخيرة إلى رسالة جديدة ترد اعتبارَ من ظُلم يومًا وتعيد التوازن للجميع، تعطي أهل سديم الحق في الشعور وتعطيهم هم الحق في الحياة، تُغيّر المسار بنفس نمط الرواية، فلكل شيءٍ زاوية مختلفة، وعلينا فقط أن نواكب التغير ونرضى بما هو أفضل للجميع. ابتسمت فريدة بمرارةٍ وسألت صغيرها:

- والناس عندنا هتسامح وتروح تعيش هناك؟
- اللي قتلتهم ماتت، والناس هناك ما لهاش ذنب، لو كانت الناس هنا اتعلمت تفهم نفسها صح وفعلًا بقوا

أشخاص أحسن يبقى هيفهموا إن اللوم على سديم لوحدها والناس ما لهاش ذنب.

أجابته فريدة بكل أسفٍ قائلة:

- اللي بتطلبه دا صعب يا عمر.

فشاركهما كريم الحديث وهو ينظر إلى نغم ويفكر في مستقبلهما معًا:

- بس كدا هيبقى أحسن، على الأقل نعيش عارفين إن فيه أكل وميّه ومدرسة.

رفض طارق الفكرة بكل قوته قائلًا:

- صعب، الناس هنا اتربت على فكرة إنهم منبوذين وإن سديم هي السبب، اللي قدنا شافوا ليلة الحريق وعاشوها، ما حدش فيهم هيقدر يعيش ويسمع إن سديم بطل قومي.

أسند سليم يده على كتف صديقه وقال بهدوء:

- أنا معاهم يا طارق، أنا مع ولادك في كلامهم.

- إنت يا سليم؟ بعد اللي حصل لليلى؟!

- وجعي على ليلى عمره ما هيهون، وموتها كسرني، بس دا مش معناه إني ما أفكرش غير في نفسي، ليلى ماتت علشان فكرت في الناس، لو كانت فكرت في نفسها كانت هتعيش، بس هتعيش وهنعيش كلنا بذنب إن كان ممكن، موت ليلى هو اللي خلانا نعيش وسط ناس وولادنا يكبروا، لو التضحية بتاعتنا هتبقى إننا نغير تفكيرنا يبقى سهلة، هي ضحت بحياتها علشانا إحنا مش هنقدر نضحي بتفكيرنا ونتأقلم مع الأحسن لهم.

وقف سليم يخبر صديقه عن أهمية التأقلم مع الأفضل للأجيال القادمة والتفكير في عمر وكريم ونغم وأبنائهم من بعدهم. من أخبرهم بأنهم لا يمكنهم الحصول على كل شيء؟ لمَ عليك الحصول على جانب واحد فقط؟ إما أن تعيش بمشاعرك في السر وتتعلم كيف تتحكم بها وحيدًا أو تحصل على حياة سعيدة خارجيًا دون الحصول على فرصة التعرف على نفسك. لمَ يحصل أطفالهم على مستقبلٍ مشرق نفسيًّا بلا مأوى ولا مستقبل مادي مضمون ويحصل أطفال المدينة على مستقبلٍ مادي مشرق بلا نفسية ولا مشاعر؟ من يقرر للجميع؟ أليس من حق كل فردٍ أن يقرر لنفسه؟ جلس الجميع ينصت إليه وكان طارق مُقتنعًا حقًّا، ولكن كيف لهم أن يختاروا؟ تدخل عمر ليكمل حديثه وهو ينظر إلى سليم بكل حب، فلم يخِب ظنه يومًا، ورغم أنه أكثرهم ألمًا وحرمانًا إلا أن هذا الوجع لم يزِده إلا فهمًا وحبًا للجميع:

- إحنا ممكن ندي الناس فرصة تختار، اللي عايز يروح هناك يروح ويعيش، واللي مش عايز يفضل هنا وناخد أكل وميّه كل ما نحتاج.

ابتسم عمر وأكمل بهدوء:

- معاهم كتب طب نفسي، رغم كل دا سديم ما حرقتهمش.

بادله سليم الابتسامة وقال بهدوء:

- هنعرض على الناس، اللي عايز يروح هناك يروح، واللي حابب يكمل هنا يفضل، وأنا عن نفسي هاكمل هنا، الكبير مننا يفضل ويعيش زي ما كنا، وتدريجيًّا يا

هنروح معاهم يا هيبقى حالنا زي ما هو، بس اللي عايز يروح يتفضل.

ارتبك عمر قليلًا فالوقت حقًّا متأخر، نظر إلى والده وقال بقلق:

ـ بس أنا نوعًا ما عايز إجابة حالًا، تيماء لازم تعرف تكتب عننا إيه في الرسالة الأخيرة، نروح ولا نفضل؟!

كاد طارق أن ينهره ويوضح له أنه من الصعب اتخاذ القرار دون العودة للناس أولًا، فسبقه سليم بهدوءٍ قائلًا:

ـ خليها تكتب إننا موجودين وبنعرف نتعامل مع مشاعرنا أو جربنا العلاج اللي عايزين تساعدوا بيه الناس، وإننا هنرحب نساعد اللي عايز، هنبعت من عندنا مدربين لهم وبيوتنا مفتوحة للي عايز يجي منهم، وبيوتهم تتفتح لنا وقت ما نحب.

ثم نظر إلى طارق كبير جماعتهم وأكثرهم حكمة وخوفًا على كل من حوله:

ـ كلامي فيه حاجة تزعل أو تحرجك قدام الناس؟

ـ لأ، كدا عداك العيب وسبت لنا حرية الاختيار، لما ناخد رأي الناس فيه ناس كتير مش هترضى ومش هتقدر.

قالها طارق وهو يفكر في تلك الليلة وينظر إلى سليم الذي كان أكثرهم ألمًا وخسارة ولكنه يحاول من أجل البقية، لعله يستطيع ولكن بعضنا لا يقوى على المسامحة، ولا يحق لنا أن نطلب منهم هذا أبدًا.

استأذنهم عمر وذهب مسرعًا إلى جانب السور ليلتقط إشارة يستطيع بها إرسال رسالة إلى تيماء ليخبرها بما ستكتبه عنهم ليعرف العالم بوجودهم، أما عن تيماء فما زالت في بقايا الصدمة من مشهد سديم، وعامر وحليمة يتحركان من الغرفة متجهين إلى الطابق الأخير ويدخلان إلى المكتبة ويبدآن في كتابة التاريخ من جديد.

هاتفا عمر ليكون معهما على الخط، وليعرفا منه القدر الكافي من المعلومات، مزقا دفتر المذكرات، ومسحا كل المقاطع المُصورة. أمسكا بدفترٍ قديم فارغ من مكتبتها الكبيرة، وقررا أن يدونا به مذكرات جديدة. دفتر يحتوي على خلاص البشرية من سم سديم، ذلك السم الذي دسته سديم في عقول ساكني المدينة.

قضوا ساعات في هذا الوقت المتأخر من اليوم في مكتبة سديم حتى انتهوا جميعًا منها (رسالتها الأخيرة للمدينة). تحركوا من منزلها تاركين كل شيءٍ كما كان، وبخزانة ملابسها وضعوا صندوقًا خشبيًا أمامه مفتاحه، وبداخله تاريخ جديد وحقائق تنجو البشرية من بعدها.

بدأ الذعر والهلع يصيب المدينة بأكملها، بعض السكان يذهبون لإجراء الفحوصات ولا يعودون، انتشر خبر وجود حالات في سديم، وانتشر خبر قتل فتاة ما ـ هبة ـ لوالدها، وبهذا قد علم الجميع أنه قد تفشى وباء المشاعر بالمدينة. زاد القلق بين السكان فكل معلوماتهم عن المرض محدودة. أغلقت كل أسرة أبوابها خوفًا من العدوى فقد تكون المشاعر معدية، وتجاهل البعض الأمر كله

ما دام المبنى العظيم لم يُصرح بعد، وبدأ الأطفال بطرح أسئلة لا يعلم أحد إجاباتها.

ما قد وُعِدت به سديم يتحقق؛ الهلاك قادم والسكان يفزعون ولا يعلم أي فردٍ ماهية المرض الذي يتعامل معه ومما يخاف. بدأ رجال المبنى العظيم بالهلع أيضًا، فقد امتلأت غرفهم الطبية بحالات تزيد عن النصف بثلاث درجات، وقد شك الطاقم الطبي في صحة فحصهم فأصبحوا يعيدون الاختبار ثلاث مرات للفرد، فإن تأكدت الزيادة سيذهب إلى طريقٍ محتوم وهو القتل، ولكن ماذا عن عائلاتهم وذويهم؟ كيف لهم أن يشرحوا هذا الأمر؟

تكدس الناس حول المبنى كل منهم يسأل عن أهله، يتأخر السكان عن موعد الفحص خوفًا من اكتشاف إصابتهم بهذا المرض اللعين وحجزهم بالداخل ليواجهوا المصير المجهول. كانت سديم تنهار ولم يعد الأمر يُحتمل والكل خائف وله كل الحق في ذلك، فقد كان الخوف هو الشعور المنطقي لهم. يتصل رؤساء المبنى العظيم بسديم ولكنها لا تجيب وكأنها قد تخلت عنهم حتى يزداد الوضع سوءًا، لم يعد هنالك حل آخر سوى أن تذهب إليها بعثة من الأطباء والقادة لمناقشة أمر المدينة وطلب حل للمشاعر غير القتل، لا يمكنهم قتل نصف السكان بلا مبرر، لم يعد الأمر منطقيًا على الإطلاق.

اتجهت البعثة ومن ضمنهم عامر وهو وحده يعلم كل شيءٍ ويتظاهر بالجهل التام، يرى المدينة تنهار ويشعر بالطمأنينة لأنه وحده يرى الضوء الساطع في نهاية هذا النفق المُظلم.

استيقظت العائلة في يومها الطبيعي بعد أيامٍ وقد انتشر خبر وجود حالاتٍ في سديم وزاد القلق بين السكان؛ فكل معلوماتهم عن المرضِ محدودة، التزم العديد منهم منازلهم، والبعض الآخر تجاهلوا ما دام المبنى العظيم لم يُصرح بعد.

تم إعدام هبه وانتشر الخبر بين السكان ليزيدهم ذعرًا.. أما عن الشقيقتين فقد استيقظتا في يومهما المعتاد، وقد كانت حليمة مُثقلة القلب -قليلًا- منذ أن اتفقت هي وياسر على أنه من الأفضل لهما أن يبتعدا ولا يكملا الخطبة، فقد شعر هو الآخر بغياب شيءٍ ما بينهما، وكان طلبه وقد وافقته وهي تشعر بالراحة. لم تقوَ من قبل على مواجهته، لكنه الآن الحل الأفضل لا شك، وخاصة بعدما شعرت بشيءٍ أقوى يربطها بعامر منذ حديثهما الأول.

تناولا الفطور وتبادلا أطراف الحديث سويًّا مع والديهما حتي وصلت إلى حليمة رسالة من عامر: «**النهاردا عرفنا خبر سديم**». من أسفل الطاولة ناولت حليمة شقيقتها الهاتف لترى محتوى الرسالة، فأمسكت هاتفها وراسلت عمر: «**عرفوا إن سديم ماتت خلاص وإدارة المبنى عاملة اجتماع**».

مر اليوم بسلام على الجميع حتى جاء الليل بما يحمله.

- يا بنات تعالوا هنا.. فيه بيان هام هيتذاع دلوقتي.

قالتها دعاء تنادي على بناتها وتجلس هي وزوجها أمام التلفاز بكل إنصات. جلست حليمة بجانب والدتها وأخذت تيماء شقيقتها الصغرى وأجلستها بجانبها على المقعد المقابل لوالدها وأنصت الجميع.

- بقلبٍ تُثقله الهموم لقد ودعت سديم مدينتنا اليوم.

قالها الرجلُ بالتلفاز وسكت قليلًا وكأنه يعلم ما سيحدث الآن من صدمةٍ لكل سكان المدينة، وقد كان؛ تجمدت ملامح الوالدين، وتصنعت الشقيقتان نفس الملامح على وجهيهما، ثم أكمل الرجل قائلًا: «**كما لم تتركنا سديم من قبل فهي لن تتركنا أبدًا، تركت لنا مدينة كاملة نعيش في خيراتها، وحياة هادئة مطمئنة، وحتى تكتمل الصورة ويرتاح أهل المدينة.. قد تركت لكم سديم رسالتها الأخيرة وبها الخلاص الأبدي من كل تساؤلاتنا**».

بدأت تظهر على التلفاز بعض اللقطات المأخوذة من منزل سديم وغرفتها ومكتبتها وصورها المُعلقة على الحائط، وخلال العرض التذكاري الخالد لسديم أرسلت حليمة إلى تيماء رسالة:

«**عامر هو اللي لقى الجثة، وحاليًا هو المسؤول عن اللجنة اللي هتتعلّم من أهل عمر.. هيجيبوا منهم ناس تعلمنا إزاي نتحكم في مشاعرنا، وهنتطوع معاهم ونعلّم الناس من بعدها**».

أخفت تيماء ابتسامتها وتصنعت التأثر بما يعرض على الشاشة وكأنها لم تره من قبل ولم تكن في هذه الغرفة منذ أيام.. وأرسلت لشقيقتها: «**عمر قال لي إن عامر ومعاه رجالة زاروهم من شوية واتكلموا مع عمو طارق وسليم.. وإن عمر هيجي يعيش هنا هو وكريم ونغم، ومعظم اللي هناك اقتنعوا إنهم ييجوا يعيشوا هنا أحسن علشان أولادهم وحياتهم**».

توقفت الشاشة على صورة صندوقٍ خشبيٍّ وبعض الرجال يخرجون منه دفترَ قديمًا كُتب فيه بخط اليد، ويضيف عليه الرجل

تعليقًا صوتيًا يحكي أن سديم قد تركت وصيتها في هذا الصندوق، حيث وجدوا أسفل مخدتها رسالة تخبرهم أن وصيتها بالصندوق الخشبي، ثم غابت المقاطع المُصورة عن الشاشة، وظهر الرجل من جديد وبيده الدفتر ليقرأ منه للجميع:

«لقد أديت كل رسائلي حتى وصلت أخيرًا إلى ما حييت من أجله (علاج المشاعر) وقد وجدته لا يكمن في المصل ولا الاختبارات، علاج المشاعر يكمن في مواجهتها والتحكم بها. لن نهرب من مشاعرنا وإلا طاردتنا إلى ما لا نهاية.. لقد بحثت خارج الأسوار أملًا في إيجادهم من جديد وقد كان.. وجدتُ بشرًا يعترفون بمشاعرهم ويبحثون داخل أنفسهم. وجدتُ المُبالغين أحياءً.. لم يقتل أحدهما الآخر، لكن اندلعت النيران بالخطأ، وقد نجا منهم من نجا لنعرف اليوم أن المشاعر طبيعة بشرية لا يحق لنا نكرانها ولا التهرب منها.

قد يصدم البعض كلامي وحديثي عن المشاعر وكأنها حق مكفول للجميع بعد أن رهبها الناس لسنواتٍ عديدة، لكن في حديثي أملًا أتمنى لو تجدوه. لن يقلق أهل المدينة من المشاعر بعد الآ ن، ولن تخشوا الدرجات الزائدة في اختباراتكم. لا يموت من يشعر بل يعيش من جديد. قابلتُ أهل المشاعر ولم أنفر منهم مطلقًا ولم يفعلوا كما فعل أهل الأرض من قبل.. لم يتركوا مشاعرهم تتحكم بهم بل تحكموا هم بها وقدّروها.. إذا تصالحنا مع أنفسنا أصبحنا أفضل بدلًا من نكرانها.

سديم تدعوكم لتتعرفوا على أنفسكم وتفهموها، وسيساعدكم أهل المشاعر فيها.. سيفتحون لكم بيوتهم، وسنستقبلهم في مدينتنا. لقد انتهى زمن الخوف، وتركت لكم كتبًا تداويكم وبها خلاصكم من دمارٍ كاد أن يطولنا جميعًا. هذه وصيتي.. لا يبقى شيء كما كان وإن كان باقيًا في عقولنا. تتغير الحياة من حولنا وعلينا التغير معها.. ما كان أفضل لك قد لا يكون الأفضل لمن هو قادم من بعدك، وجهلك بالأمر لا يعني كرهك له.. تعلّمه وافهمه قبل أن تحكم، وإن حكمت احكم على نفسك لا على الآخرين، فكل منكم حر.. وكل منكم مسؤول عن نفسه فقط.

تركتكم اليوم لتفهموا ما هو أفضل للغد، لن يحيا من يكبت مشاعره حياة سعيدة، ولن تنشأ من ذريته أجيال صالحة سوية.. سيزرع خللًا في تكوينهم قد تجاهله في نفسه، وما تجاهلته بك سيطفو على وجه مستقبلهم. أوصيكم بالمشاعر وتقبلها والاعتراف بها من جديد.. أوصيكم بالذهاب لطلب المساعدة حتى تتجاوزا هذه المحنة. لن تترك سديم أهلها بلا أمل والأمل في مشاعركم.. تقبلوها وتقبلوا أنفسكم فبداخلكم يكمن البقاء».

شعرت تيماء بالراحة فور انتهاء الخطاب، فلم يكن مقدرًا لسديم البقاء وإن صمدت ألف عام. لن ينجو البشر بلا مشاعر حتى إن حاول الجميع تناسيها، ستذكره هي بنفسها عاجلًا أم آجلًا كما ذكرت أهل المدينة جميعًا، ولكن قليلًا من يقوى على الاعتراف بها وأقل من يواجهها، وهذا ما يجعلها تحديًا صعبًا جدًّا. تحتاج سديم لسنواتٍ عديدة حتى تستعيد توازنها ويعتاد البشر على نظامها

الجديد، سيحتاج الكل إلى التدريب، وسيمضي كل منهم في رحلةٍ جديدة مع نفسه للتعرف عليها، وتدريجيًّا سوف تدعو المتبنين لخوض رحلة أخرى للتعرف على أهلهم من الوافدين الجدد من خلال فحصٍ سيُعده عامر لهم في المبنى العظيم.

هي تَعلم أن القادم ليس سهلًا، لكن إيمان أربعتهم بأهمية المشاعر وقدرتها الكبيرة على تغيير حياة الفرد -ومن بعده الجماعة- سيجعل الأمر يبدو أسهل مما يظنون.

«الآن يا أهل سديم قد جاء دوركم في التصدي لأنفسكم أولًا ولعقولكم ثانيًا، ولكل من يتحكم بمشاعركم ثالثًا، والمحاربة من أجل حياةٍ مستقرة قد سُلبت منكم عنوةً بلا مبرر. عليكم البدء بالتعرف على هذا الشخص الماثل أمامكم بالمرآة كل صباح، عليكم فهمه وتقبله، مصاحبته وتشجيعه وحثه على أن يصبح قويًّا متماسكًا في مواجهة كل ما هو قادم.. فإنه حقًّا من يستحق الفرصة للبقاء».

مريم أحمد علي

lavender

آخر ليالي البشر

وهو غارقٌ في محيط أفكاره بدأ يسمع شيئًا غير معتادٍ من حوله، وكأنه إعلان لشيءٍ ما في مكبر صوتٍ يقترب منهم شيئًا فشيئًا.

خرج طارق من خيمته وبجانبه فريدة ليستوضحا الأمر أيضًا.

«الكل يجمع أفراد الخيمة الخاصة به وينتظر عربات الإخلاء»، «الكل يجمع أفراد الخيمة الخاصة به وينتظر عربات الإخلاء».

أخذ الصوت يقترب وتتكرر الجملة مرارًا؛ التفت سليم حوله ليجد الجميع يجمعون كل ما يخصهم من أفراد أو أشياء. انسحب بهدوءٍ ودخل إلى خيمته، وهمس في أذن ليلى بهدوءٍ حتى تستيقظ على شيءٍ لم يتوقع أحدٌ منهم حدوثه على الإطلاق!

مريم أحمد علي، كاتبة مصرية ومحررة فيديوهات، تخرجت من كلية الإعلام جامعة القاهرة، وبدأت مشوارها عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي بجانب عملها في التسويق والإعلانات، صدر لها رواية "البعض لا يرحل أبدًا" عن تشكيل للنشر والتوزيع.

AHMED FARAG

9 789776 737594

E-mail: publish@tashkeel-publishing.com
Tashkeeel
201006250473
www.tashkeel-publishing.com

تشكيل للنشر والتوزيع